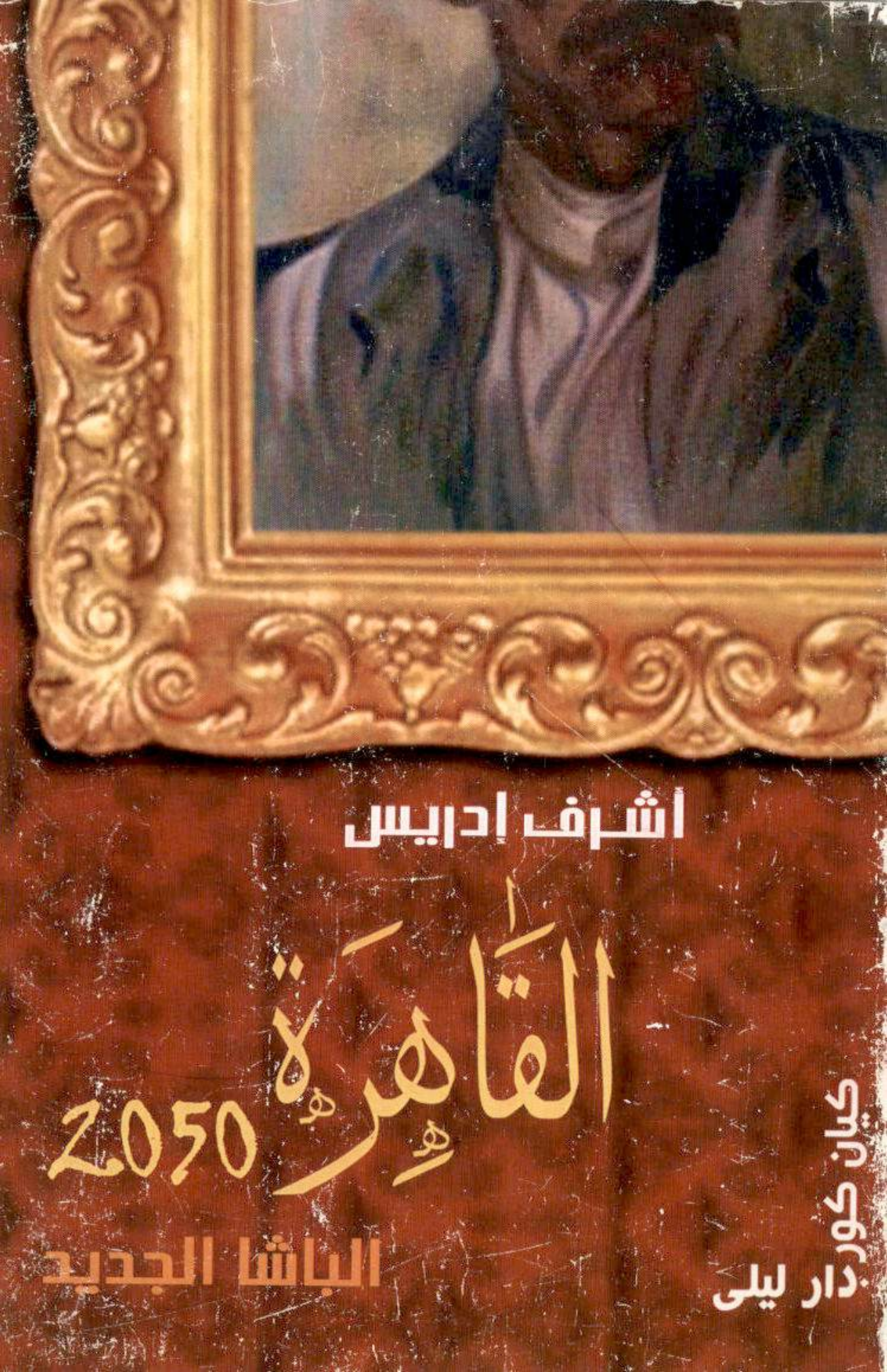
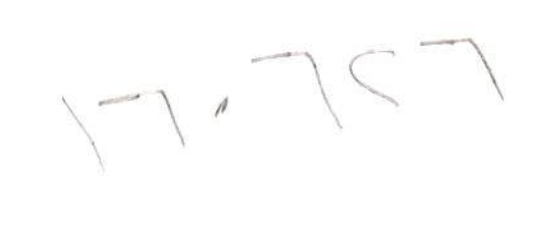


أشرف إدريس
القاهرة 2050
الباشا الجديد
كيان كورب
دار ليلى



أشرف إدريس

القاهرة 2050

الباشا الجديد

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:

القاهرة 2050

الباشا الجديد

المؤلف:

أشرف إدريس

★★★

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

★★★

إدارة التوزيع:

أ. عبد الله شلبي

★★★

الإشراف العام:

أ. محمد سامي

★★★

رقم الإيداع: 23196 /2010

الترقيم الدولي: 1-21-6386-977-978

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

أشرف إدريس

القاهرة 2050

الباشا الجديد

كيان كورب
دار ليلى للنشر والتوزيع

القاهـــرة ٢٠٥٠
الباشا الجديد

***

للتواصل مع المؤلف :

cairo2050@ashrafedris.com

www.ashrafedris.com

***

إهداء

إلى الغد القادم

نرجوك

لا تحملنا ما لا طاقة لنا به

بكرة أحلى

من بعد بكرة

لذكرى فؤاد..

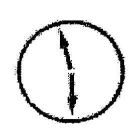
الثلاثاء 26 /2010/10

أشرف إدريس

القاهرة ٢٠٥٠
الباشا الجديد

***

في القسم الأول.. كافح..



الحرب الكيميائية:

،، يقصد بالحرب الكيميائية استخدام المواد الكيميائية السامة بغرض قتل أو تعطيل الإنسان أو الحيوان، ويتم ذلك عن طريق دخولها الجسم بالاستنشاق أو التناول عن طريق الفم أو ملامستها للعيون أو الأغشية المخاطية ،،

* * *

ورقة كراسة صغيرة مفرودة..

الورقة بها آثار ثني وطوي واضحة..

ثنية طولية من المنتصف |

وثلاث آخرى عرضية متساوية المسافات البينية ☰

شخابيط كثيرة مكتوبة بقلم رصاص..

شخابيط بلا معنى محدد..

- من كراسة كريم ابن توفيق التلميذ بالمدرسة التركية بالقاهرة .

- كريم يمتلك عشر سنوات .

لا يفهم منها شيء سوى أن صاحب الكتابة صغير السن وإنه متضايق..

دوائر ومربعات متداخلة بداخلها التاريخ بخط جيد..

الثلاثاء 7 من فبراير 2050..

يلي ذلك داخل شكل بيضاوي وبخط سريع مبعثر.. *ليلة رحلة التحف*

ثم خواطر سريعة تشرح كل شيء..

~~ العيشة في خيمة ملجأ الشمس.. مش عيشة ~~

~~ الدوا الهندي اللي بيعالج كل حاجة.. مش دوا ~~

~~ دوا واحد لكله.. برد واسهال ومرهم حروق و لبوس بواسير ~~

~~ كريم عايز مصر جديدة ~~

~~ من غير أتراك.. صينيين.. أوربيين.. حالئين.. فرداني ~~

~~ من غير شوكت.. باجا.. وليام.. الريس.. فرداني ~~

~~ 2050.. مصر نظيفة ~~

~~ النظافة من الإيمان ~~

* * *

القسم الأول

كــافح

الصباح الباكر.. قبيل السادسة

الصباح الباكر.. قبيل السادسة

وسط القاهرة..

منتصف شارع سليمان باشا..

فوق سطح إحدى العمارات الضخمة القديمة

لوحة إعلانات عملاقة مصنوعة من الخشب

تهتز لإنها غير جيدة التثبيت..

اللوحة عبارة عن رجل ضخم يرتدي (عفريتة) زرقاء..

يبتسم بسعادة ويلوح بقبضته الضخمة في الهواء..

ومكتوب كلمة واحدة تغطي كل ذلك و بخط ضخم للغاية..

كـــافـــح

~~ والكلمة مكررة مع قبضة متحمسة داخل دائرة حدودها حمراء ~~

خلفية اللوحة مطلية بطلاء اقتصادي أبيض اللون..

لأي طفل تبدو غير متقنة الطلاء.. غير جيدة التنفيذ..

فالأطراف غير مطلية بالكامل.. فالعامل مل من استعجال رئيسه له كل بضعة دقائق.. فهو يطالبه بإنهاء لوحتين كبيرتين في الوردية الطويلة الممتدة لاثني عشرة ساعة..

وهذا هو المستحيل بعينه..

فرئيس كل مجموعة عمل يتعب للحصول على تصاريح دخول وسط البلد وهي عادة تكون ل 48 ساعة فقط ولا تجدد إلا بعد فترة..

وتتكلف الكثير والكثير من الرشاوى.. *لا توجد رسوم رسمية..*

- دخول منطقة وسط البلد يقتصر على من لديه بطاقة بها عنوان سكن ثابت عليها.. غير ذلك يستلزمه استخراج تصريح عمل مؤقت.. أو يلجأ لاستخدام الانفاق.

كل جهة تحصل الرسوم بلا أية أوراق

وتتم المحاسبة مع رئيس الجهة يوماً

بيوم و يورد ذلك كله في مكتب السيد كمال.

- السيد كمال: رئيس الإدارة المصرية.

~~ والكلمة مكررة مع قبضة متحمسة داخل دائرة حدودها حمراء ~~

لا تدري إن كانت القبضة المتحمسة شعار أم سبة قذرة..

فيبدو أن الصيني مصمم الشعار يقصد إنك لو كنت معنا فستكون ذو قبضة قوية.. أما غير ذلك فالقبضة القوية.. في وجهك..

أو في أي مكان آخر بجسدك!!.

~~ والكلمة مكررة مع قبضة متحمسة داخل دائرة حدودها حمراء ~~

~~ القبضة القوية في وسط القاهرة الآن مقسمة بين الصينيين والأتراك و التي باتت مسيطرة عليها تقريباً..

لقد طرد الاثنان الأوربيين منها تماماً عدا منطقة جاردن سيتي التي ظل الأوربيين متشبثين بها بقوة

~~ للأتراك والصينيين حق إصدار تصاريح دخول وسط القاهرة ولا تصدر إلا من مكتب السيد شوكت أو من مكتب السيد باجا..

وهي شحيحة ويصدروها بالقطارة وذلك حسب اتفاقية (عابدين 2029).

~~ العاطلون بمئات الألوف ويجوبون

كل مكان بحثاً عن أي فرصة ممكنة..

ووسط القاهرة هو أفضل مكان ممكن

- عابدين 2029
اتفاقية وقعت عليها جميع الاطراف المتصارعة على وسط القاهرة الأوربيين الاتراك الصينيين.

للحصول على وظائف فجميع الشركات لها مكاتب تمثيل..

وتسمى مجموعات عمل..

* * *

أمام باب العمارة

كثير من القمامة في انتظار من سيحملها..

على رقبة متشرد كل وجهه شعر.. كرتونة مفرودة معلقة بحبل خشن.. لأسباب اقتصادية بحتة طلق الموسى منذ ثلاث سنوات.. وعندما طال شعره وامتلأ بالقمل.. عقصه برباط وجده بالقمامة..

بطلاء أسود وبسبابته كتب المتشرد على الكرتونة..

البورصة ولعت.. فلوسي راحت

ولعت مش طفيانة.. و مراتي راحت

ماتت عيانة.. من الحمى الحمرا بردانة

يا سبتي.. دماغي ضاعت

خدني يا رب..

وديني النار

كان دوما يسير في شارع سليمان باشا جيئة وذهابا طوال اليوم والليلة والناس قد اعتادت منظره وحاله البائس..

الجميع يعلم إنه كان فيما مضى رجل أعمال ومليونير ميسور ثم تغير حاله ليصبح بهذا الشكل..

بجواره وعلى بعد خطوات وسط كوم القمامة..

~~ شجار نهاري مبكر بين اثنان من المتشردين يعبثان في القمامة..

~~ مدا أيديهما معا ليلتقطا ملاءة قديمة متعددة الثقوب باهتة الألوان تصلح كغطاء أو المبادلة برغيف..

~~ اخرج أحدهما – ضخم ذو شعر أسود مجعد – من جيبه قطعة زجاج حادة ملتف حولها خرقة لتكون مدية مؤذية..

~~ طعنها بقوة في كلية الآخر بلا تردد.. بدون تفكير..

~~ يصيح متألما والدماء تنبجز من جانبه.. ويحاول كتم الدماء لتتلوث يده بدمائه الطازجة..

~~ يجذب الطاعن الملاءة من يده..

~~ يتشبث المطعون بها كروحه نفسها

- الجريمة والقتل منتشرين في كل مكان بالقاهرة بسبب وبدون .

~~ بعض المارة تنظر ولا تهتم ثم تبتعد.. ولا أحد يتدخل والكل يتحاشى النظر..

~~ تتمزق الملاءة ولا تصلح للمبادلة ولو برغيف محترق..

~~ تنغرز قطعة الزجاج برقبة المطعون لتنفجر الدماء كنافورة حمراء لا تتوقف والذي يسقط كالجلمود.. والدماء لا تنتهي..

~~ الطاعن يبصق عليه و يمسح قطعة الزجاج الحمراء بملابسه..

~~ يفرد الملاءة ويهزها لتتساقط منها عشرات البراغيث المحتشدة..

تتوقف أمامه سيارة فارهة لم يعد موجود منها إلا عدد محدود..

لا لسبب إلا لندرة محطات الشحن الكهربي وقلة البنزين..

يفتح الباب المجاور للسائق لينزل حارس يبدو تركياً..

في لحظة يظهر حارسان من داخل العمارة يهرولان للسيارة..

ينزل رجل من السيارة.. قوي البنيان ذو عيون زرقاء.. وشعر أصفر..

ينظر له و للمدية الزجاجية والملاءة في يده بلا مبالاة كأنه بصقة..

يتراجع ذو المدية خوفاً منه عندما لاحظ انبعاج المسدس الضخم الواضح أسفل السترة على القميص الأبيض مباشرة..

كان هذا معناه إنه يقدر على سعر الرصاص.. ويقدرعلى سعر الكواء..

وهذا معناه أنه أحد اثنين من الأتراك..

إما أن يكون قائد عسكري تركي ناضج.. قاد موقعة أشداء.. مثل أوغل

أو أن يكون رئيس الحماية التركية نفسه..

شوكت..

بالفعل هو شوكت..

- شوكت: رئيس الحماية التركية
- نائبه ورئيس الاركان أوغل

وقد وصل إلى مكتبه بوسط البلد مبكراً كعادته..

يحاول معه ذو المدية ويقترب منه و يخفيها داخل ملابسه ويقول له بالتركية:

"ناصِل سينيز.. يا بركتك.. أي شغله بأي مرتب؟".

رد عليه شوكت بقرف وهو ينظر إلى ملابسه القذرة والحرس تتوتر وتستعد للتحرك لابعاده عنه:

"هاير.. لا.. ارحل".

يقترب منه ذو المدية ويلمس ذراعه بشكل عفوي باليد الممسك بها الملاءة ويردد بتقطع مشفق:

"بركتك.. يخليك.. يكبر يحبك ويولع عدوك.. أي حاجة.. أي شغلة بأي مرتب".

ترتفع في وجهه فوهات لثلاث رشاشات صغيرة قوية في لحظة..

رفع ذو المدية يده الملوثة بالدماء وهو خائف..

نظر شوكت ليده والذهول يملأه.. وكذلك الحرس ينظرون غير مصدقين..

كان مسدس شوكت الفضي البراق مستقراً في يد الرجل الضخم ذو الشعر المجعد..

استعد الثلاثة لتصفيته وهم ينظرون لشوكت و ينتظرون الأمر.. أدار الرجل فوهته وألقاه من يده على الأرض وصاح قائلاً:

"بداعب.. العذر والسماح.. سلاحك في ايدك يا عظيم".

تفحصه شوكت ناظراً إلى الميت على الأرض.. ما زال يحرك إبهامه أعجب بخفة يده وبقدرته على القتل لذا سأله بالعربية وبكلمة واحدة:

"اسمك؟".

نطق المذعور بهتاف وهو منحني خوفاً من الفوهات الملتصقة بجبهته:

"عبدك مجدي يا كبيرنا.. العذر.. العذر والسماح.. عبدك مجدي".

أمر شوكت رجاله بخفض الفوهات وأشار له بإصبعه بقرف:

"تعالي ورايا".

المتشرد ذو الكرتونة المعلقة يتابع مجدي وهو ممسك بالملاءة ويسير خلف شوكت إلى داخل العمارة ككلب مربوط بسلسلة والحرس يراقبونه ويصوبون الرشاشات إلى رأسه طول الوقت..

نظر له مجدي بمعنى (*"ايها الإست.. لقد حظيت بفرصة"*).

هرش المليونير السابق المتشرد الحالي في رأسه مخرجاً قملة.. وكإجراء طبيعي ابتلعها

كمقرمشات وتسالي نهارية ويتمتم:

"هييبه.. حظوظ".

* * *

نادي الشمس (سابقا).. ملجأ الشمس حالياً

توفيق.. عاطل مصري... يقضي وقتاً مملاً في خيمته بالملجأ..

- توفيق له ابن مختطف منذ 15 عاماً .. اسمه حاتم .. حاول أن يعثر عليه بلا فائدة .. ومع مرور الوقت انجب كريم .

النادي الكبير والذي تبلغ مساحته 450 فدان..

أصبح ملجأ كبير لإيواء المشردين من سكان

العبور بعد أن دمرتها القوات الصينية

حتى لا تحصل عليها القوات التركية التي قهرتها تبعاً لسياسة الأرض المحروقة..

بالطبع لم يستوعب النادي كل المشردين البالغ عددهم ربع مليون ولكن من أسرع وأخذ خيمة بلاستيكية 5 ف 5 اعتبر نفسه محظوظاً..

*ثم قامت الإدارة المصرية بقيادة السيد كمال والإدارة التركية بقيادة شوكت بافتتاح الملجأ بعد شهر واحد حيث امتلأ عن آخره باللاجئين.. وسموه متوى (**خير شمس**)*

كان هذا منذ 11 عاما ساعة اندلع الصراع بين الأتراك والصينيين على المنطقة من الشروق للعبور..

يرفع توفيق صوت مشغل الموسيقى الصغير إلى أقصى درجة حتى لا يتذكر ماضيه وهو يختلس النظر رغماً عنه للصورة الصغيرة الموضوعة على مقعد صغير جوار السرير الوحيد بالخيمة..

عيناه تثبت عليها ويشرد للحظات..

صورة طفل في التاسعة يبتسم بتفاؤل..

~~ ابنه الكبير حاتم المختفي منذ 15 سنة ~~

سأل زوجته سلوى بصوت مرتجف وهو يخفض الصوت:

"ئولتلك بلاش نخلي الصورة دي ئدامنا كده؟".

تواصل عملها على ماكينة الخياطة ذات الصوت المزعج..

وتنظر خلسة للمساحة الضيقة من حولهما:

"احطها وين بس.. ما هي معانا ف كل حتة".

لم يشئ المجادلة في هذا الصباح الباكر..

عاد يرفع الصوت ليسمع الأغنية التي بدأت في الانتشار منذ شهر أو اكثر..

كانت لمجموعة مجهولة من الشباب المصريين..

بلا موسيقى و تعتمدعلى تصفيق المطربين..

♫

عندنا أتراك ~~ بتاخد فلوسك

عندنا صينيين ~~ بتشفط دهونك

عندنا انجليز ~~ بتاكل نجيلك

بس يا خسارة ~~ بس يا خسارة

مفيش مصريين ~~ مفيش جدعان

عندنا حماية ~~ عندنا حماية

قليلة الربابة ~~ قليلة الربابة

- تنتشر الأغاني التي توصف حال البلد البائس ..
- الإدارة المصرية والحماية الصينية تقبض على مؤلفي ومؤدي هذه الاغاني باعتبارها شكل من أشكال المعارضة ..

خفض توفيق الصوت و بدأ يشعر بالصداع يلطمه من صوت الماكينة سلوى تخيط الثياب

وتبيعها على الماكينة الصغيرة ورث أمها الوحيد..

في الجزء الموجودين فيه من الملجأ الكهرباء تعمل 6 ساعات في اليوم.. لذا هي بحاجة لكل دقيقة

والمياه تعمل ساعتين وستقطع بعد نصف ساعة وهي وتريد أن تغتسل في مسبح السيدات وتغسل ملابسهما وملابس ابنهما كريم..

هكذا رشدت المياه والكهرباء إجبارياً منذ عام 2025..

فتوربينات السد العالي لم تعد تعمل بكامل طاقتها بعد استهدافها من قبل متمردي جنوب السودان المدعومين من بواقي إسرائيل..

هرش توفيق بين فخذيه وفكر في الاستحمام في المسبح العمومي الذي تتغير مياهه مرة كل أول شهر.. فاليوم هو *الثامن من فبراير* و المياه ما زالت نظيفة ولا شك قبل أن تتحول إلى ترعة المحمودية مع مرور الأيام من كثرة التبول وغسيل الصحون ليلاً..

تبيع سلوى الإنتاج لمتجرين في السوق الأوروبي بالزمالك..

بينما توفيق كان محلل نظم لشركة فيما مضى..

الآن يتنقل من وظيفة لآخري.. لم تعد هناك نظم تحلل..

اليوم استيقظ مبكراً ليشاهد الفترة المصرية في التلفاز قبل أن يرحل لميعاده..

انتهى عصر الدش.. التلفاز بثه أرضي فقط

- بث التلفاز مقسم على اربع فترات متساوية

الفترة التركية والفترة الصينية والفترة الأوروبية والفترة المصرية..

هي: "حتتآخر على معادك؟".

وكانت تقصد معرفته لنتيجة الوظيفة التي تقدم إليها منذ أيام..

هو: "اجلوه".

هي: "بكرة تاني؟".

هو: "لأ.. ثلاث ساعات بس".

هي: "أسباب أمنية زي كل مرة؟ عشان ضرب النار اللي حصل في وسط البلد امبارح بالليل".

هي ولم تمهله فرصة الإجابة: "سمعت أن نُطر السويس حيشتغل عايد من محطة الجراج ويوصل لمدينة الشادر".

لم يرد لأنه يعرف نواياها بهذا الكلام.. إنها ثالث مرة تلمح.. تتابع وصوت الماكينة يعلو صوتها بطبقات:

"بيئولوا الصيد هناك ربحان.. والعيشة ف المخيمات هرشانة.. احسن من هنا.. على الأئل حانعد جنب البحر تهاويس".

كلامها و صوت الماكينة يثيران أعصابه ولكنه لا يستطيع التعليق..

رفع صوت الغناء ثانية كي لا يسمعها وهي تستكمل المعلومات الكاذبة التي عرفتها عن جمال مدينة الشادر..

سرح هو بعيداً مع كلمات أغنية آخري أعجبته كثيراً رغم عدم حرفيتها لكنها توصف حال البلد بدقة..

* * *

♫

ونروح ونيجي في النفق	زي الفيران	والأجرة.. كيفما اتفق
مش وطماطم كل يوم	وزيت وخل	وتحلى الحياة

لاتؤلي بلد ولا وطن   دي تبئه فل   لو تلائي شغل حلو

ونومة هادية   من غير تلئ   ولا ضرب نار ودبح

وإيييييه من غير سبب

* * *

التحف الكبير.. صحراء الجيزة

- كريم بن توفيق: تلميذ في مدرسة المصريين التركية الكائنة بشارع رمسيس قرب غمرة..

حافلة مدرسية خاصة بالمدرسة التركية

تتوقف بهدوء أمام البوابة الرئيسية للمتحف الكبير..

هبط منها أطفال مصريين ممسكي بأيدي بعضهما وهم في حراسة الجنود الأتراك..

أحمد زميل كريم يحدثه بصوت خافت:

"نفسي اشوف الحواديت عن مصر زمان".

كريم يرد بخبث بما علمه من والده:

"بس يا ريت الجهاز بتاعها يكون شغال.. بابا ئالي إن الأتراك بيعطلوا الاجهزة بتاعة تاريخ مصر مشان يحكو لنا عن الحاجات اللي هما عايزنا نعرفها بس".

تستقبلهم مشرفة المتحف الجميلة بابتسامة وتقول بالتركية:

"هآي صباه لار.. جاهزين لرحلتنا الجميلة؟".

يرد الجميع بابتسامة وبتركية سليمة وبطريقة ممطوطة:

"جاهزين يا معلمة".

يمسك كريم يد أحمد.. مبتلة.. عرق التوتر والقلق..

يتحركوا باتجاه المبنى الضخم الكروي الشكل كالكرة الأرضية والذي بناه الأتراك والصينيين والأوروبيين.. تدخل الرحلة داخل المبنى المكيف المعتنى به جيداً..

يجلسوا بشكل متحضر في مقاعد صغيرة متراصة في صفوف و تشبه الموجودة بحجرة طبيب الأسنان بالمدرسة تميل بهم للخلف بشكل ناعم..

لتطفئ الأنوار تدريجياً ويبدأ العرض المجسم على السقف الدائري..

* * *

داخل ملجأ الشمس

سلوى لا تزال تتحدث عن مميزات مدينة الشادر العظيمة:

"وبيئولوا حيخصموا إيجار الخيمة من فلوس الصيد.. يعني ربحان ربحان.. والإيجار رخيص 5000 ف الشهر".

توفيق ينظر لها ويهز رأسه وهوغير منتبه ويفكر في إجابة سؤال آخر:

~~~ ماذا يفعل محلل اقتصادي ليدبر أمور بيته هذه الأيام؟ ~~~

فكر أن يجرب أخيرا التقدم لشغل أحد الوظائف العامة

المجموعة 65 بوسط القاهرة طلبت أفرادا منذ أيام..

الحلم أن تنجح بلا واسطة..

أجلوا الميعاد بسبب انفجارات منطقة قصرعابدين مرة..

- الواسطة وهي السبيل للحصول على وظيفة بإحدى مجموعات العمل بوسط البلد..
أو أن تكون *ألفا*.

وبسبب الاحتياطات الأمنية مرة لتعرض موكب السيد كمال رئيس الإدارة المصرية لهجوم بالأسلحة الرشاشة مرة..

قيل إنه من تدبير جماعة حالئين.. ولكنها نفت ذلك على لسان زعيمها الريس.. وقال بالحرف الواحد بسخرية: (*يا ربييت.. ربنا يسهل*)

ثم وببيان مطبوع وزع بسرعة في كافة المناطق أعلن تنظيم قاعدة الإخوان مسئوليته عن حادث إطلاق النار وأنه يأسف لعدم مقتله.

لو أجل الميعاد ثانية اليوم فسيتم إلغاء المجموعة حتى إشعار آخر..

لذا تمنى توفيق أن لا يقوم أي فصيل بتنفيذ أية عملية اليوم فقط ثم ليكن ما يكون وليمت من يموت.. سيذهب مع أنه لا فرصة له على الإطلاق..

عرضت سلوى عليه العمل في محل ملابس الأطفال الذي تبيع له.. كان معظم زبائن المحل من الطبقة الراقية أو الأجانب المقيمين..

تقديرات بأن الأجانب المقيمين ربما فاقوا 20 مليون ومن أكثر من 140 جنسية مختلفة.. البلد صارت سلطة كرنب..

حدثته مرة عبراللاسلكي بهمس حتى أنه لم يسمع كل الكلام ولكنه فهمه:

"في فرصة عند واحد خواجة هنا في الزمالك.. ولازم توافئ دلوئتي.. لو صاحب المحل حط ورقة على الباب حاينتهي أمرها في 3 دقائق.. العطلانين حيطلعوا من النملية ف لحظة وياخدوها".

عندها رد توفيق بنرفزة وعصبية من إلحاحها المستمر:

"يا سبتي انطريني من ئوالحك.. حاشتغل بياع في محل هدوم وعند مين الخواجات كمان.. مش لازماني دي شغلانة".

معظم المحلات العاملين فيها من كوبا وقد أدى رخص سعرهم وتوطيد علاقاتهم مع الصينيين إلى منحهم أولوية.. بسبب (قانون الرحمة) 2025 وهو ينص على الآتي:

عن كل عامل من كوبا توظفه لديك:

إذا كانت مساحة محلك <40 متراً يتم منحك خصم ضرائب 10٪.

وخصم 5٪ عن كل عامل كوبي توظفه.. للمساحة من 40 إلى 80

وخصم 3٪ عن كل عامل كوبي توظفه.. للمساحة أكثر من 80 متر

وبحد أقصى 50٪ خصم إجمالي.

وبالطبع لم يصدر الصينيون بقيادة باجا هذا القانون بالتعاون مع الإدارة المصرية بقيادة كمال من أجل عيون المصريين..

هذا القانون صدر من أجل عيون 5 مليون كوبي الذين هربوا على مصر على متن البوارج الصينية العملاقة هرباً من الجحيم الأمريكي الذي اشتعل فوق رؤوسهم فجأة في 2022.

> ـ يسكن الكوبيون في قارة الحدادين غرب أبو رواش ..في مبان تسمى بلوكات المنسيين ..يتزعمهم كوبي اسمه شيه ويلقبونه **بالمبجل** .

والأدق أن القانون لم يكن من أجل الكوبيين كلهم.. ولكن من أجل نسائهم فالكوبيات في نظر الصينيين أسطورة.. والعدد الذي وصل كان بالنصف تماماً اثنين ونصف مليون امرأة وكلهم يعملن بالدعارة المرخصة..

وقد تمركزن في القاهرة الجديدة وامتدادها..

وبنى الصينيين والأوربيين لهن مدينة كبيرة خاصة سميت **مدينة الجمال** بوادي اليهموم جنوب مدينة بدر بنحو 70 كم..

الأوربيون أيضا يرون أن الكوبيات لا تقاوم..

> *ـ مدينة الجمال :*
> تقع جوار جبل يهموم الأبرق .. مصنوعة من المباني المعدنية التالفة من مخلفات الجيش الصيني ..
> ـ أعلى الجبل تم عزل الكوبيات المريضات ..و من تمت منهن تحرق وينثر رمادها من فوق الجبل .

وهكذا صارت المقايضة الضمنية من وراء الاتفاقية التي صاغها الصينيون والأوروبيون..

(سوف نشغل رجالكم مقابل أن تعطونا نسائكم)

وكان عدد النساء لا يكفي الـ 15 مليون صيني وأوروبي و المنتشرين في كل مصر من أسوان حتى الإسكندرية ومن رفح حتى السلوم..

~

الأثرياء من الطبقة الثرية مازالوا يشترون لمواليدهم الملابس الجديدة خوفا من الأمراض الجلدية التي انتشرت بعد الوباء الكبير (2027) والذي قضى على 12 مليون إنسان في خمسة أيام..

ولم يتم إنقاذ الباقيين سوى بعمل المحرقة الكبيرة في صحراء الصعيد لكل الجثث وكل المصابين بعد خداعهم بإنهم سيحصلون على المصل هناك.. لقد احرقهم الصينيين أحياء.. وجلسوا يشربون التان لذكراهم..

لقد كان للصينيين الدور الأكبر في جلب الناس واقتيادهم لهذه المحرقة بواسطة كشوف سموها (كشوف العلاج) ومن يومها أتموا وضع أقدامهم في مصر..

بعدها بعامين فقط كانوا طرفا في (اتفاقية عابدين) ليحتلوا أجزاء في وسط القاهرة الشرقي.. لم يكونوا يحلمون بأكثر من ذلك..

~

عندما يكبر أولاد الأثرياء يقوم أبائهم ببيع الملابس في سوق الزمالك المركزي بعد غسلها بنصف السعر. البنطلون الاولادي بدل 500 يباع بـ 250.. يا بلاش..

توفيق يشاهد شريط متحرك على التلفاز يعرض أسعار **بورصة الخيول**

المتحكم بها هو الجانب التركي الذي أنشئها في 2034 فيما كان يسمى بنادي الجزيرة لتلقى رواجاً بعد انتهاء عصر السيارات تقريبا..

ولشراء خيل أو حمار أو بغل لابد أن يكون لديك العملة التركية يكبر

وهذا قوى عملتهم بلا شك وجعلها بقامة وقوة اليوان واليورو..

الحصان السليم يقترب سعره من 240 ألف يكبر..

وهذا يساوي عمل عامين من مرتب توفيق لأنه يتقاضى نصف المرتب لأنـه داخـل في نظـام الحماية التركية المسمى (معن)..

ونصف مرتبه يذهب للأتراك التي توفر الحماية لحاملي بطاقات (معن)

كما توجد عدة حمايات أخرى منتشرة..

الصينية واسمها (كافح) واعلانتها تملأ الشوارع وتأخذ 45٪.. الأوروبية وهي أعلاهم تكلفة حيث تتطلب خصم 65 ٪ من المرتب نظير الحماية و اسمها (ايليت)..

وشعارهم المكرر في الإعلانات..

(إيليت.. الأغلى ولكننا الأسرع والأقوى)..

زفر قائماً من مكانه بآلية بعد أن سمع الصفارة التي تنبئ بأن الإفطار وصل إلى قاعة الطعام الرئيسية بالملجأ.. الرجال يأكلون ويأخذون نصيب نسائهم والأطفال..

فالخوف من الحمى الحمرا ما زال مستمراً..

عندما يسمع توفيق الصفارة ويرى الصفوف المتراصة من الرجال داخل قاعة الطعام يشعر إنه في السجن المصري أو في الجيش التركي.

* * *

يتتابع العرض في المتحف

صوت رجالي قوي مع تتابع لصور ملونة ثابتة تشرح الكلام..

"القنبلة القذرة الثانية تنفجر شمال الولايات المتحدة وضياع نصفها المتبقـي في 2022.. واعلان تنظيم القاعدة بأنه قد هزم أمريكا".

صورة ملتقطة من مصور هاو لحظة انفجـار القنبلـة بقلـب ديترويـت.. لا أحـد يعلـم كيـف وصلت لوسائل الإعلام..

"لتغرق الإمبراطورية السابقة في حرب أهلية"

صورة لدبابة أمريكية لفصيلة الجنوبيين تقصف مبنى الكونجرس المحتل من قبل اليوركس..

"وهكذا أصبح لأمريكا ثلاث عواصم بدلاً من واحدة.. واشنطن.. نيويورك.. لوس انجلوس"

صورة مقسمة لثلاث أجزاء تظهر كل عاصمة وعلمها ورئيسها..

"وكل عاصمة لها رئيس وعلم وسلام جمهوري وتمثيل دولي وتحاول كل واحدة الظهور بمظهر عالمي أفضل من الأخرى"

صور متتابعة لكل رئيس منهم وهو يستقبل شوكت أو باجا أو وليام..

"ولأن البنزين صار شحيحاً ويهرب عبر الدول المنتجة.. كما انتهى إنتاج الطاقة البديلة بسبب الغبارة 2028.. عاد الناس للخيول ثانية"

صورة لعربة تجرها خيول وعليها بشر كثير..

"كما انتشرت عربات اليد التي يجرها البشر".

صورة لعربة يد يجرها إنسان وبها شخص سمين والسائق يحزق

تضحك الأطفال كثيراً لهذه الصورة التي يروها كل يوم في الطريق وفي كل مكان حولهم..

كانت مهنة قاسية لم يعتادها المصريين ويحمد السائقين المصريين الله إنهم باتوا خفيفي الوزن من قلة الطعام وكثرة الحركة ولم يكونوا مثل أسلافهم..

والأجرة دائما كما هو معلق داخل كل عربة حسب الوزن.

يقترب رجل بنظارة سوداء وبدلة من أذن المدرسة التي تقف لتراقب الأولاد وهم يشاهدون العرض..

يهمس بالتركية وبصوت أجوف مخيف دون أن ينظر لها:

"هل جاء معهم اليوم؟".

ترد دون أن تنظر وتعرف أن المقصود كريم توفيق:

"نعم.. ولم يدفع القسط كما كان متوقع".

يهمس وهو ينصرف بعد أن لاحظ بعض النظرات من أمن المتحف:

"ممتاز.. تعرفين ماذا ستفعلين.. الاثنان.. كريم وأحمد"

~~

تتابع المدرسة مشاهدة العرض وهي تنظر إلى كريم المأخوذ تماماً..

"في الخليج عاد العرب إلى خيمهم والتكسب من إلقاء الشعر في الأسواق.. عادوا إلى مهنتهم الأثيرة.. صيد اللؤلؤ".

صور صيادي اللؤلؤ الجدد ببدل غطس وأنابيب أكسجين

"أبراج دبي صارت خالية إلا من الغربان.. فمن يطق العيش بها في درجة حرارة 58 مئوية بلا مكيفات"

صور لبرج دبي من الداخل وهو فارغ تماماً والكلاب تمرح في الاستقبال..

"سكنها الهنود لبعض الوقت وسموها (دبي الهندية).. ثم ما لبث أن رحلوا بعد أن ملوا منها"

صور لومسات تقبض بالروبية من بحار إيطالي وخلفها تبدو أبراج الرمال الخالية تماما..

"الآن صارت بعض المباني في وسط المدينة تستعمل كمواخير رسمية للبحارة العابرين على المدينة من أجل الراحة".

"الحج إلى مكة صار مجهدا وصعبا".

صورة للكعبة وهي خالية تقريبا في موسم الحج..

"وصعب الحال على السعوديين من قلة الموارد.. فلقد انتهى البترول الذي كان يهبط عليهم بثروات هائلة.. ولا موارد هائلة من السياحة الدينية..

فصار من العادي أن تجد شحإذا سعوديا بالجلباب الأبيض والعقال والشماخ الأحمر يشحذ في شوارع القاهرة..

ويعرض عليك إلقاء أبيات من الشعر القديم مقابل حفنة من الجنيهات".

صورة لشحاذ سعودي في قلب القاهرة.. يشحذ من رجل عابر ليس أفضل منه حالاً..

والصوت يقول:

"وهم دوماً يرددون بتكرار: (من أجل زمزم)".

* * *

ملجأ الشمس

دوي صوت طلقات يتردد صداه من مكان قريب..

توفيق ينطلق من المطعم مع باقي الرجال خارج القاعة الكبيرة.. تسلق عامود قريب من باب المطعم والشوكة بفمه..

العامود مخصصاً للمراقبة مليء بالبروز ليسمح بسهولة التسلق..

من اعلاه شاهد المهاجمين خارج أسوار الملجأ..

فردين يهرولون من بيت مجاور ويطلقون النار في الهواء..

لمحه أحدهما وهو واقف مع آخرين فوق العامود..:

أشهر مطواة قرن لتوفيق وقد ارتدى فانيلة مرسوم عليها نخلة مائلة..

وقام بتمرير المطواة على رقبته بمعنى "*سأذبحك*"..

اخرج الآخروهو ضخم كالثلاجة عبوة اسبراي من أسفل ملابسه وكتب شيئاً على الأرض أمام المنزل الذي سرقوه وقتلوا من فيه..

- *مجموعة حالئين*
- اسسها سعيد الحلاق .. قتله الصينيون .
- يتزعمهم حاليا الريس .
- تسيطر على كافة المناطق العشوائية.

من أسفل يسأل الناس توفيق عن كنه المهاجمين ليرد بيقين:

"حالئين مؤكد".

توفيق يتأكد من الشقة التي هجموا عليها بالمنزل الصغير

وقد هربوا بحصانين سريعين:

"بيت أ. حسني الله يرحمه".

~ كان لجماعة حالئين ظهور واضح بعد صدور قانون الرحمة..

~ الجماعة كونت من شباب العاطلين من سكان العشوائيات بالقاهرة.. أكثر من مليون شاب غاضب..

~ تزعمهم سعيد.. لم يستطع أن يحتمل الضرائب التي فرضها رئيس الحماية الضينية باجا على أرباب محلات الحلاقة وكون مع مجموعة آخرى من حلاقي المناطق الشعبية جماعة سرية وبدئوا في الإغارة بعشوائية على تجمعات الجنود الصينيين..

~ لم تدم سرية الجماعة إلا خمسة شهور لتكتشف.. ليلقى مصرعه حرقاً في محله في مواجهة ليلية قوية مع القوات الصينية بقيادة أوغل..

~ فكان اسمهم حالئين تيمناً بقائدهم ووفاء لمهنته..

~ *ليقودهم (الريس) وهو شخصية كاسحة لا تخلو من طرافة التناقضات..*

شقة أستاذ حسني المجاورة للملجأ كانت مسكونة من اثنين من عصابة فرداني بعد أن قتلوه ورموه في الشارع أمام صندوق القمامة قبالة ملجأ الشمس..

ظل ملقى هناك لمدة أسبوع دون أن يلمسه أحد..

عصابة فرداني تقتل وتسرق بشكل عشوائي.. ويتزعمهم رجل اسمه فرداني.. لا يعلم له مكان.. ولكن دوافعه واضحة.. المال.. والمال فقط..

أستاذ حسني كان يعيش وحيدا بعد وفاة زوجته..

عصابة فرداني :
- اسمها فرداني ..
- يسرق ويقتل من أجل المال
- يسعى لأخذ شعبية الريس ..

في الغيمة الكبيرة 2035

رجل آخر على العمود مجاور لتوفيق

يتمتم له وهو ينظر معه للاشيء:

"عايد عايد.. الموضة الجديدة.. حالئين بتموت ناس فرداني محدش عارف غرضهم إيه".

توفيق ويتابع اختفاء رجلي حالئين تماماً على ظهري الحصانين:

"بيئولوا غرضهم تطهير البلد ومشان يكسبوا ود الشعب و مشان لما يضربوا ضربتهم الكبيرة الناس تئف معاهم وتساندهم".

وتابع ممسكاً رأسه وينزل على الأرض ويسأل الرجل الذي لا يعرفه :

"يا سبتي يا مخي.. عندك حاجة للصداع يا صاحب؟".

الرجل الشهم نادر الوجود وينزل على الأرض برشاقة :

"في ئرصين لزام بائيين عندي من الشريط اجيبهم ونبئى نتحاسب بعدين؟".

توفيق ممسك رأسه ويقول له رأيه عن لزام:

"الهنود بيدهولنا ئصاد الفول اللي بيزرعه الصينيين على ارضنا ~~

عندك صداع قرص لزام ~~

مغص وبطنك بتوجعك.. قرصين لزام.. ~~

إيدك ولعت والنار مسكت فيها.. ادهنها لزام.. وابئى ئابلني ~~

بواسيرك بتنئح إلبس كام ئرص.. بينفع كمان لبوس ~~

بس ماتكترش مشان الحرئان ما يزدش ~~

شفت تخريف اكتر من كده؟ دوا كعب داير".

ثم حيا الرجل وانصرف..

حياه على كرمه وإنه لم يكذب ويقول له أنه لا يمتلك لزام.. ليس هذا فحسب ولكنه عرض أنه (*يتحاسبوا بعدين*)..

إنها أخلاق نادرة الوجود في هذا الزمان.. زمان قتل فيه الإنسان إنسان آخر..

من أجل ملاءة قديمة.. مخرقة..

مليئة بالمقرمشات النهارية ! !..

* * *

<u>التحف الكبير</u>

ويختتم العرض بآخر جملة :

"إن الحماية الأجنبية في مصر تقوم بدور هام للحفاظ على هذا الوطن الغالي.. مصر..

فالتركي أصبح مصري.. وكذلك الصيني.. وكذلك الأوروب"..

صور أتراك وصينيين وأوربيين.. يبتسمون ولكن لا يجلسون مع بعض.. بل الصور لكل فريق

على حدة..

"جميعا شربوا من مال النيل.. جميعاً أكلوا من أرضه الطيبة.. واستظلوا بسمائه الصافية.. (لاحظ كريم الخطأ في مال وليس ماء).

وعند الضرورة.. رووا أرض مصر بدمائهم الغالية".

صور لمعارك متعددة مليئة بجثث القتلى.. لا يفهم منها شيء..

"فهنيئاً لنا جميعاً مصر وطننا.. وهي بلدنا.. بلدنا جميعاً".

تصفيق من أحد الحاضرين..

ويبدو أنه من الكبار فصوت التصفيق عالي على أن يكون صادر من صغير..

نظر كريم بذكاء من وضعه المائل للخلف في الظلام إنها يد المدرسة..

لاحظت إنه كشفها.. تمتمت لنفسها:

"ولد ذكي"

عدوى التصفيق تنطلق من يد كل الأطفال وهم مقتنعين بما قيل.. أما كريم فلم يصفق.. لأن الكلام لم يعجبه.. ومليء بالأخطاء..

والمدرسة وتشد ملابسها وتتجه ناحيته بالذات بوجه جامد وتهمس:

"تستحق أن تكون معهم.. مع خيرجند".

* * *

بعد ساعتين.. خيمة توفيق

مدخل الخيمة المغلق.. كريم يصفر بفمه صفارة حزينة باكية..

يقطع اللحظة الرومانسية.. سلوى تتعجب وتقوم من جوار توفيق المغمض العينين ويفكر في اسباب مجيئه السريع ويقول:

"عجبي واستغرابي.. هو جه بدري ليه؟".

ذهبت لتفتح سحاب الخيمة ليدخل كريم مطأطى الرأس.. يرتجف..

جلست و أخذت تدفىء كتفيه لتحاول تهدئته من الارتجاف العنيف وتقول:

"عجبي واستغرابي.. مالك.. حزنان قرنان".

بالدموع يجيب ويجاهد لمنعها من الانزلاق:

"المعلمة جاتلي خصوصي بعد العرض الأول".

خمنت هي وتوفيق ما سيقوله بعد ذلك إلا إنها تظاهرت بالعكس.. بينما توفيق على السرير ينظر له دون تعليق ليكمل كريم:

"أنا وأحمد وعلي وعبد الرحمن وثالت: مش حاتكملوا مشان ما دفعتوش القسط الجديد.. ثلثالها: العذر والسماح نجيبها لما الفرج يحضر.. ثالت: ما يشفعش.. ورجعونا في الاتوبيس باكيين".

الأم بعصبية وتترك الخيط والأبرة من يدها:

"يا سبتي.. طب كانوا طلعوكوا ليه من أول اليوم؟"

كريم ويمسح دموعه المنهمرة ويرتجف ويخبرها بما قالت المعلمة:

"ماخدوش بالهم م الاسامي إلا لما الحافلة طلعت بينا"

ويبكي متذكراً زملاءه الذين نظروا وهو راحل نظرة فقر واستعطاف..

احتضنته سلوى بحنان وخلعت عنه حقيبة الشطائر من على ظهره لتخفف عنه.. لقد تعبت أسبوعين من العمل لتوفر له ثمنها..

كان يذهب لمدرسة المصريين..

المدرسة تتبع الحراسة التركية.. لقد اختاروا لها هذا الاسم حتى يجذب المصريين.. الأهم من اسمها إنك تضمن بها لابنك وظيفة بعد المرحلة الثانوية..

انتهى شيء اسمه الجامعة.. من يريد أن يكمل تعليم عالي عليه أن يقسم الولاء.. إما للصينيين.. أو الأوربيين.. أو الأتراك!!..

عندها فقد صار ابنك تابعا لهم بالفعل وهو ولاء أقوى من ولاء للدين!!

فلا يمكنك تغيره ابدًا.. وإلا الموت..

لم تكن مجرد اتفاقيات على ورق.. بل هو تغيير في اسلوب حياة البشر وتحكم في مصائرهم.. وتطويع لما تعودوا عليه لمئات وآلاف السنين..

اتفاقية التعليم 2033 بين الصينيين والأوربيين والاتراك

سلوى وهي تضم كريم إلى صدرها:

"مفيش مشكلة.. حنذاكر هنا زي ما اتفقنا.. ربحان"

كريم ببكاء اختلطت فيه الدموع بالمخاط:

"عايد.. عايد.. أنا عايز اكمل ف دي المدرسة".

وانتابته نوبة الكحة العصبية بشكل متواصل لا ينقطع..

تكمل الاغراءات البسيطة المتوفرة وهي تدعك صدره بحركة دائرية:

"حاتلعب مع بابا لعبة المستخبي.. الشهر الجاي حاجبلك لعبة ابهار"

وامسكت بالقلة الفخار لترش منها على وجهه رشات خفيفة..

كانت قد اتفقت مع صاحب محل لعب اطفال على تفصيل فستانين لحفيدته مقابل لعبة جديدة..

هدأت كحته لتصبح متقطعة لتقول له وهي تناوله نقوداً معدنية:

"يلا.. غير هدومك و روح هاتلنا جيلات قبل ما الكهربا تئطع ويسيح وينباع شربات".

ذهب كريم يتبعه توفيق ببصره وينظر إلى سلوى بعمق..

توفيق يقول لها بعينيه دون كلام:

(لابد من حل).

سلوى ترد بأمل بوجه مرهق من السهر والعمل المتواصل:

"يعدلها".

صوت تصفيق عالي من على باب الخيمة يستأذن في الدخول..

ينظران إلى بعضهما ويتساءلان بلا كلام:

(من هذا الزائر المفاجئ؟).

* * *

القاهرة.. منطقة العجوزة

في أرض كانت فيما مضى هي أرض السيرك القومي..

أكواخ خشبية ممتلئة بالسكان تملأ جنبات أرض السيرك..

محمود مصري عاطل أيضاً يعيش مع زوجته هدى وبنتهما قسمات..

سمى بنته على اسم بنت السلطان التركي يكبر الثاني التي توفت عام 2040 باسطنبول نتيجة لإصابتها بالحمى الحمراء..

وبذلك ضمن سكن بالكوخ رقم 38 بعقد 39 سنة في معسكر السيرك..

محمود يستعد للخروج ويربط حذائه القديم المرقع..

هدى تنظر له باستغراب وقد جهزنفسه مبكراً:

"يووم.. لسه بدري على ده المشوار؟"

محمود يوضح ويزفر الهواء بقوة وزهق من صدره:

"يهوووتء.. عئبال ما النفئ يفضي.. ائفلي الباب ورايا زين".

تعلقت قسمات ذات العشر سنوات بعنقه بقوة.. قبلها محمود بين عينيها وهو مغمض العينين بحنان بالغ وقال:

"دير بالك من ماما".

قسمات وهي متعلقة به بقوة:

"يكون.. بس هاتلي جيلات ما يكون سايح شربات".

مجدداً حضنها وقبلها بين عينيها بقوة وهو مغلق العينين..

بتلقائية وكروتين عادي ترتدي هدى حقيبة وسط صغيرة بها جهاز لاسلكي ولاسع محلي من صنع حالئين ومنتهي الصلاحية..

وضع محمود اللاسلكي الصغير بجيبه..

مهيأ للاتصال بينهما في دائرة 50 كم..

المحمول اختفى من العالم بعد الغبارة 2028..

- اشهر الماركاته (نوكيارولا) ..

- يقومون بانتاج اجهزة اللاسلكي وبيعها عبر العالم

- الربح يأتي من البطارية الغير قابلة للشحن وبيعها بسعر جيد في المتناول

- 100 جنيه كل شهر.. البرغاي أكثر

ودعها ككل يوم ويتحاشى النظر لعينيها:

"ما اعرف حارجع امتى ائفلي الباب ترابيس".

وأغلق خلفه الباب الخشبي الضعيف بسرعة..

أغلقت هدى الباب بثلاث مزاليج وكرسي لم يعد يستخدم سوى لغلق الباب..

وسندت رأسها على الباب تفكر وهي تسمع صوت أقدامه المسرعة في الانصراف..

قالت لها قسمات وهي ممسكة برجلها:

"مالك..".

دارت هدى عبرة وحضنتها لتقول:

"حبة تهاويس في الدماغ".

ثم قالت لها بحماس لتشغلها عن دموعها التي تسيل رغم عنها:

"إيه رأيك نشوف مع بعض ألالبوم اللي بابا عامله".

على الرغم من أن قسمات شاهدت الألبوم المتضمن على صور ومشاهد من تاريخ مصر والذي أعده والدها عدة مرات حتى حفظته إلا إنها تحمست لحماس والدتها الزائف وقالت:

"يكون.. بس أنا اللي احكي".

* * *

ملجأ الشمس.. خيمة توفيق

توفيق واقف أمام الضيفان الضخمان اللذان جلسا على الأريكة الوحيدة الضيقة ليلتصقان ببعضهما ويميلان للناحية اليسرى لكسر في قدمها الخلفية:

"العذر والسماح.. أي خدمة؟".

كانا شكلهما لا يوحي بأي عذر أو سماح..

تركيان من رجال الحماية التركية.. هذا واضح من شكلهما والسلاح المعلق على جنبهما.. يحاولان أن يبدوا ودودين..

يحمل أحدهما ملف من الأوراق.. والآخر ينظر لمحتويات الخيمة القليلة.. وهو يبحث عن شيء ما أو شخص ما..

فكر توفيق في كل الاحتمالات الممكنة..

~~~ ربما جاءا لأنه لم يدفع قسط الحماية (*معن*) ~~~
~~~

ابلغهم منذ فترة إنه في بطالة.. مرحلة انتقالية..

و مازال أمامه الفترة القانونية المسموح بها.. 45 يوم..

مباشرة يسأله الذي يحمل الأوراق ليقطع تفكيره:

"وين ابنك كريم يا أستاذ توفيق".

سلوى تخبط على صدرها من وراء الستار الذي يقسم الخيمة إلى قسمين بالعرض..

تضم صورة أخيه الكبيرحاتم إلى صدرها بقوة..

الجميع يتحدث في الخفاء عن رجال الحماية التركية الذين يزورون الأسر بغتة ويسألون عن أبنائهم..

ويأخذونهم حيث لا يرونهم ثانية..

الجميع يتحدث.. والبعض ذهب للشكوى..

ومن يذهب للشكوى لا يرجع.. ومن رجع يبقى صامتاً.. ثلاث من الآباء انتحر فور عودته.. بصوت مرتجف يسأله توفيق:

"بركتك.. ماله كريم؟".

الرجل ذو الأوراق بشكل حاد غير ودود

وقد نفذ صبره:

"عايزين نتكلم معاه كلام مخصوص".

الرجل الآخر يحسن الصورة:

"عايزين نكشف على كريم.. في اشتباه إنه عنده الحمى الحمرا"

توفيق مستنكراً إصابة صبي في العاشرة بها:

الحمى الحمرا :
- مرض غريب لا علاج له يصيب النساء.
- من أشهر ضحاياه قسمات بنت السلطان يكبر الثاني.

"عجبي واستغرابي الحمى الحمرا.. دي بتيجي للنسوان مخصوص".

وكان يعلم أن هذه هي الحجة التي يؤخذ بسببها معظم الأطفال..

الرجل الآخر مل من هذا الحوار واخرج الأوراق وناولها لتوفيق:

"أنا قدامي فرصة عمل يا استاذ توفيق في المجموعة 65 في وسط البلد.. النتيجة اليوم.. واسمك تاني اسم في كشف الفالحين".

كان العمل في مجموعات وسط القاهرة هو ضرب من المستحيل للعامة

كان مقصوراً على المقربين من الأجانب أو لرجال الإدارة المصرية فقط. وهذا تابوه لا يحطم..

وظائف مريحة.. مرتبات مجزية.. علاقات قوية تضمن كل التساهيل..

توفيق خائف مما يجول بخياله ولا يصدق ويسأله:

"وإيه مقابل الوظيفة الربحانة دي يا ترى؟".

الرجل بشكل قاطع وواضح ودون مواربة:

"كريم حايجي معانا.. حايتغلف".

توفيق ويقوم من مكانه ثائر مهتاج:

"يهووووتء.. يجي وين.. أنت اتجنيت ده صدره بيوجعه وبيكح".

الرجل يخرج مسدس ضخم فجأة وتختفي الابتسامة من على وجهه في لحظة ويبرطم بعربي تركي:

"أنت اتجنيت.. أنا اطخك حالاً.. اقرأ اتفاقية اللي بين حكومتك و حكومتي.. اقرأ".

وألقى الورق في وجه توفيق ليرتطم به بقوة ويسقط على الأرض..

كان توفيق يعلم باتفاقية التآخي 2033 التي تسمح للجانب التركي وبشكل ملتف بالتحفظ ولفترة مفتوحة على من تريد من الشعب المصري إذا كان هذا فيه مصلحة الفرد..

الآن الحجة أن كريم مشتبه بإصابته بالحمى الحمرا..

الحمى التي تصاب بها السيدات والبنات فقط.. وعندما يأخذوه سيختفي..

سيسأل عنه و سيخبرونه إنه معزول حتى لا يصاب أحدا.. وهي ما يسميه الأتراك.. التغليف..

توفيق إنهار على ركبه وقد أيقن أن كريم سيؤخذ لا محالة..

الرجل يقوم ويكشف الستارة بقوة عن سلوى التي تبكي ويسألها:

"وين هوا؟".

سلوى تبكي وتتوسل له ممسكة ببنطاله من قدمه:

"يا بركتك الله يخليك.. ده هو اللي حيلتي.. مش كفاية أخوه راح.. يبئى الواد وأخوه".

توفيق مذهول وجالس على ركبه ولا يقدرعلى الحركة كأنه شل..

كريم واقف على باب الخيمة وقد وجد أن الآيس كريم لن يأتي اليوم:

"بابا.. فيه إيه؟".

يلتفت الرجلان وتوفيق يصيح فيه ويأمره:

"اهرب.. اهرب.. متخلهمش يمسكوك".

يجري كريم بسرعة وقد فهم الأمر..

يلتفت الرجل لتوفيق ويلطمه ليسارع الاثنان بالجري وراء كريم..

بعض الجيران متجمعة على باب الخيمة وتسمع..

تختبئ عند رؤيتهم الرجلان خارجين وسلوى تحاول استجدائهم بلا فائدة والرجل يرفسها بقوة في جنبها لتسقط على الأرض..

سلوى تنتحب وتمنى الموت.. تقترب من توفيق الذاهل وتلطمه وتقول:

"اعمل حاجة.. الواد راح.. الواد راح".

وترتمي في حضنه وتواصل العويل غير مصدقة..

الجيران يضربون أكفهم من الحزن ولا يقدر أحدهم على فعل شيء..

يمد توفيق يده ممسكاً بأوراق الاتفاقية.. وورق العمل الخاص به..

يعصرهما بقوة..

لتتساقط دموعه ودموع سلوى عليها..

لتبتل تماماً..

* * *

على مسافة من معسكر السيرك

محمود يسير في الشارع وهو يفكر فيما سيفعله..

سيبحث عن عمل بأية طريقة..

لا يوجد معه تصريح لدخول وسط البلد..

لذا سيلجأ للحل الذي ابتكره المصريون للتغلب على هذه المشكلة..

~~ الأنفاق ~~

ممتدة عبر أنحاء القاهرة تحت الأرض..

متاحة 24 ساعة من أي منطقة لآخرى

يكلف استعمال الانفاق 50 جنيه في المرة الواحدة

والأجرة حسب طول المسافة.. كل مجموعة تحفر الأنفاق حتى تصل بسكان حي إلى حي

ينتمي لقوات حماية أخرى..

فالأتراك يحفرون نفقا ليعبر من منطقتهم لمنطقة تحت سيطرة الصينيين، ويأخذون أجرة مقابل عبور لكل مرة..

والعكس من منطقة تخضع للصينيين لمنطقة تخضع للأتراك.. وكذا الأوربيين.. لكن أنفاقهم أشبه بالملاهي منها بوسائل المواصلات..

حتى حالئين لها أنفاق.. وفي أماكن متميزة..

وتسعى كل مجموعة لكشف أنفاق المجموعة أخرى لتدميرها حتى تكون لها اليد الطولى في هذا الدخل المتميز..

سار محمود حتى الناصية القريبة من مطعم نعمة.. المطعم مليئاً بالجنود الصينيين الذين يتناولون الإفطار عنده..

حواوشي كعادة الجنود الصينيين في كل المناطق.. فهم يأكلون بنصف الثمن وأحيانا بلا ثمن..

محمود يتمتم بقرف وهو يمر من إمامهم ويشم رائحة لحم الأرانب العطنة:

"الله يئرفكوا.. خركوش صباحي".

* * *

<u>معسكر السيرك</u>

فوق السرير.. كوخ محمود..

تفتح قسمات أو كما تدللها أمها سومة غلاف الألبوم الكبير ببطء كما فتحته أول مرة..

تسأل الأم وهي تنظر لها بعينيها الواسعة الجميلة:

"احكي.. ولا تحكي أنت؟".

الأم وهي تبتسم لأن البنت تشبه أباها تماماً:

"حنحكي سوا".

قرأت قسمات أولا الإهداء المكتوب في ركن أول صفحة من الألبوم تركها الأب فارغة بلا صور:

"إلى جميلتي رانيا التي اسميناها قسمات من أجل كوخ خشب"

بدأت مع أول الصور.. كانت تنظر لها وتقرأ تعليق الأب الذي حفظته والمكتوب بخط يده أسفل كل صورة:

"2014 أمريكا – الله لا يرحمها – ضربت إيران

2016 إيران دمرت وردت على إسرائيل

2018 مخدر سييد الرخيص ينتشر حول العالم ويدمر الشباب

2020 عام الفوضى الشاملة.. وانهيار معظم الحكومات والأنظمة العالمية تبعاً لنظرية الدومينو

2020 القنبلة القذرة الثانية تنفجر في أمريكا.. أجهزت عليها

2025 قانون الرحمة الخاص بالكوبيين.. واستهداف توربينات السد العالي من قبل متمردي جنوب السودان بدعم من بواقي إسرائيل

2027 الوباء الكبير بمصر قضى على 10 مليون في يومين

2028 الغبارة أنهت الاتصال بالمحمول واللاسلكي بديلاً عنه

2029 اتفاقية عابدين لتقسيم وسط القاهرة

2030 اتفاقية المدن المصرية بين الصين وتركيا وأوروبا

2031 الصين تتوسع وتفتتح ميناء إمبابة

2033 اتفاقية التعليم و اتفاقية التآخي

2034 الأتراك ينشئون البورصة ويوقعون اتفاقية استبينا مع حالئين

2036 الحرب الحرارية بين الصينيين والأتراك على المنطقة الشرقية من بدر حتى الهايكستب

2040 الوباء الأحمر باسطنبول يحصد **14** مليون في يومين

2042 معركة أشداء بين الأسطولين التركي والصيني أمام الإسكندرية.. وتحطم الأسطول الصيني

2044 موقعة الشرف.. استرد فيها الصينيين هيبتهم من الأتراك

2046 اتفاقية تعاون بين الإدارت التركية والصينية والأوروبية

وبعد أن أنهت نظرت إلى أمها التي لم تعلق بكلمة لتجدها شاردة تنظر بعيدا سألتها وقد خافت أن يكون بالأمر خطأ ما:

"حلو.. ولا عكيت؟".

حضنتها الأم وهي تنظر إلى ماوراء ظهرها من الشباك الضيق إلى المعسكر المزدحم وقالت:

"حلو طبعاً يا حبيبتي.. حلو".

* * *

<u>الدويئة.. شرق القاهرة</u>

الحصانان يقفان أمام بيت قديم أعلى الجبل بمنطقة الدويئة..

ينزل منهما الاثنان نخلة و باضونيوس في سرعة ويربطوه في قائم معدني..

يحمل كل منهما كيس مخدة كبير وبه ما سرقوه من بيت أ.حسني

كانت الدويئة تتبع حالئين شأن معظم المناطق العشوائية بالقاهرة

حيا نخلة الحراس القابعين أمام باب البيت وأشار لهم بأنه يريد الصعود دون كلام.. أفسحوا له وللآخر المجال دون كلام وهم يراقبون ظهورهم لعل أحدا تتبعهم..

بخطوات سريعة صعد الشاب الطابق الأول المصمت بلا أبواب ثم آخر مثله.. ثم أخيرا الطابق الثالث حيث باب شقة أنيق وحيد مفتوح..

تنحنح الشاب ويتبعه الآخر وهو يلهث لضخامة كرشه..

صوت الريس زعيم حالئين الخشن يرد من الداخل:

"احضر يا نخلة.. أنت داخل ميضة يا روح أمك".

والواقع أن نخلة لم يكن طويل للغاية..

إنما سماه أباه ذلك تيمناً باسم نوع المعسل المشهور..

أما الآخر أبوكرش.. باضونيوس.. اسم أطلق عليه لغتاته الشديدة..

دخلا ببطء ومهابة ليلتحما بالدخان الأزرق الممتلئ به المكان..

الريس رجل في الخمسين غامق اللون وجهه رفيع مشفوط..

مضجع على كنبة ضخمة من منهوبات قصر عابدين..

يرتدي جاكت جلد أسود.. وتي شيرت أحمر وحول رقبته أربع سلاسل ذهبية وفضية.. وفي أصابعه خواتم كثيرة..

نهبت حالئين الكثيرمن محتويات القصر في أحداث فوضى 2028 آثر الغبارة قبل أن يضع الصينيين أيدهم عليه مع بدايات 2029 ويطردوا منه حالئين تماما..

ليجري بعدها اتفاقية تقسيم القاهرة.. ومعها يتم تقسيم قصرعابدين بين الثلاثة.. باجا

وشوكت ووليام..

كان بجوارالريس امرأتان مثيرتان.. واحدة منهما تحكم وضع الفحم على الشيشة..

والأخرى تقشر له موزة كبيرة وهي تلعب له في.. شعره.

الريس وهو يقضم نصف الموزة من يدها ولا ينظر لهما:

"عملت إيه يا حُوء أنت وهو؟".

نخلة يريد أن يثبت كفاءته حيث إنها ثاني عملية يكلفه بها:

"تمام يا ريس.. مهلبية".

الريس يتأكد من إنهم قتلوا رجال فرداني:

"عايد عايد.. خلصتوا على أبوهم؟".

نخلة بتأكيد ويمرر إبهامه على رقبته:

"تلفناهم وسبناهم مخرمين ثوالح".

الريس مستحسناً الوصف الدقيق لما فعلوه:

"جدع يا نخلة.. عايني جبتوا إيه؟ كيف أنت يا باضونيوس".

باضونيوس يتمتم بلا صوت وعينه على التي تضبط الشيشة..

بينما نخلة عينه على اللي تقشر الموز.. تقشر الموزة ببطء شديد وتنظر لنخلة..

فتح الاثنان كيس المخدة ويفرغان المحتويات على الأرض.. مشغولات ذهبية كانت تخص المرحومة زوجة أستاذ حسني..

كذلك كان هناك مبالغ مالية لابأس بها.. يبدو إنها من مسروقات رجال فرداني الذين سكنوا الشقة.. وكذلك بعض التصاريح الخاصة بدخول وسط البلد ومصر الجديدة.. وسنجة وعدة

مطاوي قرن صدئة..

وجهازي لاسلكي.. وبعض البطاريات.. واثنين من اللواسع..

البنت اللي تقشر الموز تمد يدها على غويشة وتلبسها..

الريس ويلطمها بقوة ويقول بصوته الأجش:

"ايدك يا بنت الكوبية.. ده مال عام".

أصبح المصريين يشتمون بعضهم بابن الكوبية على إنه ابن زنا..

تطيرالفتاة لترتطم بالأرض وتصرخ.. نخلة يلحق بها ويمد يده ليساعدها

الفتاة تزغرله و تقوم بلا مساعدة وتقول وهي تنفض نفسها:

"حاسب تسيل مدامعك يا جرش".

استشاط نخلة غضباً وهم بلطمها لأنها نعتته بالجرش وأن قلبه ضعيف ولكنه آثر عدم فعل ذلك لأنه أمام الريس وهي من حريمه..

وليست كأي حريم.. فهي التي تقشر له موزه الخاص به..

الريس يفتح اللاسلكي على الموجة المضبوطة عليه ويقربه من فمه:

"مين معايا؟".

يرد عليه مباشرة صوت يعرفه يبدو نصف نائم:

"يووم.. أنت اللي مين؟"

الريس مقرباً غويشة من عينيه ويتأكد من سلامتها بأسنانه:

"كيف أنت يا فرداني.. مش عارف صوتي يا استها.. كل مرة كده أنت اللي ترد عليا.. هو أنت مستلم الشويشت ولا إيه؟".

صوت فرداني يرتفع وقد تعرف صوت الريس.. يفيق من نومه:

"آه يا خبو لو اطولك بأيدي".

الريس ويقلب في باقي الكيس ليخرج سنجة محترمة:

"تطول مين يا طاسا.. أنت كبيرك تطولها وتهرش فيها.. أنا بس ئلت اهوس معاك".

فرداني بصوت غاضب مستشيط من هزيمته في هذه الجولة:

"صدئني يومك ئرب يا ابن سعيد.. صدئني مش حارحمك".

الريس ويلقي بالسنجة للبنت التي ترص له الفحم:

"يا فرداني ئلت لك مية مرة ماتتفرجش على افلام التاريخ بتاعة كريم عبد العزيز.. صدئني بتجيب قلق ف الدماغ.. وبتخلي الواحد يشخلل بالليل على روحه وهو نايم.. سلام بئه مشان ريحة جهازك است مولع".

وأغلق الجهاز وقال لنخلة وهو يشير له بالغويشة:

"ده شغل ئديم مش مضروب.. ومش صيني.. يالا اثبتوها في الخزنة وخدوا نصيبكوا.. ئولهم الريس بيئول ادونا العشر.. رشيتوا الشعار؟".

باضونيوس ويلاغي البنت وهي تلعب بالسنجة بمهارة:

"يا سبتي يا ريس.. هي دي حاجة تتنسي".

كان من المعتاد أن تكتب حالئين على الأرض في موقع الهجوم..

حالئين.. سعيد..

وذلك في ذكرى منهم لقائدهم الروحي ومؤسس جماعتهم سعيد الحلاق.

وحتى تكون علامة على وجودهم وإنهم يخلصون المجتمع من فرداني

ومن يقلدهم ويكتشفوه يقطعوا يديه ورجليه ويكتب على جسده العاري (*مش حالئين*) ويترك في المكان الذي تجرأ فيه على قدسيتهم..

كانت نسبة *العشرة المائة* هي أعلى نسبة يحصل عليها لص مما يعمل مع حالئين.. حيث تتراوح النسبة بين خمسة وعشرة حسبما يقدرالريس

باضونيوس فرح من النسبة الممتازة والتي تعني أسبوع أو عشرة أيام من العربدة المتواصلة دون انقطاع:

"ربنا يخليك لينا يا ريس.. أي مشوار تاني؟".

الريس يأمرهم بالانصراف دون كلام ويشير للفتاة بيده أن تولع الحجر..

قطع إشارته دخول رجل قصير جداً يقترب من التقزم الشقة فجأة يلهث كأنه يجري من بعيد:

"يا ريس.. هئئ ئئ.. النفئ اللي بيحدف على امتداد رمسيس اتفئس.. والأتراك هدووه و بخوا فيه الدخنة البيضا.. هئ ئئهئ ئئ".

انتفض الريس من مكانه ونخلة و باضونيوس اضطربا بشدة..

الريس ولم يستوعب منه أية نفق فيسأل وهو يرتدي نعله ويلقي باللي بعيداً لتسقط الشيشة وتنقلب محتوياتها..

تسارع الفتاة بعدلها كأنها وجدت لذلك والريس يسب:

"يا نهار أسود.. يا ولاد السلعوة.. انهي نفئ يا بمبة".

بمبة يوضح ويقفز لأعلى وما زال يلهث من كثرة الجري:

"نفئ ستة يا ريس اللي بيرمي على امتداد رمسيس.. ئئهئئهئ ئئ".

الريس ويقوم من مكانه ويضرب بمبة على قفاه:

"ستة اللي بيروح كل حتة.. عليك وعلى أمك.. النايب في انهي مصيبة.. ابعتهولي على هناك".

ثم أشار إلى نخلة و باضونيوس:

"تعالوا معايا.. حنعاين كلنا".

ثم تابع وهو ينظر لباضونيوس ويربت على بطنه الضخمة:

"ولا ائولك بكرشك العظيم.. اجري شوف النايب ف بيتو.. حاتلائي مع هشوكة بيلاعبها ماتش.. هاتهلنا ع النفئ".

كان بمبة ما زال يتحسس قفاه من آلم الضربة ويبحلق في الموزتين

ضربه الريس ثانية وجره ليرفعه على كتفه كلوح خشبي صغير:

"يووم.. أنت لسه حاتتفرج".

* * *

__بيت النائب محروس بالدويئة__

يد باضونيوس المكتظة وبها خاتمين في البنصر تخبط على باب الشقة.. في الداخل رجل نصف وجهه محروق مندمج..

مع امرأة في السرير.. يصرخ بصوت عال وقد فصل

تفكيره فيما يفعل:

"يووم... مين؟".

> *محروس:*
> - نائب الريس.
> - انقذه الريس من المحرقة الكبيرة بمعجزة
> - يدين له بالولاء.

باضونيوس الضخم خائف من بطش النائب و يلهث من الجري:

"الريس عايزك يا محروس ئ.. حصل هدد في نفئ ستة.. هئئ ئ"

محروس يقوم من الاندماج ويبحث عن بنطاله في الظلام ويبرطم:

"عليك وعليه يا خواتي.. هو ده وقت هدد".

ينظر للمرأة المشقوق وجهها طولياً في شجار مع عربجي والتي تشعل سيجارة كوبية لتنفث فيها استيائها من انصرافه المفاجئ..

يقول لها النايب بابتسامة يخيف بها الرجال الأشداء:

"جيلك تاني يا هشوكة.. كده تعادل واحد واحد.. حانلعب بلات".

* * *

العجوزة.. على مسافة من محل نعمة

أمام محل صغير لا تتجاوز مساحته الثمانية أمتار..

محمود يقف عاقداً ذراعيه أمام صدره.. ظهره لباب حديدي..

ممسكاً بزجاجة عصير ويشرب منها ببطء وتلذذ مصطنع..

يبدو كأنه منتظر شخص ما.. إلا إنه كان في انتظار شيء ما..

الصفارة))))

زفر بعمق فالآنسة التي قبله يبدو إنها بطيئة في الحركة داخل النفق وتفرمل عند كل انزلاق..

ويتذكر شكلها الخائف واضعة حقيبتها على صدرها.. يبرطم بلا صوت:

"يهووووتء.. نسوان عطلانة"

كان عليه أن يراقب الطريق ويصفر ويدخل البيت إذا شاهد أي دورية صينية مارة..

اخيراً ينادي عليه صوت خفيض لرجل عجوز من الداخل:

"احضر بسرعة بركتك".

دخل محمود بسرعة داخل المحل ووقف بمنتصفه..

الرجل العجوز بشكل روتيني وهو ينظر لصفارة بيده يبدو انها خربت:

- صورة البطاقة لازمة عند استعمال الانفاق من أجل التعويضات في حال حدوث هدد.

"الأجرة بركتك.. وصورة بطاقتك".

ناوله محمود الأجرة المعروفة.. خمسين جنيه.. ومعها صورة البطاقة

أخذ الرجل الأجرة وصورة البطاقة ولاحظ أنه (*كافح*)..

فتح باباً صغيراً بالأرض عليه سجادة قديمة جاهزة لتخبئه في لحظة..

هبط محمود درجات السلم لأسفل بمهارة وسرعة..

الرجل يهمس بعصبية وقد لمح جنوداً صينيين يقتربون:

"بسرعة.. بسرعة.. يصلح يومك".

أغلق الباب عليه قبل أن يستقر محمود على العربة الصغيرة ذات العجلات المتآكلة..

وقلب العجوز يخفق بقوة.. لن يستطيع أن يفرد السجادة الصغيرة.. والجنود الصينيون يقتربون ويشيرون للمحل..

* * *

<u>خيمة توفيق بملجأ الشمس</u>

توفيق يستعد للخروج من الخيمة وهو يمسح دموعه..

سلوى تتبعه لتسأله وهي تبكي وتمسك بملابسه:

"حاتروح وين؟".

رد وهو لا يعلم وجهته:

"عايد عايد.. ثلتلك حاشوف بزفت عينين حل للمصيبة".

تعلقت به لتبكي بدموع حارة بللت خده:

"دير بالك من نفسك.. ما يكونش أنت كمان".

ربت عليها وادخلها لتغلق السحاب عليها بإحكام..

وتواصل البكاء.. بلا انقطاع..

* * *

خارج المحل بالعجوزة

"تركي".

هكذا طلب الجندي الصيني من العجوز وهو ينظر داخل المحل بتفحص وتدقيق..

يصفر بشكل عصبي وهو ينظر حوله لكل شيء..

بيد مرتعشة أدار العجوز مؤشر الراديو على محطة صيني ورفع الصوت لأقصى درجة..

مغنية صينية تتغنى بالمجد الصيني السائد.. ♫

وناول الجندي علبة سجائر تركي..

الجندي ينظر له بتمعن لامحاً ارتجافة جسمه من الخوف..

العجوز يكح بافتعال كحة شديدة تطفش ويقف بقدمه على الباب الخشبي ليداريه تماماً..

يناوله الجندي النقود المعدنية والعجوز يتأكد من صحة المبلغ:

"بركتك.. خلي علينا المرة دي".

يأخذ الجندي النقود والعلبة وينصرف هو وزميلاه ويواصلان الضحك بلا انقطاع.. والعجوز يزفر ويعرق..

لقد مرت الغارة بسلام دون خسائر.. فعلبة سجائر لا تعد شيئاً بالنسبة لما كان سيحدث لو اكتشفوا النفق..

يفتح الدرج ويبتلع قرصين من مزيل التوتر الأشهر.. والوحيد..

لزام..

* * *

قرب بوابة ملجأ الشمس

"أنا رأيي إنك تروح المجموعة 65 وتسألهم هناك".

هكذا يهمس عم رياض لتوفيق وهو قابع في دكانه الصغير..

يهمس حتى لا يسمعه الشاب الكوبي الذي يعمل عنده..

~~ المصريين يؤمنون أن الكوبيين يقدمون تقارير للصينيين عن كل صغيرة وكبيرة عن تحركاتهم

~~ خصوصاً بعد عثور القوات التركية على كمية كثيرة من هذه التقارير في أطلال فيلا بالشروق إبان الصراع عليها 2039..

~~ آلاف الأوراق ومئات الصورعن كل شيء..

بدءاً من إيراد المحلات التي يعملوا بها..

حتى الأحاديث اليومية العابرة و المزاج العام للمواطنين..

توفيق وهو شارد:

"تفتكر في أمل يرجع؟".

رياض يعلم أن مصيرالولد قد انتهى في أيدي الأتراك..

الكوبي يتظاهر بأنه يلمع المعلبات ويسترق وينظر بجانب عينيه..

عم رياض يقول له مربتاً على يده:

"خليها على الله يابني.. جرب اسأل في المجموعة".

* * *

داخل النفق

المواتير تعمل بكفاءة.. تدفع السيارة الصغيرة ذات العجلات المتآكلة التي تحمل محمود الراقد بها حاملاً أوراقه على صدره.. كان النفق مظلم تماماً.. غير مضاء كأنفاق الأوربيين..

بدء محمود يشعر بقرب اقتراب النور.. ودق قلبه بقوة.. فقد سمع عن المرات التي اكتشفت فيها الأنفاق في هذه المرحلة الحرجة..

~ العقوبة هي السجن أسبوع والجلد خمسين جلدة والغرامة المالية الكبيرة إذا كان المكتشف تركياً..

قلبه يدق بشدة مع اقترابه من الفتحة..

~ الصينيين لا يعطون أحداً الفرصة.. يقتلون من بالنفق مباشرة..

~ الأوربيين يقدموهم للمحاكمة وغالباً ما ينتهي الأمر بغرامة أو أن تعمل في الخدمة لديهم لفترة

~ بعض العاطلين يتمنون أن يقبض عليهم في نفق أوروبي للنيل بفرصة عمل ولو حتى مؤقتة ودون مقابل..

الضوء اقترب تماماً وأطراف محمود تتجمد من الخوف..

تهدئ العربة من سرعتها بفعل الحساس لتتوقف تماماً أسفل الفتحة..

يد تمتد وتسحبه بسرعة.. لا يرى جيداً بسبب الظلام الذي كان فيه..

لكنه يسمع صوت ابن الرجل العجوز الذي يعرفه فهما يبدلان مكانهما باستمرار..

يدفعه الشاب الذي تعرفه بأنه زبون دائم عنده ولكنه لا يتذكر اسمه:

"بالسلامة بركتك.. رحلاتك سعيدة".

ليخرج محمود من باب محل خردوات صغير بشارع جانبي بوسط البلد

يشعر بدوخة ورغبة في البكاء ككل مرة يخرج سالماً.. بينما الشاب يصفر بفمه))))..

ليدخل راكب آخر..

* * *

دهشور.. جنوب القاهرة.. بنحو خمسين كم

حافلة تسير بسرعة على طريق الزعفران الواصل بين أطراف دهشور وعمق الصحراء..

بها مجموعة من الأطفال الصامتين الشاردين..

كلهم مكبلين بأصفاد بلاستيكية.. لا أحد يتكلم.. الكل يفكر..

كريم وجهه في الزجاج.. ينظر للصحراء حمراء الرمال..

يتذكر ما قاله له الرجل أثناء ركوبه في السيارة بعد أن امسكوا به على أبواب معسكرالشمس ليقتاضوه بسرعة:

"انسى البيت.. أنت الآن كريم توفيق آخر.. ستعيش حياة آخرى كمقاتل.. أنت الآن من مجموعة خير جند.. لا صبي كل همه لعبة ابهار واكل السايح".

كريم يكح والنوبة تنتابه من جديد..

أحد الحارسين المدججين بالصف الأول من الحافلة يلتف له ويقول:

"ممنوع الكلام".

أحمد يرد ببراءة وقد خطف هو أيضاً:

"ده بيكح تهاويس.. صدره بيوجع.. مش بيتكلم".

الحارس يقوم بجسمه الضخم ويقف أمام أحمد الذي ينظر له في ثبات

الحارس يرفع يده ليهوى بها على وجهه بصفعة رنت في آذن آخر طفل في الحافلة ليقفز

معها إلى أعلى في خوف الحارس يقول ببرود:

"مهفيش حديث.. مهفيش كحة.. مهفيش أي شي".

الجميع صامت كالجدران الداخلية للأتوبيس..

يعود الحارس لمكانه.. والكل يترقب ويسأل نفسه بهمس داخلي:

(هو احنا رايحين على وين؟).

* * *

بعد ساعة

أمام الباب الجانبي لبناية ضخمة بوسط القاهرة..

تجمع لعدد كبير من الرجال من مختلف الأعمار والأشكال والأحجام يبدو إنهم في انتظار شخص ما للظهور من الباب فالجميع يخطف نظرة كل 10 ثوان على الباب لترتفع دقات قلبه مع أي اهتزازة للباب..

العدد الواقف قرابة المائتين..

أربعة متجمعون في حلقة يتناقشون بهمس.. جمل سريعة خاطفة..

1: "دي سادس مرة اتدم وما اتبلش".

2: "عايد عايد.. أنا ما بئتش اعد".

3: "كح كح.. المطلوب خمسة بس في المجموعة أدي".

4: "المتئدمين في ازدياد.. المرة دي يعدوا المائة والخمسين".

3: "سمعت إن في وظايف محجوزة لعيالهم بتروح.. كحو.. كح".

1: "يوووم.. الله يخليك ماتفتحش الزئزئة دي".

أخيرا وفجأة فتح الباب ليظهر رجل عادي يحاول أن يبدو غير عادي بعمل شئ خطير..

يضع لبانة في فمه.. وممسك بعبوة سبراي صغيرة بيده.. لا ينظر لهم كأنهم غير موجودين..

يلوك الأسماء مع اللبانة وبصوت لا يسمع وعينه في الورقة:

"أحمد حامد – توفيق الشهابي – عمرو هاني – محمود أحمد – باسم ناجي".

هؤلاء هم المختارين المحظوظين..

لم يجرؤ أحد على الاعتراض أو أن يقول له *"عيد لو سمحت"*

رش بعض من السبراي على الحائط المجاور للباب ولصق الورقة على ورقة أخرى قديمة ونظر لهم كذباب وبصق اللبانة وأغلق الباب..

بالطبع المختارين من الواقفين لكن لم يهلل أحد منهم..

كان اسمه الرابع محمود أحمد.. لم يتحدث وحاول أن يبدو بائس حزين

1: "زي كل مرة.. وأنت؟ شكلك من الفالحين".

محمود: "أنا.. دي الصدمة مش اكتر".

3: "شكلها كده صدمة الفرح.. كحاا ا... كح"

انصرف محمود قبل أن يتابع الحديث مع أحد.. كما يعلم عليه الحضورغدا في نفس الميعاد لاستلام العمل.. لا يعلم بالضبط ما هو لكنهم سيخبرونه بكل شيء..

الأهم من ذلك إنه سيقبض آخر الأسبوع ما يكفي إيجار الكوخ والطعام.. وربما التنزه مرة كل شهر إذا ما استمر العمل لشهر كامل كما تنص قاعدة العمل في المادة رقم 6 لقانون العمل الأخير..

- كل من يواصل العمل لأربع اسابيع متصلة يستحق في نهاية الاسبوع الرابع مكافاة 25%من اجمالي الراتب

لمح الجدارية العملاقة المبنية مكان مبنى نقابة المحامين في وسط البلد..

~~ تظهر أسرة من أب وأم وولدين على مائدة طعام عصرية وعليها أصناف طعام لم تعد متوفرة.. طبق أرز ضخم.. طبق خضار ضخم ربما بامية أو بسلة لا يظهر.. أطباق ملوخية أمام كل فرد.. دجاجة عملاقة محمرة.. وسلطة خضراء.. وخبز.. ودورق مياه مثلجة..

~~ الأولاد يبتسمون في سعادة.. الابن يرفع ملعقة فارغة في الهواء..

~~ البنت تتهيأ لرفع يدها بملعقة فارغة هي الأخرى..

~~ الزوجة تبدو كمومس تنظر للزوج بحنان مصطنع لا تملكه الممثلة وجاهدت لترسم النظرة على وجهها ليبدو وجهها كوميدياً.. نظرة ود ممتزجة بالاشتهاء الحرام..

~~ أما الزوج فيبدو أنه ممثل كحيان قرنان تعاطا ويمثل الحنان الأسري بتخلف وواضح أن مشاعره تجاه الممثلة لا تختلف عن مشاعرها..

لذا الصورة لم تكن جميلة معبرة.. بل أصبحت مقززة.. ومضحكة..

لكن المعنى واضح.. هل تريد كل هذا؟

أسرة وحنان وطعام متعدد الأصناف..

إذن عليك بالكلمة المكتوبة بخط كبير وبحروف أشبه بالصينية..

كــــافـــــح

نظر محمود إلى الإعلان بسخرية وأدار وجهه لتصطدم عيناه بتوفيق كان ينظر للابن بالذات وعينه باكية..

كان من المعتاد أن الناس تسخر بصمت ولا أحد يعلق فالقاعدة معروفة

~~ هناك من يراقب.. هناك من يسمع.. هناك من ينقل الأخبار~~

وإذا ما رأيت أحداً يقترب منك ممسكا بقلم في يده ولا يمسك بورقة أو كتاب فاعلم إنه يصورك..

وإذا صورك فاعلم أنهم سيستدعونك عما قريب.. فقاعدة بيناتهم رهيبة..

~~~ هناك من يراقب.. هناك من يسمع.. هناك من ينقل الأخبار~~~

وإذا استدعوك عما قريب.. فودع اهلك.. وتأكد من كتابتك لوصيتك..

ومع كل هذا تمتم محمود لتوفيق:

"الغريب إنه محدش بياكل.. حتى في الاعلان"

"..."

"يمكن اكلوا بعد الاعلان".

محمود وقد لاحظ وجود توفيق بين الواقفين عند المجموعة:

"أنا شفتك من ثليل عند مجموعة 65.. أنت من الفالحين مؤكد"

توفيق لا يريد الحديث مع أحد..

محمود تفرس في وجهه محاولا التخمين:

"أنت عمرو أو توفيق"

توفيق بتردد ولا يريد الحديث:

"توفيق الشهابي"

محمود بود ويصافحه:

"محمود أحمد"

يرتاح توفيق لأنه من الفالحين.. يتصافحا ليلاحظ محمود أن يد توفيق ترتعش في يده ويقول مهنئاً:

"مبروك ربحان".

توفيق بعين دامعة:

"مبروك ربحان.. بس الوظيفة تمنها غالي.. غالي ئوي".

لم يفهم محمود فقد حصل عليها لكونه خبيراً في الحسابات وهم بحاجة لمن هو في خبرتـه لسير العمل.. فلابد من وجود ألفا يدير العمل..

محمود ولم يفهم ليتوقف عن السير:

"كيف.. أنت دفعت كام؟".

توفيق ويبكي ويتوقف هو الآخر:

"دفعت ابني.. خدوا ابني.. وادوني وظيفة".

محمود فهم كل شيء ويعلم مثل هذه القصص ولكنه لم يقابلها من قبل.. يربت عليه ويقول مواسياً:

"معلش.. ممكن يرجع إن شاء الله.. خلي ايمانك قوي".

توفيق ويبكي بحرقة ويتذكر ما ردوا به عليه عند المجموعة 65:

"عجبي واستغرابي.. ولما سألتهم هنا.. ئالوا: الاحسن تيجي تستلم وتفضل ساكت.. وممكن يجيلك ابنك لو تفضل ساكت".

محمود يستحثه ويصبره:

"شفت بئه.. لازم تصبر.. يمكن يرجع تاني.. بعدين أنت محتاج الشغل مشان عيلتك.. بعدين.. اعتبر إنه بعد الشر تعب أو عيي وإنهم غلفوا.. مش كان حايبعدك عنك".

ثم غير موضوع الحديث ليسري عنه:

"يهووووتء.. سمعت عن النفئ اللي اتهد".

توفيق يزدرد لعابه ولا يرد كأنه لم يسمع..

محمود يوضح ويسيران سوياً:

"الأتراك كشفوا نفق لناس حالئين وهدوه".

توفيق بحزن:

"يا خسارة.. والله ما حد عارف الناس دي صح ولا غلط؟".

مر بهما جنود أتراك يوزعون نشرة مجانية مكتوب فيها تفاصيل الخبر

كانت هذه هي طريقة بديلة لنشر الأخبار لأن التلفاز صار يعمل بكروت شحن كاللاسلكي.. والجرائد غالية ولا يشتريها كل الناس..

جرنال شهود صفحتين بثمانية جنيه.. وباقي العشرة ليمونتين..

توفيق يأخذ منهم نشرة ويقرأها.. عسى أن يجد فيها شيء عن كريم..

لاشيء.. مجرد ورقة مفردة عن انهيار النفق وأنه جاء نتيجة لحادث عرضي أثناء مقاومة حالئين.. وتصريحات لشوكت بالتوعد..

محمود وينظر معه في النشرة:

"هيه كلها ملخبطة في بعضيها"

وتابع مطلقاً زفيراً عميقا ليسأله:

"اشوفك بكره عايد عايد".

توفيق ولا يدري ماذا سيفعل ويرد بشرود:

"عايد عايد".

وتصافحا.. و يلاحظ محمود أن يد توفيق في نهاية المقابلة..

أقل ارتعاشا..

* * *

تزامن

محمود يدخل الكوخ وهدى تجلس وراء
الباب على أطراف أصابعها ما أن رأته حتى
وقفت كالبويو:

"حاولت اكلمك أكتر من مرة.. هما
ئطعوا الاتصالات.. بيئولوا عملا ارهابيا
كان حا يحصل ولا حصل فعلاً.. هو أنت
ئبلت الوظيفة؟ أنت سمعت الانفجار؟"

نظر لها محمود دون كلام.. تحاول فهم
صمته وتسأل بقلق:

"ئبلتها.. ئبلتها مش كده؟"

أشار برأسه بالإيجاب..

اخذت تقفز لأعلى وهي تحتضنه وهو لا
يزال على جموده..

كان يشعر بغصة من موضوع توفيق..
وتركها وقام إلى غرفة النوم ليغلق الباب
على نفسه ويقول:

"حاريح ساعات"

توفيق يدخل الخيمة بعد أن فتحت له
سلوى من الداخل.

نظر لها فلاحظ إنها تجاهد لمنع نفسها
من البكاء..

بصوت شارد قال:

"كيف أنت".

وجلس على المقعد الصغير قرب مدخل
الخيمة..

ربتت على كتفه دموعها تنساب بلا
صوت وتسأله:

"عملت إيه؟".

كان قد رسم الكلام في عقله حتى تهدأ..
جلست على قدمه ليحضنها:

"وعدوني بإنهم حايرجعوه في اقرب
فرصة.. وادوني الوظيفة"

وقام إلى ما وراء الستارة وألقى بجسده
المنهك على السرير وقال:

"حاريح ساعات"

~~ ~~ محمود وتوفيق يحلمان بألف عين مسلطة عليهم ~~ ~~

~~ هناك من يراقب.. هناك من يسمع.. هناك من ينقل الأخبار~~

الدويئة.. عند النفق المنهار

أياد كثيرة تتعاون.. ترفع الركام في سرعة..

و صوت رجل مجدع من داخل الركام انقرضت فصيلته يلهث:

"يا جماعة همة شوية.. دول بئالهم كتير من غير هوا".

كان جمع من الناس محتشدين في غرفة دور أرضي بمنزل على أطراف الدويئة ويرفعون الركام عن فتحة كبيرة بالأرض بقطر متر ونصف.. حيث كان مدخل النفق المؤدي إلى امتداد رمسيس..

كان نفق ستة مميزعرضه كبيروبه تهوئة يستخدم لنقل الناس وتهريب الشمع وكروت شحن اللاسلكي والكهرباء والمياه..

الرجل المجدع وقد اصطدمت يداه برأس إنسان فيصيح:

"يا عم سعيد.. يا عم سعيد.. مسكت رأس إنسان".

تعاون الجميع مع الرجل لأخراج صاحب هذا الرأس بسرعة..

خرجت الرأس فقط دون بقية الرجل..

رجل من الاذكياء لامحاً الوجه الرمادي الساكن للرأس المفصولة – ***بيضرب*** *لزام ليل نهار*:

"ده بينو مات يا جماعة ما تحولوش مش حانعرف نرجعها مكانها".

رجل آخر لامحا زرقة شديدة ممتدة على نصف الرأس السفلي:

"ومال وشه مزرق ليه يا عم مخمخ؟".

صوت الريس يرد ويلخص ما حدث من على باب الغرفة:

"ولاد السلعوة.. الأتراك رشوا كيماوي وموتوهم و ردموا عليهم".

الجميع ينتبه لوجوده ويقف الحفر تماماً ويعتدلوا.. خلفه نخلة وبمبة.. وقد لحق بهم النايب محروس

الرجل المجدع:

"البئية في حياتك يا ريس".

محروس يسأل بصوته الخشن كأنه بيصفر:

"مين اللي ماسك النفئ؟".

رد رجل لا تبدو ملامحه من الحفر ولا يرى له وجه من قفا:

"أنا يا ريس".

الريس ينهره وظن أنه لا يحترمه ويكلمه بقفاه:

"مش لما نكلمك تدينا وشك يا خوته؟"

ثم تابع إلى محروس بشكل حازم ليمارس اختصاصاته:

"شوف عناوين الناس اللي اتردمت وعوضها.. من غير سمسرة".

و نظر للجميع ثم يلتفت إلي محروس ونخلة وتابع لينهي الزيارة:

"تعالوا معايا.. اجتماع سري ف الوزارة".

محروس منزعج لأنه لن يكمل المباراة..

لن يلعب بللات مع هشوكة..

بمبة ويقفز لأعلى يريد أن يلحق البنت التي تقشر الموز:

"أنا كمان آجي يا ريس".

الريس ويرفعه ثانية كاللوح الخشبي:

"تعالى مشان يمكن احتاجك تهرشلي".

* * *

فجراً.. معسكر السيرك

مؤذن شاب يعتلي سطح المسجد داخل السيرك ويضع كفيه كبوق.. ورشاش بورسعيد صغير معلق برقبته.. يصيح:

- تنظيم قاعدة الإخوان منتشر في كل مساجد القاهرة..
- إدارة المساجد في يد الاتراك.

الله أكبر

الله اكبر

اشهد أن لا اله إلا الله

امتزج صوته مع آخر صادر من على بعد عدة منازل خارج السيرك وثالث ورابع.. قدروا وقت الفجر معاً.. همست هدى في أذن محمود:

"لسه مانمتش".

محمود يهز قدميه بعصبية بمعنى"لا"وهو مغلق العينين.. بينما هدى تداعب شعره بحنان.. تتشبث بها بنتهما قسمات وهي نائمة وتتحرك يدها بعصبية لنومها غير المستقر.. عادت هدى للهمس:

"حاتصلي".

أخيرا بدأ يشعر بقرب النوم عندما أذن الشاب:

"حانام ساعات بعدين ائوم.. واستعد للنزول".

رر بووووو راااااا وووووم

صوت انفجار عال خلعت له قلوبهما..

هدى وهي تقفز من السرير الصغير:

"يا نملي.. يا نملي.. فرئعة عالية".

قام محمود وفتح عينيه وتوجه للشباك الصغير بسرعة..

يشاهد الدخان الكثيف الصادر من ناحية الشرق:

"دي ناحية قصر عابدين تاني".

قسمات تدعك عينيها وتستيقظ:

"في إيه يا ماما؟"

هدى وتحضن بنتها بقوة وتعتصرها دون وعي:

"القصر.. معئول.. تاني.. ده لسه مضروب.. هو بئه كفتة؟".

محمود يصغي السمع لكلمات غير مفهومة تأتي من الخارج:

"هشش.. اسمعي بودان".

انصتت لتسمع صوت المؤذن الشاب..

كان يقوم أحيانا بعمل إذاعة داخلية للحي يخبرهم فيها بكل جديد..

بالطبع كان هذا من الأشياء التي يتقرب بها تنظيم القاعدة للشعب المصري.. الصوت يتحدث وهو يجري:

"القصر ولع.. القصر ولع.. محدش يخرج.. ولعة.. محدش يخرج".

وأطلق طلقة تحذيرية من مدفعه في الهواء.. يعرف الجميع معناها بأن يلزم الجميع البيت ولا يتحرك حتى يسمع منه بيان آخر..

قسمات ترتجف وتتشبث بأمها وقد استفاقت من نومها:

"القصر ولع يا ماما؟".

كان بعض الجيران واقف مثل محمود خلف الشبابيك من الأكواخ المجاورة ويتحدثون بصوت عال فيما يشبه المؤتمر..

1: "دي تاني مرة الشهر ده؟"

2: "بس المرة دي الصوت عال جداً والدخنة شديدة".

قاطعهما صوت الشاب من جديد يضيف معلومات جديدة خطيرة:

"الدخنة زرقا.. كيماوي.. الكمامات.. كيماوي.. كيماوي...تهاويس هوا.. تهاويس هوا".

واخذ يصفر بصفارة عجيبة تصدر صوت الإنذار الخطر..

((((((((((

بسرعة احكم الجميع إغلاق النوافذ..

أخرجت هدى ثلاث كمامات من الدولاب الصغير.. ناولت محمود واحدة وألبست قسمات واحدة بينما ترتدي هي كمامتها..

يتنفسون في توتر.. اعتادوا على ذلك فالهجمات الكيماوية تتوالى..

انفجار آخر لا يقل عن الأول قوة..

بووممممم !!!! مممممم

هذه المرة اهتزج الزجاج بعنف ليشرخ بالطول محمود ويشير لهم بالتحرك:

"يالله على المخبئ والا مش حانلحئ وننزل الحفرة".

يسمي العامة المخبئ الصغير ..*الحفرة* ..فالتهونة ضعيفة وغير محصن .

قام وحمل قسمات لتحتضنه بقوة وامسك بيد هدى وجرى الجميع للباب..

الجيران يهرولون خارج المكان.. مع صرخات ذعر من النساء وتكبير الرجال

رجل مهرول بملابس نوم خفيفة:

"أكيد حالئين بترد ع الأتراك وبتضرب قطاعهم جوة ئصرعابدين"

رجل آخر يسب ويسخط:

"ولا المغاربة ولاد الكلب نفذوا تهديدهم وبدأوا الهجوم على القاهرة زي ما حذروا من فترة".

آخر يوضح وهم يقتربون من باب المخبئ:

"أنا سمعت أن شيعة إيران متحالفين مع المغاربة.. وإنهم بيهددوا بتنفيذ عمليات في ئلب القاهرة".

~~ إيران هوجمت من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل عام 2014 بعد استنزاف كل الجهود السلمية لاحتواء الملف النووي دون حل.. وثبوت سعي إيران لتصنيع قنبلة نووية..

بعدها هاجمت إيران القوات الأميركية في العراق ودحرتها..

~~ لتستغل إسرائيل الفرصة وتهاجم سوريا ولبنان لينتهي النظام السوري ويباد أعضاء حزب البعث بمحو خمص وحماة من الوجود وتغرق البلاد في حرب أهلية..

~~ الصين تقوم بعملية إنزال وإبرار من 5 مليون مقاتل بحجة حفظ النظام في المنطقة وتامين استثماراتها الاقتصادية.. وتقوم بعمل نظام حماية مشترك مع فرنسا لتقتسم معه خيرات البلد الجميل..

~~ تزامن هذا مع تدخل تركي في شمال سوريا ما أدى إلى بدء الحرب التركية الصينية الأولى..

~~ تلجأ أمريكا ومعها إسرائيل إلى العملية (اكتساح) ضد إيران لمحوها من الوجود

باستخدام اعنف ما لديهما من أسلحة في عملية دامت 18 شهرا..

~~ أدت إلى مصرع 23 مليون إيراني وتشريد ما تبقى من الشعب الإيراني ليرحلوا في اكبر عملية ترانسفيرفي التاريخ إلى العراق المدمر واليمن المبعثر والمغرب العربي..

~~ لترد إيران على إسرائيل برد موجع للغاية..

~~ وبآخر ما لديها من قوة.. وكالنمر الجريح من سقطته داخل الفخ الميت وقبل أن يصطاد.. وبأخر مخلب..

~~ خمسمائة صاروخ من طراز شهاب المطور سقطت على أهداف مدنية وعسكرية داخل إسرائيل.. أدت إلى مقتل عشرات الآلاف ونزوح 3 ملايين يهودي وهروبهم إلى أوروبا وأمريكا واستراليا..

~~ لتنتهي دولة إسرائيل بعدا سبعين سنة من إنشائها.. لتكون دولة بعمر إنسان.. أقل من عمر أي رئيس حكومة ترأسها..

~~ كان المغرب هو الملجأ الأكبر الذي احتضن الإيرانيين فقاموا بالتحالف مع الأنظمة الجزائرية والمغربية والتونسية من أجل دحر وإنهاء تعاظم قوة تنظيم القاعدة في المغرب العربي..

~~

الجميع يرتدي الكمامات ومن لا يفعل يضع منديلاً مبللا بماء منقوع به المخدر الأشهر بين الشباب سيبد ولمدة يومين..

جروا لمدخل العمارة المجاورة وهبطوا عدة سلالم للبدروم الممتلئ..

ثلاثة رجال من نظام الحي بشارتهم المميزة يغلقون الباب في وجوههم..

ثلاث عائلات تود الدخول..

عائلة محمود وعائلتين من جيرانه..

بحسم قال لهم أكبر رجال النظام سناً من خلف القناع:

"عايد عايد.. الستات بس من فضلكوا.. من فضلكوا حايحصل خنئ المراوح عطلانة".

أحد الرجال محكما وضع المنديل:

"العذر والسماح.. واحنا؟".

كان هذا هو الرجل ذو ملابس نوم الخفيفة..

رجل النظام بشكل لا رجعة فيه يقول لهم ولهدى:

"روحوا ع الحفرة.. يلا يا بنتي مشان حنئفل الباب".

ناول محمود قسمات لهدى وودعها بقبلة سريعة:

"حارجعلكوا أول ما يصفروا".

هدى وهي تتنفس بصعوبة وتودعه بنظرة جميلة:

"دير بالك من نفسك".

لم يفهم سبب الزرقة التي لاحظ إنها تغزو وجهها..

لكن الرجل العجوز فهم بعد أن رأى الثقب الصغير على جانب قناعها..

محمود والرجل يغلق الباب حتى لا يلاحظ:

"ولو اتاخرت حاشوف سكة واروح الشغل الجديد"

انصرف سريعا ليلحق بالحفرة قبل أن تمتلئ هي الأخرى..

رجل يسقط أمامه لأنه خرج في العراء دون قناع أو منديل مبلل..

آخذ ينتفض ومحمود ينظر له ورغاوي بيضاء تخرج من فمه..

سار سريعا وهو يتحاشى النظرله.. انعطف في أول شارع يمين ليجد الأرض الخالية المسورة

بمساحة بيت.. حوالي 200 متر مربع..

دخل محكماً وضع الكمامة على وجهه لينزل درجات ويطرق الباب الحديدي..

يفتح الباب رجل عجوز تعرف على محمود من الشارة المعدنية التي أخرجها من جيبه والتي تشير لكونه من سكان معسكر السيرك..

دخل وجلس على الأرض مع الباقين.. يتنفس بعمق من خلال القناع وبخار الماء يغطي الزجاج.. رجل بجانبه يتقافز كالفشار داخل حلة ساخنة.. كانت رأسه بلا قناع أو منديل ووجهه متلون بلون غامق..

محمود للآخرين وهم يتحاشون النظر:

"ده بيخلص انفاس.. حايروح".

تعاونوا على حمله دون أن ينظروا له خارج الحفرة ليضعوه على جانب وعادوا سريعا مع تزايد الأعداد القادمة..

كان هناك اعتقاد سائد أن من ينظر للمخنوق يلحقه.. لذا يتحاشى الجميع النظر لمن يموت بهذه الطريقة الفظيعة..

شاب يعبر في الخارج ويصيح ويكرر بلا ملل:

"حالئين ردت.. حالئين ردت.. ضربت التراكوة ف عابدين"

كان المقصود أن حالئين ردت على هدم الأتراك لنفقها بالهجوم على الجزء التركي من قصر عابدين..

"المروحة اتعطلت".

هكذا صاح أحد الجالسن وهو ويشير برعب إلى المروحة المثبتة أعلى الحائط والتي توقفت فعلا عن العمل..

بسرعة قام محمود وصاح بجاره وهو يسحبه أسفل المروحة تماماً..

"بسرعة شبكلي.. حايحصل كتم".

قام الرجل بتشبيك كفيه له ورفعه إلى أعلى ليواجه المروحة بوجهه.. قام محمود بإدارة المروحة بيده لتدور من أول مرة..

الرجل من وراء القناع وعينه خضراء وعينه زائغة من الخوف:

"أكيد زنئة في الترس.. لو عطلت حانتخنئ تهاويس".

محمود هبط من على الأرض وجلس يفكر في هدى ويتذكر وجهها الأزرق ونظرة الوداع منها.. نظر للرجل ليتمتم:

"زنئة وربنا يفرجها"

* * *

<u>الدويئة منزل الريس</u>

الريس يبتسم لنخلة وسعيد بما فعله:

"تسلم يا نخلة.. يسلم صوبعك الوسطاني".

نخلة بتفاخر وممسك بقناع الغاز الضخم القوي المسروق من الأوربيين:

"رحمات سعيد ليك يا ريس".

كان نخلة قد عاد الدويئة بعد أن نفذ وحده الهجوم الكيماوي على قصر عابدين..

الريس ويشير له بالجلوس أمامه:

"أنا كنت خايف لتتجرش.. ومش عايز أبعت ناس كتير".

نخلة يجلس وعينه على البنت التي تقشر الموز وجاءت تمشي على مهل تماماً حاملة قلة دائرية وتتمايل بدلال زائد يقول نخلة للريس بحنان:

"عيب يا ريس.. ده أنا ظفر ف جتتك.. ما يطلع مئوس".

البنت تجلس جوار الريس الذي يربت على مؤخرتها ويشرب من القلة وهي في يد الفتاة ويخاطب نخلة أثناء ذلك:

"جدع ياااض.. أنا حائربك.. وتبئى من دايرتي المخصصة".

لم يصدق نخلة نفسه ثم تذكر شيئاً.. فقال وهو يقوم ويقترب من البنت ويبحلق فيها ويكلم الريس بصوت خافت غير واضح:

"والواد باضونيوس".

الريس لا يستسيغه.. شأن كل فرد بحالئين.. يقول له وهو يقبل ذقن الفتاة الدقيقة بشفتيه الكبيرتين:

"ماله.. حد تلفه؟".

نخلة ينظر لمكان القبلة ويقبل الهواء بدوره ويقول للريس ببطء وهو يقترب منه ومن الفتاة وعينه على القلة المدورة وعلى كل شيء مدور:

"واحد جدع يا ريس.. وينفع".

الريس وقد فهم لاحظ ما يفعله نخلة بعينيه فاعتدل ونهره ويلقي بالفتاة:

"ينفع.. ئووم يا ابن الخواتي".

الفتاة تطير بعيدا بينما نزل نخلة على ركبه أكثر وقبل يد الريس:

"يا ريس أنا مش ئصدي حاجة".

الريس يتركه يقبلها ولا يتحرك ويقول له بذل ووجه ناحية الباب:

"ما تنساش تعمل عمرة قبل ما تروح.. بيئولوا فيه مصريين اتلفوا".

نخلة وهو يقوم شاعراً بأنه أهين أمام الفتاة:

"من غير ما تئول.. كنت حازور عم سعيد واطوف كمان".

كان فعلاً سيذهب لزيارة محل سعيد الحلاق مؤسس الجماعة حيث دائماً ما يزور المقام من ينفذ عملية ويقتل فيها مصريين من أجل الكفارة..

انصرف نخلة وهو يرجع خطوات للخلف ووجهه للريس ويقول:

"العذر والسماح يا ريس.. بالإذن.. بالإذن.. رحماتك".

أشار له الريس بالانصراف..

ثم سرح بعيدا ويفكر في تبعات الضربة التي نفذها وآثارهاعلى الأتراك:

"ده حايخليهم يفكروا قبل ما يهدولنا أي نفئ تاني".

ويلتفت للفتاة الملقاة على الأرض ويأمرها:

"أنا دماغي صدع.. ئومي هزي شوية".

* * *

<u>قلعة الجبل.. مقر قيادة القوات التركية</u>

شوكت ينهر مساعده أوغل الجالس أمامه..

"بأي حق تستعمل الكيماوي داخل نفق حالئين؟".

أوغل مساعد شوكت يحمل ملامح تركية أصيلة وسمات قائد جيش ويشبه الصورة الشهيرة لكمال أتاتورك..

يدافع عن نفسه ويثور ويلوح بذراعيه:

"بحق هجماتهم وما فعلوه الأسبوع الماضي.. أنسيت؟".

~~ شوكت يتذكر صور جنوده المحترقون في الحافلة العسكرية التي هاجمت عليها

حالتين ~~

لقد كانوا يتقربون للشعب المصري بمثل هذه العمليات..

ويختفون بعدها مباشرة ولا يعثر لهم على آثر.. وهذا جنن الصينيين والأتراك

شوكت بعصبية :

"لا تتجاوز حدودك؟".

- قصر عابدين مقسم بين الثلاثة .. الصينيين والأوربيين والاتراك لكل واحد منهم قسمه الخاص ويمارس فيه مهام عمله .

كان الاثنان أصدقاء منذ أكثر من عشرين عاما..

إلا أن شوكت يسبقه بالدبلوماسية والحنكة.. ولذا فهو في منصب الزعامة..

بينما أوغل هو قائد الأركان..

يشعل شوكت سيجارة وينفث معها غضبة ليهدأ ويسأله والدخان يخرج كأسطوانة طويلة متصلة :

"ما الموقف الآن؟".

أوغل بروتينية باردة يعلمها شوكت جيداً بأنه غاضب :

"تحت السيطرة.. جميعها اصابات.. حالتين وفاة.. لقد ارتدى الجميع الاقنعة بسرعة لقد اصابوا بعض الأفراد الصينيين كذلك.. (ويتردد للحظات ويكمل)

وبعض العاملين من المصريين ماتوا.. لم يكن لديهم أقنعة كافية للجميع".

شوكت ينظر له ويفكر وقد جن جنونه :

"يكبر أكبر.. وما الذي جاء بأفراد صينيين في قسمنا بالقصر فجراً؟"

أوغل لا يرد ويلعب عضلات وجهه.. شوكت فهم سبب الصمت ويتابع :

"أيلعبون مع رجالنا القمار ثانية؟ ألم أمر بوقف هذا التهريج؟ ألم نعثر على أجهزة

تصنت مزروعة في القاعات التي لعبوا فيها؟".

أوغل يرد بخباثة ممسكاً ذقنه بعصبية:

"ونحن نذهب إلى قسمهم ونزرع بعض الأجهزة أيضاً".

شوكت بحسم وتكرار ويضرب على المكتب الأثري:

"خطأ.. أسلوب مرفوض.. مرفوض.. لقد اخبرتك ذلك".

كان لا يعلم ما الذي يحدث أيضاً..

فالجنود الصينيين يسهلون دخول فتيات كوبا إلى العسكر التركي والكوبيين الشواذ إلى العسكر الأوروبي وذلك بمقابل مادي..

كان أوغل يعلم ذلك إلا إنه رد على شوكت مغيراً الموضوع:

"نجهز للرد.. هناك عدة خيارات متاحة".

شوكت ينفث هواء السيجارة من صدره في قوة..

كان يعلم أن تفكير أوغل يتمحور في عمل عملية أخرى يدك بها معقل آخر لحالثين.. والنتيجة ستكون إما عدة بيوت.. أو نفق آخر.. أو مصنع للكروت..

وبعد فترة وجيزة سيبنون البيوت ويحفرون الأنفاق ويعيدون إنشاء المصنع.. لذا كان يفكر منذ فترة في رد آخر.. رد مختلف..

"وأنا لدي خطة بديلة".

وناوله سيجارة في هدوء كان شيئاً لم يكن..

نظر له أوغل.. كانا معتادان على الاختلاف في الرأي ثم المصالحة.. أخذ السيجارة وأشعلها من سيجارة شوكت:

"لديك كل جديد".

أخذ أوغل نفساً عميقاً من السيجارة ونفث الهواء ليخبره بما يفكر دون أن يعبأ بالسخرية الواضحة:

"لدي تقارير من عدة مواقع سواء في الأماكن الشعبية أو غيرها.. أن هناك تعاطف من المصريين مع جماعة حالئين"..

أوغل وينفث هواء السيجارة:

"معروف.. معروف.. هذا لا يحتاج لتقارير".

شوكت يكمل ويقرأ من ورق أمامه:

"و التقارير تقول أن المصريين باتوا لا يتقبلون الصينيين كما كان في الماضي.. خصوصاً مع الصلف والغرور اللذان يتعاملان به مع فئات الشعب المختلفة.. وأن أي شخص أو جماعة تهاجم المصالح الصينية باتت تحظى بحب الشعب وتعاطفه حتى..".

وتابع مشيراً على سطر بعينه وتحته خط في التقرير:

"حتى لو كان المهاجم من قوات الحماية الأخرى"

بهت أوغل فلم يكن يتصور هذا..

عمله الميداني المستمر المدعوك فيه ليل نهار جعله بعيداً عن التقارير التي تجعل صاحبها ذو رؤية أوسع دوما..

أوغل وقد فهم مقصده بسرعة:

"رأيك أن نهاجم موقع صيني؟".

شوكت تاركاً الورق ويعد على أصابعه بما يدور برأسه:

"بالطبع وسنكسب في ذلك عدة نقاط..

أولا: سنظهر للشعب المصري بشكل جيد وإننا لا نهاجمهم..

ثانيا: سيهدأ حالئين ولن يهاجموننا ويركزوا على الأوروبيين والصينيين ليقلدونا ويسبقونا..

ثالثاً: ستكون الضربة بمثابة حجر في عين الدب الصيني.. ولن يعرف من الذي ألقاه..".

أوغل بغير فهم للنقطة الأخيرة وهو معجب بتفكير شوكت:

"لن يعرف من ألقاه.. ماذا تقصد بهذا؟".

ارتاح شوكت في جلسته وتأكد أن أوغل لن يعارضه في تنفيذ الخطة:

"سأخبرك.. سأخبرك بكل شيء".

وألقى القنبلة الغير متوقعة في وجه أوغل:

"سأخبرك ثم نذهب سوياً لمقابلة الشيخ".

وتابع وأوغل لا يصدق الاسم الذي يقوله لأنه من ألد الأعداء:

"الشيخ صالح".

* * *

<u>*منطقة الأزهر بالقاهرة*</u>

الشيخ صالح: - زعيم تنظيم قاعدة الإخوان بمصر.
- نائبه وابنه هو راوي

داخل محل عطارة صغير..

"لو سمحت يا حج"

نظر الشيخ صالح المسن إلى الرجل الواقف أمامه..

الشيخ صالح ذو لحية بيضاء مهذبة وثوب ونظرة ودودة قوية..

الرجل الواقف أمامه لا يبدو زبوناً على الإطلاق.. نظارة شمس وبدلة فارهة.. ويضع منديلاً

على انفه.. ليس هذا فحسب ولكنه قلق من رائحة المحل الجميلة بخليط من العطارة..

أخيرا قال له من خلف المنديل:

"ثمن كمون وثمن كثبرة.. مش مطحونة"

ليعطس بقوة هائلة..

الشيخ صالح يبتسم.. فهو معتاد على رؤية ناس مثل هذا الرجل..

يمتلك محل العطارة الصغير بالأزهر.. ليس هذا فحسب..

بالإضافة إلى ذلك كان زعيم تنظيم قاعدة الإخوان..

الإخوان والقاعدة في مصر اندمجا منذ 2020..

بعد توغل فكر القاعدة في الشباب المصري خصوصاً بعد النهاية الدرامية لشيخي التنظيم أسامة وأيمن 2015 .

تطلع الشيخ للسائل بعينين حادتين وأطال النظر فيه ثم سأله:

"ومش عايز تطحن الكثبرة ليه؟".

السائل متماً الجملة المتفق عليها:

"مشان المطحنة مستنية بره".

التفت ابن الشيخ ونائبه راوي بعينيه الزرقاوتين وشعره الطويل الذي يغطي قفاه إلى السائل وتطلع إليه ثم إلى أبيه..

لف الشيخ له طلبه سريعاً وأعطاه إياه كأي زبون عادي..

أخذ الرجل الكيس الورقي وانصرف بعد أن أعطاه الثمن..

ارتدى الشيخ عباءته وأسرع الخطى خلفه وهو يهمس لراوي:

"حاشوف بعنين في إيه بسرعة وآجي؟".

وقف راوي مكانه وتمتم مودعاً الأب بنظراته:

"يا ترى عايزين إيه ولاد أتاتورك؟".

* * *

حمام شعبي بمنطقة القلعة

خمسة حراس صينيين أشداء يقتحمون الحمام بقوة..

الحمام يقع في طابق أخير بمبنى ضخم كان فيما مضى فندقاً فخماً يطل على القلعة من ناحية.. وجبل المقطم من الأخرى..

الآن تحول الطابق الأخير من المبنى إلى حمام شعبي لأهل المنطقة من المصريين..

فزع صاحب الحمام الأقرع إلا من فوديه عند رؤيته للحراس وسألهم وقد عرف الموضوع دون أن ينطقوا:

- الحمامات الشعبية عادت للانتشار في القاهرة نظراً لانقطاع المياه الدائم وهي تكلف 50 جنيه في المرة. - لا توجد اشتراكات لعدم ضمان استمرارية وجود المياه!.

"يا سبتي.. دلوئتي يا صاحب؟ الحمام مليان جمع كتير".

أحد الحراس يهز رأسه ويقول بعربية سليمة وبحسم:

"أيوة و بسرعة.. هو طالع الآن".

الرجل يشمر ذراعيه ويحدث الناس المزدحم بهم المغطس الحار:

"معلش يا جمع.. كله يطلع عندنا ضيف مهم".

وتطلع إلى الحرس وتابع:

"عايز ينضف"

تطلع الجمع بغضب إلى صاحب الحمام والحرس وقد فهموا..

باجا الزعيم..

زعيم الحماية الصينية يود الاستحمام الآن وهو لا يحب الانتظار..

أقل من دقيقة واحدة كان المكان قد أخلي تماماً من الرواد والعاملين..

كان آخرهم هو الرجل صاحب الحمام أعطى الحارس المفاتيح قائلاً:

"لما ينظف بالسلامة.. حتلائوني مستنيكم ع القهوة تحت".

ثم مشى خارجاً من المكان وهو يتمتم ويسب بداخله دون أن يسمعه أحد

اصطدمت عيناه بعيني باجا الذي اقتحم المكان بصحبة حارسين معه

كان يشبه خانكيزخان في كل شيء..

الهيئة.. قصر القامة.. الحدة.. الشكيمة..

ما عدا شعره العجيب فباجا اقرع تماماً

باجا : - رئيس الحماية الصينية - سان: هو نائبه.. بينهما تنافس وغيرة شديدة.

عدا خصلة شعر طويلة ناعمة تنبت من منتصف رأسه الأيسر وقد عقصها دوما برباط صغير في مؤخرتها لتشبه الكورباج الصغير..

صاحب الحمام يرفع يده محيياً إياه تحية عسكرية..

باجا يبرطم في وجهه بكلمات صينية عديدة.. الحارس يترجم للرجل بقوة وبعربية معجونة:

"بيقول انو حتيقطع ايدك لو حايتوا تاني.. ديي تحية بتاع عسكر صيني فقط".

الرجل يتعجب ويكتم غيظه وينصرف دون كلام.. انصرف و يواصل الدعاء عليه:

"إلهي يجيلك جرب وتهرش فيها لما تحمر زي القرد".

* * *

<u>داخل غرفة الاستقبال</u>

مستشفى أهالي قريب من معسكر السيرك..

توفيق يجلس على الأرض وعينيه زائغة ولا يصدق..

أمامه سلوى ترقد على سرير المستشفى مغمضة العينين..

الممرضة تتأكد من استقرار النبض البطئ بعد المحاليل الكثيرة التي ضخوها بجسدها..

لقد نقلها المسئول عن الملجأ بعد أن فقدت وعيها وتقول لتوفيق:

"مفيش داعي لوجودك.. تعالى بكرة".

توفيق ينظر لها ويبكي بحرقة.. ولا يدري ماذا يفعل؟

وقت أن جاءه العمل آخذ منه أغلى حبيبين..

ابنه وزوجته..

لا يدري ماذا يفعل.. لا يدري..

* * *

بعد يومين.. قرب الغروب

صفارات الإنذار تدوي في كل أنحاء القاهرة بغتة..

كان هذا معناه أن حادثاً كبيراً قد وقع..

من داخل إحدى المحلات في سوق الزمالك خرج بائع كوبي ممسك بنشرة مكتوب عليها (*البجل*) تقوم بنشر أخبار الكوبيين في القاهرة وتتداول سراً..

يجري شاب مصري أمامه وهو يصيح:

"هيييه... هيييه..".

يمسك به البائع و يسأله والشاب يلهث:

"في إيه يا صاحب حصل إيه؟".

الشاب وهو يجري ويتركه:

"بيئولوا باجا مات.. قنبلة فرئعت فيه.. بيئولوا القاعدة عملتها المرة آدي تمام".

البائع ينظر له غير مصدق.. يسمع صوت زغاريد عديدة تنطلق من عدة شقق.. صوت لم يسمعه من قبل في حياته..

الصوت يتعالى والبائع يتساءل بصوت ولم يسمع زغاريد من قبل:

"أصوت فرح وشماتة؟.. أم حزن ومواساة؟"

* * *

ثاني يوم العصر

على باب أحد المساجد الأثرية بمنطقة الأزهر..

آخر مصلي بعد صلاة العصر يلقي بخفيه على الأرض.. يرتدي اليمنى ثم اليسرى.. ينصرف لامحاً حارس المسجد التركي المدجج الواقف عند الباب والممسك بسلسلة بآخرها كلب حراسة شرس..

يسمعان صوت التلفاز من محل قريب وهو يذيع البيان المكرر بالعربية:

"وقد أكد مصدر صيني أن السيد باجا قد نجا من الحادث التفجيري الذي وقع عصر أمس بمقر قيادة القوات الصينية بقصر عابدين".

~~

حسب اتفاقية عابدين.. الأتراك متوليين حراسة مساجد القاهرة الكبرى

كادت أن تفشل مفاوضات عابدين وعلقت ليومين عند هذه النقطة..

فالصينيون والأوربيون أرادها لجنة مشتركة تقوم بعملية الحراسة..

إلا أن الأتراك قالوا أن اللجنة ستثير حفيظة الشعب المصري المتدين..

فلو رأى المصري الجندي الصيني الملحد يدوس بقدمه جامع الأزهر سيقول أن أحفاد جنكيزخان وصلوا قلب القاهرة..

ولو رأى الجندي الأوروبي يدوس بقدمه مسجد القلعة سيقول أن أحفاد ريتشارد قلب الأسد وصلوا قلب القاهرة..

لكن لو رأى الجندي التركي يدوس بقدمه مسجد السيدة عائشة فسيقول:

"حرماً يا دفعة".

ويرد الجندي التركي بالعربية:

"جمعاً إن شاء الله يا حج".

عند هذه النقطة لم يستطع المفاوض الصيني أو الأوروبي أن يعترض..

– اتفقوا على التنسيق مع الجانب التركي بحيث تصلهم تقارير أسبوعية عن أية تحركات مريبة أو تجمعات نشطة تحدث بالمساجد..

– وأن يسمح لرجال الحماية الصينيين والأوربيين من المسلمين بدخول المساجد في كل الصلوات والاحتفالات الدينية..

وهذا بالطبع فهمه الأتراك.. فهؤلاء سيكونون بمثابة جواسيس واضحون في كل صلاة..

بخلاف الأخريين من المصريين الذين سينجحوا في تجنيدهم بالإغراءات المالية أو بإقناعهم أن عملهم هذا لحماية البلد من تهديدات القاعدة المستمرة وزحفها الكاسح على كل البلدان الإسلامية..

أما الأتراك فقد كانوا بارعين في إدارتهم لهذه النقطة فقد كانوا يختارون جنود حراسة الجوامع من غير الملونين.. وأسمائهم من التي يألفها المصريين.. ومعظمهم من ينتمون لأصول كردية..

كما شارك شوكت وأوغل في احتفالات المولد النبوي التي كانت قد منعت لسنوات عدة بسبب تفجيرات القاعدة المتكررة بمنطقة الحسين..

مشاركة شوكت وأوغل أسعدت المصريين.. وعندما شارك معهم مرة باجا ووليام في الاحتفالات ردد المصريين جملة:

"ده مسح جوخ".

~~

الجندي التركي قال للرجل الخارج من المسجد وهو يبعد عنه الكلب:

"حرماً يا حج".

والرجل رد بآلية وهو يلمح مقيم الشعائرالمصري الأعرج قادم من الداخل ليغلق الباب:

"جمعاً يابني إن شاء الله".

أطل الجندي برأسه إلى المسجد الخالي وحرص على إبعاد الكلب المدرب على عدم الدخول إلا بصفارة منه..

تعاون مع مقيم الشعائر المسك بقدمه العرجاء في تركيب قفل ضخم على الباب حتى موعد صلاة المغرب..

والقفل له مفتاحان واحد مع مقيم الشعائر والآخر مع الجندي ولا يفتح إلا بالمفتاحين معاً وفي وقت واحد..

يسمعان صوت التلفاز وهو يعيد من المحل القريب وهو يعيد البيان:

"وقد أكد مصدر صيني أن السيد باجا قد.."

لم يسمع المصلي الباقي وهو يهز الباب الخشبي بقوة للتأكد من حسن إغلاقه..

والجندي التركي يقول كلمته المكررة له ككل صلاة وهو ينصرف لنقطة الاستراحة القريبة:

"ما تتآخر".

* * *

مقر القيادة الصيني في جبل الخشب

باجا يراجع تقارير جاءته منذ الصباح الباكر..

يقاطعه نقر قوي على الباب..

عرف صاحبه دون أن يراه وأذن بالدخول:

"ادخل يا سان"

دخل سان قائد القوات عليه في بدلته العسكرية ذات النياشين الكثيرة..

سان.. قائد معركة الشرف بصحراء سيناء في 2044 التي استرد فيها الصينيين هيبتهم من الأتراك..

70000 قتيل تركي في مقابل 18000 صيني..

لقد التفوا وسار جيشهم في طرق برية عبر سوريا وفلسطين ليفاجأ القوات البرية التركية في قلب سيناء..

طحنوهم.. واستخدموا في إبادتهم آخر

الأسلحة الحرارية التي آتوا بها من الصين

ومن نجي منها صار علما معروفاً..

وجرت على ألسنة المصريين أمثلة تدلل على ذلك الحظ..

"نجا من المحرقة".

المحرقة الكبرى
70000 تركي أحرقوا وأبيدوا في سبعة ايام .. لم ولن ينس الأتراك ذلك اليوم ابدا .. لذا اطلقوا هذا الاسم عليها.

سان يجلس وينظر إلى باجا في انتظار ما سيقوله..

كان يعلم أن استدعائه على نحو مفاجئ وبهذا الشكل كان يعني أن شيئا هاما سيحدث..

باجا يحدثه ويفهمان بعضهما تماماً:

"بعد ما حدث.. اعتقد أن الوقت قد حان لنعلن عن وجود الأطهار".

سان يفكر ثم يرد ببرود مباشرة دون مراوغة:

"قلها بشكل شخصي.. قل سأعلن ولا تقل سنعلن".

باجا ضاغطاً على أضراسه:

"ومنذ متى وأنا آخذ الأمور بشكل شخصي.. لقد حاولوا قتلي".

ثم تابع ليوضح له الهدف من الإعلان عنهم:

"مصور الإمبراطور سيحضر بعد يومين.. وقد أخبرته أني سأسعد فخامته بأخبار جديدة".

سان يثور وينتفض من مكانه:

"هذا معناه إنك قد اتخذت قرارك منذ فترة".

باجا يرد عليه ولم يتحرك و يمسك بخنجر تاريخي ضخم موضوع أمامه على المكتب:

"وماذا يضايقك في ذلك؟ إنه عملي".

سان يكتم غضبه ولا يريد أن يتعدى حدوده:

"لا شيء.. أنت القائد هنا".

بعين قاسية يتفحصه باجا ويتابع:

"لم أكن لأتوقع منك غير هذا.. يمكنك الانصراف الآن وجهز نفسك.. فقريباً سنزورك في حلوان أنا ومبعوث الإمبراطور".

بهدوء بارد قام سان وانصرف..

وبهدوء أبرد عاد باجا إلى التقارير..

* * *

داخل المسجد الذي أغلق منذ قليل

ثلاث شباب ملثمين يبرزون فجأة من أسفل المنبر..

بخطوات سريعة وبلا صوت تقدموا خطوات وقاموا بالنقرعلى باب

غرفة مقيم الشعائر المجاورة للمنبر..

فتح الباب ليظهر ظل رجل مسن ذقنه بيضاء..

انكبوا على يده وقبلوها..

وكانوا يتسابقون في ذلك..

أحدهم وهو متمسك بيده:

"ادع لنا يا شيخ صالح.. الصينيين ثالبين الدنيا علينا".

نطق الشيخ صالح بصوته الضخم المتناسب مع حجمه:

"طبعا قتلتم منهم 85 في ضربة واحدة.. لقد اصابت إحدى القذائف نقطة تجمع لطابور تغيير الوردية بالضبط الملعون باجا أفلت ما كنش ف مكتبه".

شاب آخر ولا يقوى على رفع عينيه في وجهه:

"وماذا سنفعل الآن يا مولانا؟".

الشيخ يسأله بغموض وينظر للجميع:

"المفروض انكم وين دلوئتي؟".

الشاب الثالث يسمع المفروض:

"المفروض إننا في السويس نصطاد سمك وبعدين بنروح الشادر".

الشيخ مخرجاً سبحته المئوية جالساً على درجة المنبر الأولى:

"اذن ستذهبون إلى السويس ثم الشادر".

نظر الثلاثة إلى بعضهم بغير فهم..

فكيف يتحركون ويذهبون إلى قرب ثكنات الصينيين والمفروض أن يبتعدوا عن الأنظار..

الشيخ يطمئنهم بإشارة من يده وبطن كفه الوردي يظهر في الظلام بلون رمادي غامق:

"اطمنوا.. دي أول عملية ليكوا كمجموعة مشان كده مخضوضين"

ثم تابع رافعا السبحة الياقوت ومعها ورقة أمام وجهه:

"ستأخذكم سيارة الآن إلى مدينة الشروق.. وهناك ستقابلون شخصية هامة.. أرجو أن تسمعوا كلامه و تنفذوه بكل دقة.. مفهوم.. ستفهمون كل شيء".

ردد الثلاثة في نفس الوقت:

"مفهوم".

أعادها ثانية:

"اسمعوا كلامه ولا تستغربوا من هو.. مهما كان".

نظر بعضهم إلى بعض ولم يفهموا هذه الألغاز..

لكنهم هزوا رؤوسهم في صمت..

صوت متحدث عبر الاسلكي مع الشيخ يقول كلمات محددة بصوت مخروش:

((("احنا بره"))).

قام ومد يده داخل المنبر واخرج الهاون الذي استعملوه في الهجوم الموضوع داخل شمسية

كبيرة كالتي يستعملها الباعة في أي شارع من شوارع القاهرة وناولها لهم وهو يقول:

"هيا م السرداب.. حيخرج بكم عند المحل.. تخرجوا منه... ولدي راوي حايوصلكوا للعربية".

دخلوا الغرفة ليزيحوا السرير الصغير ليبدو حائط عادي..

دفع احدهم الباب الخشبي الصغير المخبأة بمهارة عن الأعين وبحجم إنسان صغير.

دخل الثلاثة ومعهم الشمسية ليغلق الشيخ عليهم الحائط ثانية.

يرجع السرير مكانه وهو يتنفس بعمق..

جلس عليه ممسكاً باللاسلكي ليتحدث بكلمة واحدة:

"جايين".

* * *

في نفس الوقت

على بعد كيلومترين.. منزل مكون من ستة أدوار..

محصن منيع.. فالتجار الصينيين يخزنون فيه المال ويعد بنك خاص بهم..

محصن منيع.. فمجنزرة تحرسه وعدد من الموتسكيلات دائما موجودة..

إلا أن هذا ليس هو السبب الوحيد..

فبدءاً من الطابق الثالث والمحظور دخوله كان يقع أكبر مقر للمخابرات الصينية في مصر كلها..

محصن منيع.. به أفضل العناصر البشرية وآخر ما بقى من تكنولوجيا صينية والتي تم الحفاظ عليها بصعوبة بالغة من طحن الحروب..

في قاعة هادئة بالطابق السادس.. توجد معدات تجسس متقدمة تلتقط كل المحادثات التي

تجرى عبر اللاسلكي في المنطقة وتحللها ومنها يمكنها كشف بعض المخططات..

بالطبع كانوا يعلمون إن الأوربيون لديهم مثل هذه المعدات وربما أفضل

وكذلك الأتراك الذين حصلوا على الكثير والكثير من حطام الأسطول الصيني في موقعة أشداء 2042..

أحد الجنود الصينيين التقط الكلمتين عبر اللاسلكي بين الشيخ والسائق

تكلم بسرعة في جهاز صغير أمامه يصل مباشرة برئيس الجهاز في مكتبه بالطابق الخامس:

"إنهم يهربون".

كان هذا اتصال مباشراً بخيوط (*الواتيانج*) مع رئيس الجهاز في اجتماع لبحث الأخبار التي تتحدث عن هجوم المغاربة المتوقع..

انتفض من مكانه وأسرع لمكتبه ليتحدث بعصبية وقلبه يدق:

"متأكد؟".

بكل تأكيد وحزم يؤكد الجندي:

"نعم".

رئيس الجهاز يفتح اتصال مباشر وخاص ليوجه نداء عام لكل رجال الحماية بالقاهرة الكبرى.. كل فرد فيها سمع الكلمات التالية:

"إنهم يهربون.. تفتيش كل من يشك في أمره"

* * *

<u>وادي جدعا.. غرب 6 أكتوبر بنحو 90 كم</u>

وليام: زعيم الحماية الأوروبية.. - مساعده هو ابنه جون

قبل غروب الشمس..

ضربة قوية من مضرب جولف أنيق

ترسل بالكرة بعيدا لتستقر بالقرب من حفرة بعيدة جداً..

الأرض المعدلة من الرمال المدكوكة والتي تمت معالجتها لتصلح كملعب جولف أنيق.. ملعب من الرمال المصبوغة باللون الأخضر..

أما اللاعب فهو السير وليام..

زعيم الحماية الأوروبية.. بشعره الأبيض المصبوغ أصفر.. وعينه الزرقاء..

قوي الشخصية حازم حتى في اللعب والاستمتاع..

- بدايته كانت في المخابرات الأوروبية سابقاً في قسم الأعمال القذرة جداً حيث لعب دوراً في تأجيج الحرب بين الصين وتركيا في سوريا..

- ثم كوفئ فتحول إلى القيادة الميدانية.. وتخصص للعمليات خلف خطوط العدو.. ولدهائه وصيته الذائع في أوروبا كلها تحول إلى رمز الأمل واستعادة الهيبة التي سرقها الصينيين والأتراك..

- ترأس مفاوضات تقسيم وسط القاهرة 2029 ثم مفاوضات تقسيم المدن 2030 وحصل بموجبها على أفضل ما يمكن الحصول عليه للجانب الأوروبي.. ومن يومها هو زعيم الحماية الأوروبية بلا منافس

"ضربة جيدة".

هكذا همس له مساعده وابنه جون..

جون يبدو كأنه في الثلاثين لكنه لم يبلغ الواحدة والعشرين.. ملامحه لا تشبه وليام في شيء.. كأنه ليس ابنه.. أسود الشعر وقد صبغه اصفر.. أسود العينين..

مد وليام له يده الفارغة دون كلام.. ناوله جون زجاجة مياه معدنية صغيرة و باردة يندر وجودها..

فبئر الواحات يتبع الحماية الأوروبية ويدر عليها أموال طائلة.. فطلبات التصدير لا تنتهي ولا تتوقف عن مصنع الواحات الضخم..

ناول وليام جون الزجاجة الفارغة لامحاً سيارة كهربائية صغيرة تقترب بسرعة مثيرة عاصفة من الرمال الخضراء..

الراكب في السيارة هو جدعو رئيس جهاز مخابرات الحماية الأوروبية.. يهودي الاصل

جون بصوت هامس وعينه في الأرض:

"يبدو أن هناك أخبار هامة سيدي".

كان لمجيئه من مكتبه بالعاشر من رمضان إلى وادي جدعا تدل على أن هناك أخبارا هامة لا تؤجل..

توقفت السيارة بالفعل أمام وليام تماماً.. هبط منها الرجل القصير المكير يغلق زر بدلته الزرقاء ويقول بأدب جم:

"سيدي عفواً لاقتحامي وقت راحتك.. هناك أخبار عاجلة".

وليام يركز في الضربة الثالثة على نفس الحفرة من نفس المسافة:

"ماذا؟ هل قام الصينيون بهجوم ثانية؟".

جدعو ينظر لجون بمعنى: *"أود الحديث معك على انفراد".*

وليام مباشرة وهو يركز في الضربة:

"تكلم.. تكلم.. ألا تعلم من هو.. إنه جون ابني و مساعدي".

الرجل يعلم ولكنه تردد ثم حسم أمره مع نظرة وليام الصارمة المخيفة:

"سيدي أنا لا اقصد شيئاً.. لدي أخبارأكيدة.. المغاربة يعدون لعمل كبير"

وليام يركز في الضربة أكثر وأكثر ويسأله:

"هنا أم في المغرب؟".

الرجل بتأكيد ويفرك في يديه:

"هنا ويعدون لها لينفذوها قريباً.. رجالنا هناك اخبرونا بأنهم قد ادخلوا كميات هائلة من المتفجرات وإنها مخزنة بالكامل في مرسى مطروح".

وليام ينظر له ولا يتكلم كأنه يفكر.. جدعو يؤكد المعلومة بأخرى:

"وقد تأكدنا من عدة مصادر عن صحة الخبر.. والصينيون أيضاً لديهم علم عن الموضوع ولكن دون تفاصيل".

وليام يسدد الضربة لتطير الكرة بعيدا ويسأله بهدوء كأن الأمر لا يعينه:

"مم.. وماذا عن مكتبنا بمرسى مطروح؟".

جدعو مباشرة يؤكد أنه يؤدي عمله وينحني بلا مبرر:

"يبحثون ليل نهار عن مكان المتفجرات".

ينظر وليام بنظارة مقربة على مكان سقوط الكرة البعيد عن الحفرة تماماً ويتابع ببرود:

"حسناً.. أريد متابعة دقيقة.. وأن توافيني بالتطورات".

* * *

وسط البلد

السيارة التي باتت من النوادر لندرة البنزين تتحرك بالشباب وتقترب من نقطة تفتيش صينية..

تقاطع شارع 26 يوليه مع شارع رمسيس في الطريق إلى رمسيس..

أوقفهم رجال الحماية الصينيين ويشيرون للسائق بتصريح الخروج

يسأله أحدهم في غلظة وبعربية فصحى يسأل السائق:

"إلى أين تذهب بهم؟".

السائق يلوك لبانة بمخدر سييد ورائحتها واضحة ويعطيه التصاريح ببرود وبأطراف أصابعه:

"حاوصلهم للسويس".

الرجل الصيني متمرس يتفحص التصاريح ويقارن الصور مع الموجودين بالعربة.. كل شيء سليم.. وتاريخ سفرهم اليوم فعلا.. إلا إنه يشك بشيء ما..

سألهم وهو ينظر إلى وجوههم الهادئة:

"لماذا لم تسافر منذ صباح؟".

رد أحدهم من الخلف بملل متصنع:

"عشبال ما الدنيا فكت.. احنا جاهزين من زمان انتوا كنتوا ئافلين".

الرجل يمشط العربة بعينيه ويضع يديه في جيبه ويسأل الشباب:

"أجرة كام.. انتوا معاكوا فلوس؟".

رد آخر من الخلف:

"يهووووتء.. التساهيل مبروكة.. أنت قرنان ليه؟".

قال لهم ببرود وهو يرتكز على العربة بيده وقد تأكد من شكوكه:

"ممكن تمشي".

وناولهم الأوراق.. لينصرفوا فورا..

بعد أن غابوا رفع جهازا دقيقا يرتبط مباشرة بمكتب السيد باجا وقال:

"بلاغ.. وجدت المجموعة المخربة"

° ° °

المعادي الجديدة

المنطقة العشوائية المكتظة جداً..

حسب اتفاقية استبينا 2034 المناطق العشوائية تابعة لجماعة حالنين

~~

– في البدء كان لجماعة حالئين ظهور واضح في كافة المناطق العشوائية.. وكانت تقوم بعمليات إغارة على القوات الصينية والأوروبية من أجل الحصول على غنائم..

– وعند إجراء مفاوضات منفردة مع الأتراك آمالهم كانت منحصرة في الدويئة فقط.. بالفعل حصلوا عليها..

– ومع الوقت وتزايد ضرباتهم وعمليات خطف الجنود الأتراك وذبحهم

كانوا يعلقون الجثث بدون رؤوس على كوبري قصر النيل بقرب أكثر المواقع التركية تحصيناً.. ميدان التحرير..

– آثر الأتراك الانسحاب من المناطق العشوائية التي تسيطر عليها حالئين.. وأن تقوم فقط بعمل مراقبة نقاط العبور من وإلى المناطق..

– حتى الشرطة والمطافئ والإسعاف تكون من رجال حالئين..

في مقابل التزام الجماعة بعدم خطف الجنود تماماً..

– ووقع الأتراك من خلال مندوب تابع للسيد كمال اتفاقا بذلك سمي على الاسم الذي اختارته حالئين وصمم عليه الريس وتمسك به على الرغم من غرابته..

*اتفاقية (**استبينا 2034**).. بين حالئين والأتراك..*

وافقت الجماعة على الفور واعتبرت هذا انتصاراً كبيراً..

وكان هذا أقصى ما تريده الجماعة..

~~

في شارع متفرع قريب من محطة مترو المعادي الجديدة السابقة..

توقفت سيارة نصف نقل أمام أحد المحلات..

المنطقة مزدحمة والناس استغلت فرصة انتهاء الحظر وخرجت لتشتري حاجياتها من طعام وشراب خشية حدوث طارئ آخر..

كانت محملة بكراتين البضاعة.. مكتوب عليها معلبات ومكتوب على السيارة إنها تتبع الحماية التركية..

بتراخ لاحظ جندي تركي العمال الذين برزوا من المحل واخذوا يفرغون البضاعة سريعا..

اقترب من السيارة وهو يستمع إلى الأغنية التركية الصادرة من الداخل

كانت لمطرب راحل يحبه ويستمع لأغانيه دوما.. ♫

السائق يلقي له بعلبة لحم الغزال لا تصرف للجنود أبدا..

غمز له بلا كلام.. التقطها الجندي وغمز له هو الآخر..

انصرف بعد أن تأكد أن كل شي على ما يرام..

بالتركية يحدث السائق الذي جاء أحد العمال ويناوله سيجارة ويقف بجواره ويدخن باستمتاع:

"تمام".

السائق يبتسم له وبتركية سليمة يرد وهو ينفث الدخان:

"تمام".

الجندي ينصرف ويقرأ محتويات العلبة وهو يتخيل طعم لحم الغزال الصافي بلا خضار..

السائق ينظر للعامل الذي ألقى السيجارة على الأرض وداسها بقدمه ويقول له لامحا

الكراتين كلها وقد أفرغت في المحل:

"كله تمام.. آهو".

رد الآخر وهو ينظر للعمال الذين يقومون بعملهم بهمة وسرعة:

"كله تمام"

إلا أن لغة الحوار لم تكن تركية..

كانت فارسية.. ومليئة بالتحدي

* * *

<u>جبل الخشب</u>

باجا متوتر يدور في مكتبه..

كانت الأخبار قد وصلته أن ضابطا قد كشف السيارة التي تقل المجموعة المخربة..

وقد زرع فيها جهاز تعقب صغير..

~~ ### ~~

قال لهم ببرود وهو يرتكز على العربة بيده وقد تأكد من شكوكه:

"ممكن تمشي"

~~ ### ~~

وهو الآن يتبعهم بسيارته دون أن يشعروا..

وقد جهز باجا انتقام بشع من المخربين.. صفير صغير ينبئ باتصال من الضابط. فتح باجا الاتصال مباشرة.. ليقول له صوت منخفض:

"سيدي.. إنهم يسيرون ببطء في المنطقة السادسة بالشروق"

تلتمع عينا باجا فهذا ما كان يريده تماماً لتنفيذ انتقامه:

"ممتاز.راقبهم ولا تتدخل.. لا تتدخل.. اخبرني فقط بالتطورات".

* * *

رشيد.. البلدة القديمة

ومن الميناء يتم تصدير واستيراد البضاعة من وإلى دول المتوسط..

~

الميناء ورشيد القديمة والجديدة تابعة للحماية الأوروبية.

أقدام قوية تصعد سلم بيت قديم..

~

أسرة سعيدة مجتمعة حول الطبلية الصغيرة لتأكل سوياً..

أول مرة تجتمع على اثنين كيلو كباب وكفتة.. كان الابن الصغير رفعت هو صاحب الدعوة..

الأب يبتسم على الرغم من قلبه الذي يشك ويفكر فمن أين يأتي ابنه ذو العشرين ربيعاً والعاطل بنقود الكباب فجأة..

والأم تبتسم كذلك ولكن في عقلها ألف وألف سؤال.. لقد اختفى رفعت ليومين ليعود والنقود تتساقط منه..

أما رفعت فقد كان سعيد فخور بما فعل..

يمد الأب يده ويفتح اللفة.. الجميع يمد يده على الكباب والكفتة التي يتصاعد منها بخار السخونة مع الرائحة التي نسوها..

~

الإقدام الغليظة تقترب من باب شقتهم..

~

الجميع يبتسم وهو يأكل..

~

قدم غليظة تضرب باب البيت قديم..

يقتحم الجنود الفرنسيون البيت في عنف شاهرين أسلحتهم في وجه الجميع..

انتفض الجميع وصرخت الأم:

"حووو.. فيه إيه؟"

الضابط الفرنسي ذو الوجه المحترق من آثر معركة الشرف يشهر المسدس في وجهها:

"اسكت".

الأب يرتجف ويسأل الضابط:

"فيه إيه؟ عايزين إيه".

الضابط ينقض على رفعت ويمسك بياقته ويدفعه على الحائط:

"وين متفجرات يا خواتي؟"

لم يرد رفعت ولن يرد حتى لو مزقوه..

لن يخبره بما حدث.. إنها قد جاءته إلى الميناء من مرسى مطروح..

ثم نقلها هو براً على الجمال إلى القاهرة..

الضابط يمسكه من ياقته ويسأله ثانية ويضربه في الحائط:

"وين متفجرات؟".

الأم تلطم على صدرها وتتمتم غير مصدقة ما تورط فيه صغيرها:

"متفجرات.. متفجرات يا رفعت".

الأب لا يصدق ويعدل نظارته الطبية..

و رفعت لا يرد.. كعب بندقية يضربه في رأسه لينحني بشدة..

رفعت يبصق الدم من فمه على الأرض..

"ما تتعبش نفسك.. اتسلكت على مصر".

الضابط ينظر لحذائه الذي تلوث بالبصقة المدممة..

الضابط يصاب بحالة عصبية وبلا تفكير.. يخرج مسدسه الشخصي ويلصقه بجبهة رفعت الذي يتمتم ويغمض عينيه بقوة غير متصور إنه سيفعلها:

"يا حسين".

يطلق الضابط النار بوحشية وبلا تردد..

تنفجر جمجمة رفعت وهو ينظر بذهول ويسقط فورا كحجر..

الأم تصرخ.. والأب ينظر غير مصدق..

وببرود أكثر وكانتقام جماعي..

يدير الضابط المسدس باتجاه الأب ويطلق طلقة واحدة..

تنفجر رأسه ويسقط كحجر.. والنظارة تتحطم..

تصرخ الأم أكثر وأكثر وتصاب بحالة عصبية..

ببرود يتقدم منها الضابط ويلصق الفوهة الباردة برأسها..

وبلا تردد أيضاً..

يطلق النار..

الدم يطيرعلى اللحم المشوي..

ببرود يبصق عليها و ينصرف.. والجنود يتبعونه..

يدوسون على الطعام الذي امتزج بدماء الأسرة البريئة..

انصرفوا تاركين ورائهم.. مأساة..

مأساة بكل المقاييس..

* * *

<u>مدينة الشروق.. المنطقة السادسة</u>

معظم أهل الشروق هجروها واستطونتوا مدن صحارى و رانق و السبيل.

سيارة الشباب تتوقف أمام بيت فيلا أنيقة مليئة بمنطقة خالية من السكان.. نزل منها الثلاث شبان وهم يتحدثون:

"المنطئة هنا فاضية خالص".

– كانت الحرب الحرارية قد اشتعلت بين قوات الحماية الصينية والتركية عام 2036 في المنطقة واستمرت 3 سنوات متواصلة..

– كانت إمدادات السلاح تصل للطرفين بصعوبة بالغة..

– قلة البنزين وعدم وجود كهرباء أديا إلى عودة القتال في معظم فتراته إلى الأسلوب القديم.. بالسيف..

– كذلك صنع الطرفان من الأخشاب والحجارة المنجنيق الناري وتراشقا على مختلف خطوط القتال..

– أدى ذلك إلى دك الشروق واحتراقها بالكامل فالطرفين فضلا عدم استنفاع الطرف الآخر بها وان يحصل عليها الثاني خرابة..

شاب آخر بعصبية:

"العسكري الصيني نرفزني".

آخر وهو يحمل الهاون على كتفه:

"الحمد لله انو ماشافش الهاون".

كان لا يعلم إنه رآه من انبعاج الشمسية المختبئة أسفل المقعد..

دخلوا المنزل في خطوات سريعة..

كان في استقبالهم آخر شخص يتوقعوه.. ومعه مساعدان أشداء مدججين..

بعربية سليمة يحيهم:

"مرحى.. عاد ابطال الشيخ صالح".

أحد الشباب وهو يتراجع للخلف:

"أوغل"

~~ ### ~~

"اسمعوا كلامه ولا تستغربوا من هو.. مهما كان"

~~ ###~~

جاء صوت لا يتوقع من داخل المنزل.. يحيه تحية عسكرية رسمية ويهتف:

"تمام يا فندم.. تم تنفيذ المهمة على اكمل وجه".

نظروا غير مصدقين إنه قد سبقهم وهتفوا:

"راوي".

أوغل يقول لراوي وقد لاحظ ذهولهم:

"برجاء.. اشرح لهم الموقف"

راوي ينظر لهم ليجيب عن التساؤلات الموجودة بعيونهم:

"أنا جيت لتأمين وصولكم باعتبارها أول عملية ليكو"

سأله أحدهم ويشير لأوغل:

"مش ده اللي عايزين نعرفه.. التركي ده بيعمل إيه هنا؟"

راوي عابثا بلحيته الصغيرة ويقول لهم بخبث:

"حاشرح لكم الموقف الحالي.. حاشرح لكم كل حاجة".

* * *

قصر المنصورية

وليام يغلق جهاز اللاسلكي وقد علم بأن المتفجرات هربت للقاهرة..

جون يسأله وهو يستند بزراعيه على الطاولة الخضراء و يلعب السنوكر بمفرده:

"ماذا هناك؟".

وليام لا يحب أن يظهر نقاط الضعف أمامه:

"لا شيء".

جون يرمي عصا اللعب بنرفزة لترتطم بالكرات الحمراء والملونة وتسقط على الأرض وينصرف.. ووليام يسأله ببروده المعتاد:

"إلى أين؟".

جون ببرود مماثل من عند الباب:

"لا شيء".

وليام يشرد ويسرح طويلاً ويفكر..

ماذا يفعل في مشكلة المتفجرات التي هربت.. ماذا يفعل..؟

* * *

يسير في الصحراء..

مهيب.. طويل.. ذو لحية بيضاء كثة..

ملامحه عربية يمكن.. مصرية يمكن.. إيرانية يمكن..

يسير في الصحراء على ظهر حصان بني ويتقدمه الدليل على ظهر آخر أسود

أشار الدليل لجبل صغير على مسافة وقال:

"هناك.. سيقابلونا هناك".

نقطة سوداء تبدأ في الظهور في الأفق..

دقق المهيب فيها وحاول معرفة تفاصيلها.. أهي سراب.. أم جسم يقترب

الدليل ينظر بعين اعتادت الرؤية في ضوء النهار المبهر يلتفت إليه:

"سيارة.. بيضاء.. بها راكبان".

المهيب ويشرب آخر نقاط مياه من قربة كبيرة معه:

"بيضاء.. إنهم هم بالتأكيد".

يتوقف لأن السيارة تقترب منهم في سرعة وقد اتضحت الآن..

توقفت أمامهما تماماً مثيرة عاصفة من الرمال الحمراء..

المهيب ينظر للراكبين بابتسامة صغيرة وقد تعرفهما..

يهبط الشابان.. يسجد أحدهما سجدة شكر على الرمال..

يهبط المهيب عن صهوة جواده ويناول الدليل لجام الفرس..

يهرول الشاب الآخر إليه لينكب على يديه تقبيلا:

"خوش آمديد.. حمداً لله على سلامتك يا إمام.. حمداً لله".

المهيب يربت على كتفه..

الآخر يأتي وآثار الرمال الحمراء بجبهته يقبل يديه أيضاً ويقول:

"حمداً لله على سلامتك يا إمامنا".

ويحمل حقيبته الصغيرة ويذهب لوضعها في حقيبة السيارة..

يودع الإمام الدليل بإشارة من يده دون كلام..

ليبادله الدليل الوداع بإشارة مماثلة ويهمز الحصان ليبدأ في الابتعاد..

يركب الإمام معهما السيارة وما أن تحركت حتى سألهما:

"أهناك أخبار جديدة".

الشاب الذي يقود يرد:

"قتلوا رفعت وكل عائلته".

الإمام مغمض العينين و يتمتم بكلمات غير مسموعة..

الآخر يتابع ليخبره بالخبر الجيد:

"والمتفجرات وصلت القاهرة بسلام ووضعت في مخزن المعادي".

الإمام يريح رأسه للخلف وهو يفكر في المرحلة المقبلة..

مرحلة يتمنى فيها أن يرتفع شأن قومه وتكون لهم دولة بعد أن دمرت أمريكا دولتهم ومحتها من الوجود..

السيارة اختفت بهم في الأفق والصحراء الساكنة من حولهم لا تعلم إنها شاهدة الآن عن بدء مرحلة جديدة من الصراع..

الإمام الهادي زعيم المغاربة وصل

ليشرف بنفسه على تنفيذ العمليات بالقاهرة..

وصل وهو يحلم برفع علم بلاده فوق كل شبر

على الأراضي المصرية

علم بلاده الذي احترق منذ سنوات وآن الأوان لرفعه من جديد..

علم بلاده..

بلاد فارس..

الإمام الهادي
- زعيم المغاربة - ينحدروا لأصول إيرانية من الذين هربوا إلى بلاد المغرب العربي *بعد الدمار الذي لحق بايران*

* * *

فيلا الشروق

الشباب بعد ما سمعوا من راوي:

"إذن فنحن مرتبطون منذ فترة قريبة و في الخفاء بالأتراك وسننفذ معهم عمليات مشتركة ضد الصينيين".

أحد الشباب يتساءل وغير مقتنع:

"لكن الأتراك يتجسسون علينا ويعتقلون منا الكثير".

أوغل يفتح حقيبة معه ويمد يده داخلها:

"هذا من أجل أن تبتعد عنا عيون الصينيين والأوربيين ولا يشكوا بنا.. كل من يعتقل منا يترك سراحه بعد فترة قصيرة"

ثم تابع و يلقي برزمة ضخمة لكل واحد:

"أنا مضطر للانصراف.. لكن مكافأتكم جاهزة".

كان للمال آثر السحر في النفوس..

الورق الأحمر:
هو ورق فئة 5000 جنيه ..

ما أن لمست أيديهم الرزمة المحترمة.. حتى نسوا كل شكوكهم.. وألقى أوغل بواحدة ضخمة جداً ذات أوراق بلون أحمر لراوي ويقول:

"وهذه لك ولأبيك".

كان شوكت هو الذي عقد اتفاقية التحالف مع الشيخ صالح.. ثم أوكل الأمر لأوغل..

وكانت تقضي بالتعاون السري بين تنظيم القاعدة والأتراك..

قام وارتدى نظارة شمسية تليق مع البدلة الرمادية الأنيقة وودعهم قائلاً:

"ستلبثون هنا 3 أيام ثم ستعودون إلى بيوتكم.. ولكن تذكروا..".

رفعوا رؤوسهم ليقولها لهم بشكل حازم:

".. لا توجد أية ثرثرة في هذا الموضوع خارج التنظيم.. وإلا.."

كان معروفا للجميع ما المقصود ببعد وإلا..

ودعهم بإشارة من يده..

مساعديه يتحركون لتأمين خروجه..

أحد الشباب لراوي الذي يراقب انصرافه من وراء النافذة:

"يعني مش حانروح السويس فعلا".

راوي بشكل حاسم وقد تأكد من انصراف أوغل:

"لأ.. حتاخدوا معاكم كميات كبيرة من السمك مشان تبيعوها بالسعر اللي حانئلهوكوا عليه في السوق زي أي تجار.. أهم شيء أن ماحدش يعرف عن عملياتنا المشتركة مع الأتراك".

كان غطاءهم إنهم يصطادون السمك في السويس ويعيشون في مدينة الشادر ويعودون لبيوتهم

كل أربعة أو خمسة أيام..

يبدوا أن الأمور تتغير كل ساعة وما يعرفوه يتبدل بين لحظة وآخرى..

~~

كانت السويس بمثابة منطقة حرة يصطاد بها أي أحد منتمي لأي حماية.. تركية.. صينية.. أوروبية.. واتفق الجميع على عدم تلويث مياهها..

وكما بنا الصينيون مدينة الشادر قرب بور توفيق..

*يبني الأتراك مدينة سيطلقون عليها اسم **بورقسمات** قرب عتاقة..*

فلو تلوثت مياه السويس فلن يجد الجميع ما يأكله بعد تلوث مياه المتوسط بعد كارثة 2042 إثر معركة (أشداء) بين الأسطولين التركي والصيني أمام شواطئ الإسكندرية والتي انتهت بسحق الأسطول الصيني ، وتلوث مياه الإسكندرية ببقع كيماوية لم ولن تنتهي قبل عقود.

~~

الشاب المعترض بصوت قوي:

"أنا غير مقتنع بهذا التحالف".

راوي ينظر له بعين أقوى من صوته:

"وانا كذلك والشيخ وأوغل نفسه غير مقتنع وكذلك شوكت.. إنها مجرد".

وفكر في الوصف المناسب حتى وجده فقاله على الفور:

"مجرد.. ضرورات مرحلة.. و لفترة مؤقتة لن تدوم".

شاب آخر وهو ينظرحوله للفيلا التي كانت أنيقة يوماً ويقول بالفصحى:

"وماذا سنفعل طوال الأيام الثلاث المقبلة؟ ما هذا الملل؟".

جاءه الرد من خلال نفير سيارة متقطع من خارج الفيلا.. فتح راوي الباب رافعاً المدفع أمام وجهه ليتأكد من هوية راكبي السيارة..

فتح الباب وابتسامة شرسة ترتسم على وجهه..

نظر المتحدث بالفصحى في ترقب وهو يحاول تخمين من سيظهرعبر الباب المفتوح.. فكر..

~~ ربما يكون الشيخ صالح بنفسه لتكتمل المفاجأة ~~

~~ ثلاث فتيات ليل من كوبا يتقدمن ليدخلن البيت بخطوات رشيقة.. وملابسهن صارخة اللون.. فاضحة المنظر ~~

تحي إحداهما راوي بما يوحي بمعرفة سابقة وتداعبه في ذقنه:

"اهلا.. رامي.. تجوزيني يومين؟"

راوي ينظر للشاب القلق ويقول له بخبث:

"اطمئن.. لن يكون هناك أي ملل.. حنكتب عليهم شرعي".

* * *

<u>حلوان.. جبل حوف</u>

قرب الفجر..

- حلـوان وحلـوان الجديـدة تتبـع الصينيين منذ اتفاقية المدن 2030

تقدمت السيارة تريهمفي نادرة الوجود على جنزيرها الضخم من البوابة الحديدية التي تسد مدخل أحد الجبال في جبل حوف..

كان بها باجا في الخلف ومعه ضيفه الهام..

مصور الإمبراطور..

– لقد فرط الصينيين في بعض طلباتهم أثناء المفاوضات إلا عند هذا البند فقد تشبثوا به بكل

استماتة.. اختاروها لهدف لئيم يخططون له على بعد 20 عاما..

- لم يستطع معها الأوربيون ولا الأتراك أن يماطلوا كثيرا..

كان الجو فجرا مما زاد من برودة الطقس داخل وخارج السيارة..

نظر باجا إلى السائق الصيني وأمره:

"ما هذا البرد الشديد؟ ضخ لنا مزيد من الهواء الساخن في الخلف"

كان يصطحب معه مصور الإمبراطور الصيني الخاص والذي حضر خصيصا لتصوير الحدث الهام الذي يشرف عليه باجا وسان وذلك بالتنسيق مع جلالة الإمبراطور نفسه وهو يعد من أسرار الصين العسكرية الكبرى..

السائق يوضح له بصوت خافت:

"لقد سرنا لمسافة كبيرة من أسيوط والسيارة بحاجة لإعادة شحن"

توقف عن الحديث بعد أن شاهد عيون باجا تطق شرار في شاشة LHED أمامه لذا قام بضخ مزيد من الهواء الساخن في صمت خوفا من أن يصدر أمرا وتطير رقبته في ثوان..

لن تشفع له سنوات خدمته البالغة 8 حتى الآن.. فهو أحد الناجين من الأسطول الصيني في معركة أشداء 2042.. وقد كوفئ كمثله معظم الناجين بتقلد مناصب جيدة ومتقدمة..

رحمه صوت اتصال خاص جاء لباجا ويبدو أن المكالمة مهمة حيث شاهده في الشاشة وقد قضب جبينه وهو يسمع محدثه ثم يرد:

"جيد.. جيد.. تعلم ماذا ستفعل بهن".

يسمع ثانية ثم يرد وابتسامة شرسة على وجهه:

"نعم.. امنحوهن مكافأة نهاية الخدمة".

ثم أنهى الاتصال وهو يبتسم لمصور الإمبراطور وقال:

"نفذنا ضربة قوية للأتراك.. ذبحت منفذي هجوم أمس".

فغر المصور فاه غير مصدق بأن الرد قد جاء سريعاً بهذا الشكل..

السيارة تتوقف أمام البوابة تقدم الحارس منه ليفتح باجا النافذة الخلفية..

الحارس يؤدي له التحية العسكرية في ثبات..

باجا يلقي له بكلمة السر اللازمة للدخول.. هكذا يؤمن الصينيون مواقعهم خوفا من (*عمليات الغدر*) كما يسموها والتي يقوم بها الأتراك..

لذا لجأ الصينيين إلى هذا الأسلوب القديم وهو كلمة السر وهي تنقل بواسطة جنود من موقع لموقع على مدار الساعة وفي كل المناطق المتواجد بها قوات صينية وفق نظام مدهش..

ويستعملون في ذلك عملاء مدربون ومن جنسيات عدة حتى لا يشك بهم

خافوا من استعمال اللاسلكي أو الحمام الزاجل..

فاللاسلكي يخترق.. والحمام يصطاد ويعرف محتويات الرسائل ثم يطلق ثانية أو تغير الرسائل بأخرى وتحدث كوارث..

~ الأتراك هجموا ثلاث مرات على مواقع تخص قوات الحماية الصينية في عدة مناطق متفرقة وقتلوا وأصابوا العشرات وادعوا إنهم ليسوا المسئولين عن الحادث وحاولوا إلصاق التهمة بالقوات الأوروبية التي نفت مسئوليتها تماماً..

~ كل طرف يترك دليل في المكان الذي يهاجم عليه.. ليدل على أن الفاعل هو الطرف الآخر..

~ فلو هاجم الأتراك على موقع صيني.. تركوا بعض الهويات الأوروبية المسروقة ليثبتوا أن الفاعل هم الأوربيين.. وهكذا يفعل الجميع بالجميع..

~~ *صارت تجارة الهويات المسروقة رائجة جداً.. ويقبل على شرائها الجميع والثمن مفتوح..*

الباب يفتح وتدخل السيارة ببطء وتضيء أضوائها لتسير في نفق مظلم ممتد لعدة كيلومترات في باطن الجبل وباجا يقول للمصور:

"سيعجبك ما سوف تراه".

* * *

منطقة جبل أم قمر.. 50 كم شرق مدينة العبور

المنطقة قفر لا يسكنها انس ولا جان..

سيارة دفع رباعي مسرعة تتوقف مثيرة عاصفة من الغبار..

ينزل منها حارسان صينيان يتحركان بسرعة..

يسارعان بفتح الباب الخلفي ويتعاونان في حمل جثة ملفوفة بملاءة سرير..

يصعدان بها خطوات في أول الجبل حيث كهف واسع..

يلقون بالجثة بداخل الكهف.. يعودان لتكرار نفس العملية مع باقي الجثث الموجودة في السيارة..

أحدهما يقول للآخر وهو يلهث من الحمل وتتقطع أنفاسه:

"الكوبيات ثقيلات فعلاً".

* * *

في بطن الجبل

لا أحد.. لا صوت..

توقفت السيارة في أرض خالية بمساحة ضعف مساحة ملعب كرة قدم.. أشار باجا للمصور

بأن ينزل..

كانت الأرض مضاءة بلون هادئ خافت لا تبدو معها التفاصيل كاملة..

لا أحد.. لا صوت..

فقط ارض فارغة تبدو كمغارة عملاقة تم نحتها بعناية..

لم يكن ليتصور وجود مثل هذه المساحة المنحوتة في بطن الجبل..

فتح باب صغير على جانب ليظهر سان ببدلة عسكرية أنيقة يتقدم من باجا ويرفع يده له بالتحية العسكرية في قوة..

باجا بصوته الجهوري:

"جاهزون".

سان بشكل عادي كأنه غير مغتاظ:

"سيد باجا.. كل شيء على ما يرام.. في انتظارك من ساعتين"

باجا بلا مشاعر ولا يعتذر عن التأخير الذي تعمده:

"فلنبدأ".

أدى له سان التحية العسكرية بقوة وانصرف.. ولكن.. نظرة سريعة بينهما أوضحت كل المشاعر المختبئة المدفونة في الاعماق..

باجا يلتفت إلى المصور وآمره بحزم:

"أرجو أن تعتلي هذه الصخرة.. جهز كاميرتك سيبدأ العرض الآن"

وأشار له بنتوء طبيعي على جانب الأرض الخالية يصلح كمكان مرتفع للتصوير من أجل زاوية أوسع للأرض.

توجه المصور لاعتلاء النتوء بينما سيارة كهربائية صغيرة تدخل المكان من التي كانت تستعمل في ملاعب الجولف فيما سبق في المنتجعات المنتشرة على الطريق الدائري..

توقفت السيارة أمام باجا تماماً وأدى سائقها التحية العسكرية بقوة وثبات

اعتلى باجا السيارة المجهزة بسلم هيدروليكي متصلة بكابينة صغيرة تسع شخص واحد فقط..

ارتفع السلم بباجا وهو داخل الكابينة لمسافة تزيد عن 5 أمتار في الهواء وممسك بيده بميكروفون صغير..

ما أن توقف السلم عن الارتفاع والسيارة عن الحركة في نقطة معينة تتوسط القاعة الكبيرة حتى صاح باجا فجأة:

"ابدأ العرض".

فور انتهائه من الحديث أضيئت القاعة بإضاءة عالية لتبدو تفاصيل حوائط المكان.. الحوائط كلها انقلبت فجأة لتبدو على حقيقتها..

ناس متلاصقة ترتدي تيشرتات مموهة بنفس نقشة الحوائط..

ألوف نزلوا بشكل مدهش.. باستخدام سلالم من الحبال تم فردها سريعا من أعلى لأسفل..

كانوا وقوف على بعضهم بارتفاع أربعة أشخاص على كتف بعضهم..

مئات من السلالم ينزل معها ألوف الجنود.. يتوافدون من فتحات دائرية

كالنمل حين يهاجمها طفل أحمق فتهرب من بيتها في جنون..

كانت ملامحهم مزيج من الصينية مع أمريكا الجنوبية..

مسحة قاسية على كل الوجوه.. كإنهم مجرمين لا جنود..

مسحة من يطلق عليهم بالعامية (*ولاد الحرام*)

توقفوا على شكل طابور عرض مهيب ملأ القاعة والحوائط تماماً..

وفي لحظة واحدة عندما اصطفوا في ثبات عسكري صفق سان بيده صفقة واحدة ليصيحوا بصوت جهوري:

"تمام".

نظر باجا إلى المصور الفاغر فمه بشكل لا يصدق أمام العرض السريع المبهر.. باجا بفخر ويشير لهم:

"ما رأيك؟".

المصور مبهور ويلتقط صور بلا وعي وقد خمن من هؤلاء:

"غير معقول.. من هؤلاء؟".

باجا يضحك بصوت عالي ولا يرد..

المصور ينزل ويقترب منهم ويلتقط عدة صور مقربة للوجوه..

قسوة.. غلظة.. قوة.. صرامة..

ثم بحركة عفوية تحسس وجنة أحد الجنود خوفاً من أن يكون جلد صناعي مركب على حديد..

أن يكونوا شكل جديد من إشكال الروبوتات..

المصور يلتفت إلى باجا ويسأل بذهول ويبلع ريقه..

أيقن إنهم الأطهار.. الذين يحكي الناس في الخفاء

عن قوتهم وإنهم سلاح الصين السري القادم.. بلهفة يسأل باجا:

الأطهار :
- أولاد زنى .. امهاتهم كوبيات وآبائهم صينيين ..
- نتاج تجربة تدريب صينية ممتدة لعشرين عاما ..

"متى وأين تم إعدادهم؟"

باجا ويشير للمكان من حوله:

"أين.. هنا في بطن الجبل.. أما متى فهذا تاريخ طويل".

ثم أشار لسان بأن يتقدم لإلقاء كلمته..

انفصل سان عن منتصف الصف الأول..

سار ثلاث خطوات ودارعلى عقبيه وصاح بصوت عال:

"انتباه".

شد الجميع جسمه وضربوا الأرض بقوة ليرتج المكان بدوي مرعب..

صاح سان بملء فيه:

"كلمة الإمبراطور المعظم يلقيها القائد العظيم.. باجا".

يصيح الجميع رافعين أيديهم في الهواء:

"الإمبراطور.. الإمبراطور.. الإمبراطور".

ثم عادوا إلى وقفة التماثيل..

كان المصور يلتقط كل ذلك في حماس وهو يتخيل المكافاة التي سيحصل عليها من هذا التقرير..

كان يصور كل صغير وكبيرة..

لم يترك أية تفصيلة إلا والتقطها..

بدأ باجا الحديث بصوته العالي بلا ميكرفون..

يتردد صوته بصدى في المكان وكل الحضور يسمعه كأنه بجواره ودون تشويش:

"أيها الجنود الشجعان.. أيها الأطهار كنت أتمنى أن احضر معكم هذا الاحتفال الكبير.. أتمنى أن يكون بداية لطريق طويل تقطعونه من أجل وطنكم.. أمتكم التي لم تبخل عليكم لتنشئكم..

لقد أصبحتم فوق ما تصورنا وما توقعنا.. فلتكن ضرباتكم فوق تصور العدو..

لتكن غايته أن لا يراكم.. وإن رآكم فتكن أمنيته أن يموت قبل أن يذوق العذاب بأيديكم..

لقد تعبت أمهاتكم بحملكم من رجالنا وجئتم أنتم تحملون شراسة الأسود وشجاعة اللبؤات..".

نظرة خاطفة من باجا لهم عند هذه النقطة بالذات.. وجوه الجنود لا تعكس أية تعبيرات عند هذه النقطة الحساسة كأنها لا تعنيهم.. وكأنهم غير المقصودين:

يتابع معجبا من شخصيتهم الثابتة :

"نتمنى أخيرا أن تسعدوا أمتكم بأخبار النصر التي ينتظروه على أيديكم وفق الخطة الموضوعة لكم.. إن ثقتي كبيرة بالقائد باجا".

نظرة ثابتة من باجا لسان الذي ينظر له بترقب في انتظار ما سيقوله..

يتابع باجا بثبات ويعيد الجملة الأخيرة:

"إن ثقتي كبيرة بالقائد باجا.. لذلك أعينه منذ نهاية قراءته لهذه الكلمات.. قائداً عاماً عليكم.. وسيكون عونكم في تنفيذ ما سيوكل إليكم من مهام".

ليطوي باجا الورقة مع هتاف الجنود بصوت رجل واحد:

"باجا.. باجا.. باجا".

عضلات وجه سان تلعب للحظة.. كان يتمنى أن يوكل إليه قيادتهم..

فهو الموجود بالجبل طوال الوقت معهم.. أما باجا فيعيش في الهواء المكيف ساخن وبارد

والسيارات الفارهة والحفلات طوال الوقت..

لم يشأ أن يظهر شيء.. فتوجه إليه وقد نزل باجا من عليائه..

حياه ضارباً الأرض بقدمه بقوة..

يحيه باجا متفحصاً وجهه الصلد.. عبثاً حاول قراءة ما يجول بصدره..

نظر باجا إلى المصور ثم التفت إلى الجنود وأدى لهم التحية العسكرية بقوة..

حيا الجنود قائدهم الجديد بمنتهى القوة وهم يرددون:

"باجا.. باجا.. باجا".

أشار لهم باجا بالصمت ثم أشار إلى سان بأن ينضم إلى الصفوف..

نظر له بقوة ثم امتثل إلى الأمر في لحظة.

باجا يلقي لهم بخطابه الشخصي المرتجل:

"ليس المهم من يقود.. ولكن أتدرون ما المهم.."..

نظروا له في ترقب ليتابع بصوت عال رافعها قبضته بقوة:

"المهم أن الصين تسود".

حيوه بملء حناجرهم وهو يعيدها بقوة:

"المهم أن الصين تسود".

صاحوا وصاح معهم المصور في حماس و يرفع يديه في الهواء..

تحرك باجا وسط الصفوف ويحدثهم كلام حرب:

"معكم في كل ميدان.. نرفع شأن بني الأصفر.. أليس هذا اسمنا عند الترك؟ ألا يستهزئ بنا الأوربيون ويقولون ليل نهار إننا تؤام من بطون شتى".

وجوههم تعكس صلابة الشرق مع خشونة أمريكا اللاتينية ليتابع:

"فلنريهم إذن ماذا أخرجت لهم هذه البطون".

ثم سكت للحظة ليزدرد لعابه ويكمل المفاجأة التي لا يعرفوها:

"لقد ذبحناهم الليلة وانتقمنا لعمليتهم الدنيئة".

صاحوا جميعا عندما عرفوا هذا الخبر منه ليعيدها بحماس:

"انتقمنا"..

صاحوا ثانية في جنون..

كان يدور وهو يتحدث ليعود إلى نقطة البداية.. ليقول:

"وسيخلد اسمكم مع العظماء.. ويغدو نشيدكم أجمل الأغاني".

ثم صاح بقوة وحماس:

"فهل أنتم مستعدون لتغيير المستقبل؟".

صاحوا بقوة بصوت واحد:

"مستعدون"

كررها بحماس أكثر:

"هل أنتم مستعدون؟"

كرروها بحماس أشد:

"مستعدون".

وبدئوا في إلقاء نشيدهم الخاص بصوت جهوري وبشكل جماعي منظم:

~~ نحن للأعالي ذاهبون ~~

~~ فوق العلى وللمجد قادمون ~~

~~ بقوة النصر الأكيد ~~

~~ وفجر اليوم السعيد ~~

~~ قادمون ~~

~~ نحن الأطهار~~

~~ بالموت لكم قادمون ~~

باجا ينظر لسان نظرة قوية..

وسان يبادله نظرة تحدي..

ومصور الإمبراطور ينظر إليهما..

ويتابع ذلك بعدسته..

* * *

(نهاية القسم الأول)



في القسم الثاني.. تحركات..

الغيمة..

" "

الغيمة هي ما يطلقه المصريين على سحابة كيمائية

تظهر فجأة وبلا سبب واضح وتسبب أمطار قاتلة..

إذا لامست الحديد تساقط..

وإذا نزلت على الشجر تهاوى..

فما بالك بجلد الإنسان..

تستمر لدقائق..

تخلف ورائها..

الكثير من الدمار..

ولا يدرى لها سبب أو مسبب..

" "



القسم الثاني

تحـــركـــات

توفيق يقرأ الورقة الصغيرة الملصقة على الورقة التي كان عليها اسمه منذ أيام.. يقرأ بصوت عال للمرة الثالثة غير مصدق وبشكل استفهامي:

"لأجل غير مسمى تعتذر الإدارة عن استقبال المجموعة 65؟".

كان هذا معناه شيء واحد فقط..

ضياع الوظيفة للأبد.

لم يعمل سوى أيام ولم يقبض أي شيء.. ولم يتناول حتى أي وجبة..

ولا يمكن مطالبة الإدارة بأية تفاسير أو توضيحات عما حدث ولماذا حدث..

"معلش مفيش نصيب".

التفت توفيق للصوت الهادئ فإذا محمود وراءه ويبدو إنه قد قرأ الورقة.. لوح له بقناع الغاز دون كلام شاعراً بالاختناق..

الجميع يتحرك ممسكين بالأقنعة في الشارع بعد ورود تحذيرات متكررة عن هجوم محتمل هذا الصباح..

محمود لامحاً دموعاً متكورة بعيني توفيق:

"سمعت الانفجارات.. الدخنة كانت كبيرة".

توفيق يداري عبرته:

"آه.. ونزلت الحفرة ساعات".

ولم يكمل كلامه حيث الشارع المزدحم برجال الحماية الصينية والتركية والعيون تراقب كل أحد وكل كلمة..

الدوريات مشتركة بينهما وإن كانت تبدو في أتم استعدادا للمواجهة في أية لحظة ولأتفه الأسباب.. لو حك صيني انفه فسيقتله تركي وتصبح حرباً ضروس.. وربما يسموها **(معركة الأنف المحكوكة)**..

وتبرم بعدها اتفاقية تصالح وتنص على عدم حك أي جندي انفه أثناء الخدمة..

محمود ينظر لهم و يهمس:

"المغاربة هما اللي عملوها؟".

توفيق يرد عليه وقد اقتربا من أنقاض دار القضاء العالي:

"معرفش لسه محدش ثال ممكن يكون الأتراك أو القاعدة أو حتى الأوربيين".

ثم تذكر وآخذ يهذي مع نفسه:

"الواد راح بلاش.. حتى الشغلانة طارت.. ومراتي عيانة حاتروح"

محمود لا يدري كيف يواسيه فيغير الموضوع كلية:

"كل مجموعة عايزة تكرش التانيين من وسط البلد.. مشان تحكم لوحدها بيئولوا أن باجا نجي.. كان عنده اجتماع في برج العرب".

توفيق يتساءل وهو شارد:

"هي مش برج العرب تبع الأوربيين؟".

محمود يرد لامحاً الناس وهي تتحرك بسرعة ولا يدري لماذا:

"لأ.. الشط مئسوم نصين من بحري لجليم أتراك ومن استانلي لغاية المنتزه للاوربيين وجوة اسكندرية لحالئين وبرج العرب للصينيين".

قاطعهم انطلاق صوت صفارات الإنذار التي تدوي بشكل مخيف..

مع صياح أحد الرجال من فوق أحد الأسطح القريبة فجأة:

"غيمة.. غيمة.. الغيمة جاية.. كله يستخبى".

* * *

<u>*مكتب شوكت بوسط البلد*</u>

"حضرت العظيم شوكت"

أجاب شوكت على سكرتيره عبر الدكتافون الداخلي لمكتبه:

"نعم".

"لقد وصل".

"ادخلوه فوراً".

كان المقصود هو مجدي الذي احضره معه شوكت وقد طلب منهم أن ينظفوه ويطعموه ويلبسوه و يحضروه بعد عدة أيام..

دخل عليه بشكل آخرغير الذي كان عليه تماماً.. إنسان متحضر..

بدلة أنيقة.. حذاء نظيف..

رائحة طيبة.. وجه مريح.. وقد فرد شعره وأرجله بعناية..

شوكت يشير له بالجلوس ويناوله سيجار وبابتسامة الأسد يحيه:

"يا سلام.. يا سلام.. إيه الجمال ده؟".

مجدي يربت على جاكت البدلة ويخشى أن ينبعج ويجلس على حافة المقعد حتى لا يتأذى البنطال:

"الله يخليك يا باشا.. من خيرك بركتك".

داعبت الكلمة مشاعر شوكت وأحاسيسه..

شوكت ويمعن النظر في وجهه ويتذكر سرقته لمسدسه دون أن يشعر:

"أنت ايدك خفيفة.. أنا ما شعرت وأنت تسحب سلاح".

مجدي ويشعل بولاعة وجدها أمامه على المكتب ويلعب بها بحركات معقدة للغاية بأصابعه وعينا شوكت تتابعه:

"الله يخليك.. دي حاجات بسيطة".

شوكت متظاهراً بأنه قد نسي اسمه في الخضم ويتحاشى النظر ليده:

"تشتغل معايا يا..".

مجدي يتلهف للرد ويقترب من السقوط من على المقعد ويترك الولاعة ويذكره باسمه:

"عبدك.. مجدي.. مجدي يا كبير".

شوكت ناظراً في عينيه مباشرة ويسأله بشكل مباغت:

"أنت تحب الصينيين يا مجدي؟".

علم مجدي أن شوكت زعيم الأتراك فقال على الفور دون تردد:

"يحرئ دين أبوهم يا باشا.. دول كفرة ولا كلب".

شوكت بابتسامة من سرعة رده ونفاقه الواضح:

"يعني لو في مضرة ليهم.. تشارك فيها؟".

كان مجدي لا يريد التورط في مشاكل قاتلة..

أن يصبح كبش فدا فيذبح.. أو عروسة النيل فيغرق..

قرأ شوكت ذلك في عينيه لذا قال له مطمئناً:

"ما تخافيشي أنا عجبتني شجاعتك.. أنت يكون لك شأن عظيم"

مجدي ويربت على صدره ثانية وينحني للغاية ويقول له المثل المنتشر:

"تحت أمر سعادتك.. أزيد خيرك وأشيل شرك".

شوكت يبتسم له ابتسامة ماكرة ويرد:

"ما أنا عارف إنك تحت امري دي مش محتاجة كلام".

ثم ألقى له برزمة مالية محترمة لم يرها من قبل وقال:

"هذه مكأفاة بداية الخدمة خذها واصرفها كما تشاء.. أنا ارتب بعض الأمور الخاصة بعملنا سويا.. أراك هنا بعد يومين في نفس الميعاد".

مجدي ينظر له وابتسامة قلق وتوتر ترتسم على وجهه..

أخذ مجدي الرزمة ووضعها في جيب البدلة وسأله ويقوم و ينصرف:

"بس أنا ممكن آخد الفلوس وما تشفنيش تاني"

شوكت ممسكاً الولاعة التي أشعل بها السيجارة وقال وهو يشعلها ليتصاعد منها شعلة لهب عالية للغاية:

"حاجيبك هنا.. واذبحك بأيدي".

مجدي يبتسم بقلق وقد علم إنه تورط وأنه يتعامل مع عقلية قاسية فقال:

"أنا بمزح طبعاً".

شوكت ينظر من الشباك.. القاهرة تبدو من فوق مختلطة الألوان والامزجة..

قال له بيقين مسدداً النظر في عينيه مباشرة:

"وأنا ما بمزح".

علم مجدي أن المقابلة قد انتهت عند هذا الحد..

قام وتوجه للباب لينصرف والسؤال الحائر يدور بعقله :

"ماذا يريد هذا التركي بالضبط.. ماذا يريد؟".

* * *

، ،

الغيمة..

، ،

الغيمة هي ما يطلقه المصريين على سحابة كيمائية

تظهر فجأة وبلا سبب واضح وتسبب أمطار قاتلة..

إذا لامست الحديد تساقط..

وإذا نزلت على الشجر تهاوى..

فما بالك بجلد الإنسان..

تستمر لدقائق..

تخلف ورائها..

الكثير من الدمار..

ولا يدرى لها سبب أو مسبب..

، ،

بدا الذعرعلى وجه محمود وتوفيق وهما يتخبطان في بعضهما..

لا يدريان إلى أين يتجهان ويضعان الأقنعة على وجهيهما..

توفيق بعين مليئة بالذعر وتائه من الصدمة :

"يا ساتر.. يا ساتر.. دي بئالها كتير ماجتش".

محمود ويمسكه من يده:

"يلا على المترو".

جريا سريعا إلى فتحة المترو أمام أنقاض دار القضاء العالي..

السلالم شبه مهدمة وإن كان الصينيون أعادوا وضع سلم حديدي ذو درجات عالية جداً..

هما بالهبوط لتواجههما مدافع صينية مع صوت صيني من وراء قناع حديث مزود بتهوية ذاتية تعمل بالشحن الكهربي:

"تصريح مخبأ.. مترو".

صاح محمود ويشير للسماء موضحاً:

"غيمة.. غيمة.. دمار".

واخرج كارنيه أنيق وصاح ويدفعه:

"أنا كافح.. دخلني".

الرجل لا يتفاهم ويرفع المدفع في وجهه بصرامة قاتلة:

"امشي حالا.. وإلا اقتل.. تصريح مخبأ أو صيني فقط".

يفتح الباب لثلاث من أفراد الحماية الصينية برزوا فجأة ليدخلوا وأغلق الباب..

توفيق يجذب محمود من ذراعه وصياح الناس يعلو لاقتراب الغيمة وبدء صوت الرعد مع اقتراب نزول المطر القاتل..

التحذير يتكرر من جديد ويبدو أن صاحبه يهرب ليختبئ هو الآخر:

"غيمة.. غيمة.. كله يستخبى..".

توفيق يشعر إنه بحلم ويتمنى أن يستيقظ منه ليجد نفسه في الحفرة:

"على وين؟".

محمود ويجري به سريعاً باتجاه محدد:

"ممر الكونتنتال".

هربا سريعاً جرياً محتمين بصف العمارات المتلاصق بين دارالقضاء والممر الشهير الضيق..

~~ *التجار الأتراك الكبار اشتروا محلات وعمارات الممر الصغير بالكامل وبات مزدحماً برجال الأعمال الأتراك ومن مختلف الجنسيات.. اسمه تغير ليصبح ممر أوغلو..*

أصبح الشارع شبه خال إلا منهما..

بدأت أولى زخات المطر في لس الأرض بجوار إقدامهم الراكضة.. يسعيان لبلوغ الممر قبل أن تلمسهم المياه..

قطرات هبطت على كتف توفيق لتخترق معطفه والقميص والفانلتين الداخليتين لتحرق جلده وتخترق العظم ليصيح بألم..

قطرة أخرى على فخذ محمود ليصيح هو الآخر وهو يسب..

يقتربا من أول عمارة على اليمين.. بها ملجأ مجاني أقامه الأتراك ملاك الممر

وصلا أخيرا ليدلفا مع هزيم الرعد واشتداد الأمر..

بدأت الأمطار في الهبوط مع دخولهم الممر.. توفيق ممسكاً بكتفه:

"مش ئادر كتفي اتكندر تئاطيع".

محمود متحسسا فخذه بألم:

"رجلي.. نااااار".

طرقا الباب الحديدي المبطن بالرصاص ليفتح لهم عجوز تركي تخطى الستين لا يبدو عليه

الذعر وبه ما يفوقهما من قوة وبأس..

نظر إليهما للحظة ولمح إصابة فخذ محمود ليقول لهما:

"تعالي.. يوجد دهان ريحان".

المكان شبه ممتلئ.. معظمهم من المتقدمين للوظائف يحملون أوراقهم بأيديهم.. متحلقين حول شاشة مراقبة داخل المبنى تظهر لهم الشارع من فوق المبنى أحضر العجوز التركي أنبوب دهان للحروق وناوله لمحمود.. قرأ محمود الاسم وتمتم بيأس:

"لزام برضه.. هو مفيش غير الدوا ده.. ده بيحرئ مابيعالجش"

توفيق يشاهد الشاشة من فوق كتف رجل طويل.. الأمطار بدأت في الهطول.. أصوات ارتجاجات عنيفة مع اهتزاز الصورة والرجل الطويل يقول:

"لوحة اعلانات أوروبي إيليت بتوئع".

بالفعل مع نهاية الجملة هوت لوحة إعلانات ضخمة مكتوب عليها (**إيليت.. فخامة واعتزاز**) لتطحتم بضجيج..

بعض مصابيح السيارات القليلة الواقفة تنفجر لسقوط المطر عليها..

الصهيل يتصاعد من إسطبل الأحصنة التركي من إسطبل عمر أفندي..

محمود يدهن قدمه ويساعده توفيق في ربط كتفه الدامية بمنديل.. يعودان إلى متابعة الشاشة.. تهتز بها الصورة فجأة لتختفي.. العجوز التركي يأخذ منهما الدهان ليضعه في كيس قماش ويتمتم لهما:

"خروج بعد صفارت آمان".

وينظر إلى قدم محمود المربوطة ويشحث كالمصريين:

"كل سنت وأنت طيب.. حمد الله بالسلامت".

* * *

تزامن

محمـود يحـضن هـدى الـتي
ترتمي في حضنه وتهمس:
"ثلثـتني عليــك.. بيقولــوا
الغيمة بوظت اللاسلكي".
محمود ويحضنها بقوة:
"الحمد لله.. أنا كنت خـايف
عليـك بـس لـما سمعـت أن الـريح
كانت جنوب اطمنت".
"استخبيت وين".
"رحت الملجىء اللي في ممـر
أوغلو".
"والشغل اخباره ايه؟".
"لغوا الوظيفة".
"يـلا معلـش.. خيرهـا ف
غيرها"
"اتعرفـت علـى إنـسان زيـن
اسمه توفيق.. اتفقنا نتقابل سوا

سلوى ترتمي في احضان توفيق:
"ثلثت عليك.. كدا متكلمنيش"
ربت على ظهرها وينظر في وجهها ليطمئن على
صحتها:
"اللاسلكي كان متعطل.. عملت إيه في الغيمة؟".
"اخت كريم وجرينا على الملجئ بسرعة.. نـاس
كتيرة ماعرفتش تخش.. راحوا على الحفرة لقوها
مليانة.. المطرة نزلت عليهم".
تجاوز إنها تتخيل أن كريم ما زال موجود..
"وبعدين ايه اللي حصل؟".
"بيقولوا تسعة ماتوا وعشرين اتعوروا".
"يا ساتر يا رب".
"أنا سمعت أن عم صلاح مات كان راجع بالعجلة
مليانة بضاعة ومعرفش يروح وين".
الكهرباء قطعت لتضيء سلوى شمعة يتيمة بآلية
ليكملا حديثهما على الضوء الخافت المتذبذب..
"الله يرحمه.. كان نتن مابيرداش يشكك ولا حتى

وندور على شغل.."

"ديـر بالـك.. أحـسن يكـون عصفورة.. ساكن وين؟".

"ســاكن في ملجــأ الــشمس متخــافيش ده ظروفــه صــعبة ئوي.. قسمات نايمة؟".

"من زمان ئرينا الألبـوم كـذا مــرة وذاكرنــا شــوية وبعــدين نامت.. احضر لك العشا".

"مــش عــايز اكــل.. عنــدنا شاي".

"آه في.. أنا اشتريت ورئـة.. حاعملـك كبايـة ومعاهـا نـصف فطيرة".

"يكون.. بس بـسرعة مـشان عايز انام.. أنت محوشة مية".

شمعة"

"والناس هجمت على المحل أول ما المطرة وئفـت وئلبت المحل كله.. حتى الرفوف خلعتهـا.. وصاحب المحل أجره بعديها بساعتين".

"يلا.. كل واحد بياخد نصيبه اعملي لـي شـاي.. حوشت مية"

~~"المية ماجتش النهاردة خالص"~~

~~"يا ولاد المستخبي"~~

وعندما عادتا بالشاي كان الاثنان قد غرقا تماماً.. في سابع نومة...

* * *

فيلا الشروق

أوغل يتقدم الخطى سريعاً داخل الفيلا خالعاً النظارة الشمسية وهـو ينظـر حولـه في ذهـول غير مصدق لما يرى..

كان رجال القاعدة الثلاثة مذبوحين وممثل بهم في أبشع منظر..

فالأمعاء خارجة من جسد الأول وتملأ الأريكة ومدلاة على الأرض..

وآخر رأسه مفصولة عن جسده وملقاة على جانب..

والثالث مذبوح ومطعون في جذعه طعنات عديدة.. ووجهه مرعب..

أوغل لمساعده:

"ثاني عملية ذبح خلال أسبوعين".

لا يوجد أي آثر لراوي..

أوغل يتمتم وهو يتطلع في الرأس المفصولة:

"ولكن أين راوي.. ألم نتركه معهم؟"

المساعد الآخر لا يرد ويتفحص الجثث بحثاً عن أي دليل عن القتلة..

اخرج جسماً صغيراً.. رفعه أمام وجهه في الهواء وهو يقول لأوغل:

"انظر ماذا هنا".

اقترب منه أوغل ويأخذ منه الجسم الصغير ويرفعه أمام عينيه..

غلاف واقي ذكري من النوع الذي يوزع على رجال الحماية الصينية..

تمتم أوغل وهو يفكر في إبعاد ذلك واحتمالاته:

"ممم.. فتيات كوبا".

* * *

وسط البلد.. سينما كوبا (أوديون سابقاً)

مجدي يفغر فاه أمام شاشة السينما لرؤيته المشهد الساخن المعروض عليها.. قطم شطيرة لحم البقري التي في يديه في تلذذ..

أول مرة يشتري مثل هذه الوجبة منذ سنوات عديدة.. وأول مرة يدخل فيها سينما (كوبا) (أوديون سابقاً)..

باتت مملوكة للصينيين ويعرضون فيها أفلام العري فقط..

المثلين رجال صينيين والمثلات من كوبا.. أمريكا.. انجلترا..

وفي هذا معنى واضح.. وإشارة صريحة عن الفاعل والمفعول به..

شرب بعض من العصير وبحركة عفوية اسقط الزجاجة على قدم الضابط الصيني الجالس بجواره.. لا مانع من بعض اللهو..

انتفض الرجل وقام وهو يسبه بالصينية والعربية والانجليزية..

ربت مجدي على كتفه واخذ يمسح بكفه عليه..

الجالسون يسبون بالصينية والعربية والانجليزية ويطالبوهم بالجلوس..

جلسا.. فهما لا يريدان إفساد الفيلم على أنفسهما.. ارتاح مجدي في جلسته ، والضابط ينظر للشاشة بجواره فاغر فاه تماماً..

بينما مجدي يعبث بمحتويات محفظته..

تذكر فجأة ما يجول برأسه ويشغل تفكيره ليتمتم:

"ماذا يريد هذا التركي بالضبط.. ماذا يريد؟".

* * *

محل الشيخ صالح

يشرب راوي قليل من الماء من القلة التي ناولها له أبوه ويواصل الحكي له بصوت هامس وهما متجاوران في المحل الخالي من الزبائن:

"بعدين لما شكيت في البنات ولاحظت إنهم مش على بعضهم وبيبصوا لبعض وبيبصوا في الساعة كتير.. عملت اني حاخد العربية واروح اجيب كام واقي".

ويشرب مزيد من الماء ليزول عنه التوترقليلاً:

- **"مونايا ئالت لي ما احنا معانا كفاية.. ئلت لها الئاعدة حاتطول.. دول ثلاث أيام.. وعملت اني بعدت بالعربية لحد ما لئيت فرقة الاعدام بتاعة الصينيين جاية قمت هربت على طول".**

الشيخ صالح يعبث بلحيته:

"صينيين.. يبئى مونايا والبنات هي اللي كانت بتوصلهم الأخبار".

ثم ضرب على سطح المكتب براحته:

"أنا ئلت لأوغل كدا اكتر من مرة.. دول موامس.. وولائهم للصينيين ولا يمكن أنو يتغيير ابدا".

ثم حدث ابنه بما يجول في رأسه منذ سنوات:

"و تئدر تئولي وين ولاد الـ. الموامس دول.. في منهم عمره عدا العشرين أنت عارف دول ممكن يكون عددهم كام؟".

ثم تابع مربتاً على كتفه وأخذ منه القلة:

"ئوم استريح ساعات.. بعدين نشوف حانعمل إيه؟".

راوي شاعراً أنه أفضل حالاً بعد أن رأى أباه واستمد منه القوة وحكى له..

لذا تنهد وهو يقوم ببطء:

"طب وأوغل حانئوله إيه؟".

الشيخ صالح بحكمة السنين:

"سبلي أنا الموضوع ده.. روح أنت دلوئتي استريح".

قام راوي وانصرف..

تاركاً الشيخ يفكر بعمق.. وتدبير..

* * *

<u>*كوخ محمود*</u>

محمود يستمع للأغنية التي انتشرت في الساعات القليلة الماضية.. بلا موسيقى وتعتمد على التصفيق..

♫

غيمة مفاجئة   ئلئ وخوف   حاسب ونط

و شيخ جبان   يضرب ما يبان   عيشته ف ظل

وجروف كمال   دي جنتو نار   ونارو دي جنة

يا رب كمان   ولعها نار   يمكن نحس

يمكن نحس   ولعها نار   يمكن نحس

* * *

منطقة جاردن سيتي الهادئة

صباحاً.. قرب الثامنة..

كانت تتبع الحماية الأوروبية ويسكنها علية القوم من التجار ورجال الأعمال الأجانب الذين يعمل معظمهم على نقل البضاعة الفاخرة إلى القوات الأوروبية ليس في مصر فقط ولكن في الشام

وأفريقيا..

لقد عاد أحفاد اليونانيين والأرمن الذين هجروا مصر في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين..

استوطن بعضهم في الإسكندرية كأجدادهم حيث رأى إنها اهدأ..

وبعضهم في القاهرة حيث رأى إنها أفضل من الناحية التجارية..

وتركز معظمهم في جاردن سيتي والزمالك والمعادي..

في جاردن سيتي مبنى من 3 ادوار بالقرب من أطلال السفارة الأمريكية السابقة.. مدرسة للمرحلة الابتدائية لأبناء الجالية الأوروبية فقط حيث يحظر تماماً على أبناء المصريين دخولها..

الحافلة وصلت وتوقفت أمام باب المبنى تماماً..

هبط منها حارسا أمن أوربيان ليؤمنا خروج الطلبة أولا..

الحارس عبر لاسلكي صغير المدى في ساعة يده:

"كل شيء تمام".

كانت الأوامر أن يراقبوا كل شيء فهناك تخوف من عمليات تفجيرية محتملة تستهدف المنشات الأوروبية..

رد الحارس من فوق السطوح بشكل روتيني:

"تمام.. فليبدأ دخولهم".

بدأ الأطفال في النزول وهم يغنون ويضحكون..

فاليوم هو اليوم المفتوح وقد وعدوا بأنهم سيرون الساحر وعروض أفلام كارتون.. الحارس عند باب الحافلة يبتسم لهم ويلوح في سعادة..

الحارس الآخر الرابط فوق السطوح يغادر موقعه ويتجه لباب السطوح لينزل لرغبته في شرب كوب من القهوة المثلجة بالعسل..

وهو يحب مشاهدة أفلام الكارتون.. سيشاهد معهم ولكن من بعيد..

~~

من سطح بعيد تراقب الحارس عدسات نظارة معظمة تهمس بالفارسية:

"الآن.. توكل على ربك"

~~

يد بقفاز تحرك ناقل سرعة على السرعة الأولى ~~

سيارة نصف نقل مليئة بالخضار تتحرك باتجاه المدرسة ~~

يقترب السائق الملثم من المبنى وهو يتمتم بكلمات وعيد فارسية ~~

البوابة مليئة بالأطفال مع وصول سيارة المدرسين ~~

يزيد من سرعته ليقتحم المبنى بقوة لترتطم سيارته بحافلة الطلبة ~~

يثبت السائق سلكا بيده على شكل معقد بجوار عصا الحركة ~~

تكتمل الدائرة الكهربائية الضخمة ويحدث شرار بصوت عنيف ~~

بوووووووووووووم

انفجار رهيب.. 2000 كيلو من مادة XPL-33 الرهيبة..

* * *

شارع عبد الخالق ثروت.. وسط البلد

في نفس الوقت..

توفيق ومحمود يسيران سويا حاملين أوراقهما وبهمس يسخران من أحد اللوحات الضخمة

الخاصة بنظام كافح..

يدوي انفجارالمدرسة لتهتز الأرض بقوة تحت أقدامهما..

يقعان على الأرض التي تهتز بشكل مخيف ويحمون رؤوسهما..

النوافذ الزجاجية تنفجر فوقهما بعدة طوابق وتبدأ في السقوط..

توفيق ويقي عينيه الزجاج المتناثر:

"جامدة ئوي دي".

محمود ويجري سريعا وشظية طائرة تحتك برقبته لتجرهها:

"شكلها في الناحية الأوروبي".

أوراقهما تتبعثر يمنة ويسرة..

يحمل طالبي الوظائف شهادات الخبرة معهم ويجوبون بها الشوارع . وهي كثيرة لأن لا أحد يدوم في عمل واحد أكثر من بضع اسابيع .

توفيق ويلملم الورق:

"تفتكر ايه اللي..".

ولم يكمل كلامه إذ صم إذانه دوي انفجار آخر لا يقل عن الأخر قوة

ارتجت الأرض ثانية..

ركضا سريعا بلا هدى والناس تركض مذعورة يمنة ويسرة..

رجل عن يمينهما يركض بسرعة.. توفيق يسأله دون أن ينظر له:

"متعرفش إيه اللي ضرب؟".

الرجل مصاب بحالة عصبية ويضع يديه على أذنيه:

"علمي علمك يا بني".

دوت صفارة الخطر لتصم آذانهم..))))))

هرعا باتجاه إشارة حمراء موضوعة على عامود تضاء بشكل متقطع تشير لوجود ملجأ قريب..

جروا بسرعة حيث تشير.. دخل الثلاثة مبنى مجاور لسينما (كوبا)..

الحراسة صينية مشددة على السينما كأنها ثكنة عسكرية..

و باب الملجأ مفتوح والمكان مزدحم وشبه ممتلئ..

الحارسان على الباب صينيان و هناك عامل مصري يعد الشاي الصيني للحضور.. وهو إجباري..

وإلا فهذا علامة على أنك تكره الصينيين.. ويوضع اسمك في القائمة..

أغلق الحارس الباب في وجه من يريد الدخول بغلظة وبدون كلام دون أن ينظر في وجه الرجل وامرأته الحامل والعامل المصري يقول لهما:

"خلاص.. شوفوا غيره".

و الحارس يدفع المرأة في بطنها المنفوخة جداً بفوهة المدفع بغلظة..

توفيق يسأل العامل وهو يجذبه من كتفه:

"هو في إيه؟ إيه اللي فرئع ده؟".

يرد صوت جالس بجانبه:

"شكلها المدرسة الأوروبي اللي في جاردن سيتي".

نظر توفيق ومحمود إلى المتحدث فإذا به مجدي الذي كان يتسكع وسمع الصفارة فهرب سريعاً إلى الملجأ..

توفيق بجزم وتأكيد:

"يبقى اكيد الصينيين هما اللي عملوها".

محمود يعترض ويدلي برأيه:

"طب وليه ما يكونش الأتراك؟".

مذياع يحمله رجل قرب أذنه يذيع بيان صادر من إذاعة داخلية بالحي:

".. وقد استهدف الانفجار الثاني والذي وقع بالتزامن مع الانفجار الأول مقهى يرتاده رجال الحماية التركية وقد أدى لتدمير المبنى بالكامل ويقدر عدد الضحايا الأولي بثمانين قتيلاً.. ومن المرجح اعلان حظر التجول بمنطقة وسط البلد للاشتباه في وجود سيارات آخرى ربما تكون معدة للانفجار"..

مجدي بتعجب وهو يفكر من الفاعل:

"كده مش ممكن يكون أتراك".

~~ ت رادا... بووووووم ~~

صوت انفجار آخر صم آذانهم..

"يبدو إن المكان قريب".

هكذا صاح الحارس الصيني.. رفع لاسلكي صغيرعلى فمه.. برطم بالصينية بكلمات عصبية..

أخذ يعاود الحديث مع رفقاء له ليطمئن عليهم في الأماكن المجاورة..

ثم كرر النداء مع واحد بعينه دون أن يرد عليه..

فتح الباب ونظر للعامل المصري وقال بتوتر ووجه ممتقع:

"حارس المعبد لا يرد".

وأغلق الباب خلفه واحكم الغلق منَ الخارج..

العامل المصري ويكرهه لأنه غليظ القلب لا يرحم:

"إن شا الله ما عن أمه ما رد".

سلوى تنادي على توفيق عبر اللاسلكي..

فتح توفيق ورد عليها:

"اطمني.. اطمني.. أنا زين.. مئالوش إيه اللي بيحصل بالضبط".

سلوى بقلق وهي تحاول الاستماع إلى الراديو وهي تحدثه:

"بيئولوا المدرسة الانجليزي.. والئهوة التركي.. ومن شوية سمعت صوت تالت".

توفيق يخمن وعينه على الرجل الذي يهتز وضامم ركبتيه إلى صدره:

"شكله المعبد الصيني اللي ف آخر شارع شريف".

سلوى تسأله بقلق:

"أنت مزيون".

توفيق يحذرها ويرفع صوته لأن الصوت يتقطع:

"الحمد لله.. اطمني.. ما تنزليش ودير بالك من نفسك".

سلوى ولا تسمعه بوضوح:

"احتمال انزل مشان لازم اودي الشغل الجديد النهاردة".

توفيق ينبهها ويحذرها:

"شغل إيه الدنيا ممكن يكون فيها حظر تجول.. وبعدين أكيد حايبئى عندهم عزا.. والزمالك حتبقى ملبشة".

سلوى تتذكر أن الحادث أصاب زبائنها تنتبه ويتجه تفكيرها للعمل فقط:

"صح.. يبقى اكيد حايطلبوا هدوم سودا.. حانزل اشتري ثماش أسود من الازهر ثبل ما يتسحب.. أكيد ناس كتير حاتروح تعزي وتجامل".

توفيق يعلم إنها ستنزل حتى في وجود حظر التجول.. لذا انهى الحوار ليوفر البطارية:

"طب ما تنزليش قبل ما صفارة الأمان تصفر".

وأنهى الاتصال مع وصول الحارس ودخوله ممتقع الوجه يبدو إنه كان يجري طوال المسافة القادم منها..

يبدو أن مديره كدره لأنه ترك موقعه ولم يغفر له قوله له إنه قد احكم إغلاق الملجأ على الناس بالداخل..

كان يكرر و يكرر وعينه زائغة مما رأى:

"مجزرة.. مجزرة".

صبي الشاي يتساءل بخبث:

"مجزرة إيه.. إيه اللي فرئع يا خواجة".

الحارس بشرود وعينه ثابتة:

"المعبد.. إنهار بالكامل.. عمل بشع".

صبي الشاي يستهزئ ويصب للناس في أكواب بلاستيكية:

"هو كان فيه حد.. هو انتو بتصلوا من اساسه".

الحارس بنظرة رعب ويتذكر المشاهد التي رآها منذ دقائق:

"كان هناك فرح زميل لنا.. كلهم ماتوا.. العروسة ممزقة بشكل مرعب.. والمعازيم

اشلاء".

اللاسلكي يصفر في يد الحارس.. يرفعه على أذنه ويستمع إلى الأوامر.

يبدو أن المتحدث شخصية هامة إذ وقف الحارس انتباه وأدى التحية العسكرية في ثبات بشكل كوميدي.. إنه **هاكان** بنفسه يلقي عليه الأوامر..

الحارس يكرر بلا ملل:

"تمام يا فندم.. تمام يا فندم".

أنهى الاتصال والتف إليهم قائلا بشكل قاطع:

"حظر التجول سيستمر 6 ساعات منذ الآن.. وتم قطع اللاسلكي".

مجدي بحنق وهو مخنوق من الحبسة التي ستطول في هذا الزحام:

"ليه".

الحارس بغلظة وقد نسى أحزانه من حديث هاكان الآمر الناهي:

"احتياطات أمنية".

* * *

قلب جبال حلوان

استراحة باجا الخاصة بالضيوف..

المصور المرافق لباجا يبعث بتقريره المصور وهو في غرفته بالاستراحة والتي انتقلت له بعد ترقيته قائد.. كان يجلس في الظلام ويرسل الصور وبعض الكلمات السريعة عبر جهاز صغير..

"الجيش الجديد مكون من ابناء الزنا الذين حملت بهم البغايا الكويبيات من الرجال الصينيين منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما بعد إصدار قانون الرحمة 2025 وانتشار العلاقات غير الشرعية بين الصينين والكويبيات..

هم الطليعة فقط.. 6 فرق.. حوالي 13000 مقاتل..

ستوكل إليهم مهام محددة.. لم اعرفها بعد.. لكنها حساسة جداً ومؤثرة.. وسيعتمد عليهم لمحاولة تغيير الثوابت الحالية الموجودة على الأرض..

تمت تسميتهم بالأطهار كما كان متوقع.. وقد تخرجت الدفعة الأولى واعطوا رتبة عاملة في الجيش الصيني".

سمع صوت أقدام عابرة خارج الغرفة..

أجفل ودق قلبه بشدة وضغط زر الإرسال بسرعة وقام بمحو أية آثار للرسالة من الجهاز..

تظاهر بالنوم حتى تأكد من انتهاء صوت الأقدام..

تنفس بعمق وهو يتخيل المكأفاة الضخمة التي سيحصل عليها من جراء هذا التقرير..

ستكفيه للهرب بعيدا لكي يعيش بسلام.. وآمـــان..

* * *

قمة استثنائية

فندق كورآراد على نيل القاهرة

قرب الليل..

كان التأمين على أعلى مستوى تشارك فيه مروحية أوروبية تحلق في السماء.. ومجنزرات صينية على الأرض.. وجنود أتراك منتشرون حول المنطقة..

الله أكبر.. الله أكبر..

آذان المغرب يدوي من مسجد قريب..

وصول سيارة عليها علم الاتحاد الأوروبي أمام باب الفندق تماما..

يهبط منها السير وليام شخصيا بمفرده وليس معه جون.. لا يحضر معه هـذه الاجتماعـات الهامة حيث ما زال وليام يعتبره طفلاً صغيراً..

وليام يرتدي بدلة سوداء ورباط عنق أسود.. حداد فعلي..

صفف شعره الأبيض المصبوغ أصفر بيديه.. الهواء يحركه بعشوائية

لمح السيارة التريهمفي الخاصة بباجا تقترب من الباب هي الأخرى..

تحرك سريعاً للدخول حتى لا يلقي عليه التحية..

وأمر السائق بأن يوقف السيارة قريباً من البوابة.. فربما ينزل بعد دقائق..

تحركت سيارته بسرعة لتقف في المرآب.. وخلفها توقفت سيارة باجا ليهبط منها في سمو.. كان يرتدي اللون الأسود هو الآخر.. كان لا يصطحب سان في مثـل هـذه الاجتماعـات.. فعقلـه بألف عقل وقد وثق به الإمبراطور الصيني فأوكل إليه وحده حضور كل المفاوضات والاجتماعات العليا..

~~

سيارته تقف بجوار سيارة وليام..

السائق الصيني ينظر للأوروبي ويقول له بجفاء:

"اهلا".

الأوروبي رافعاً صوت الراديو لتنطلق الموسـيقى الـصاخبة عـبر دائـرة اسـتماع خاصـة بـين سيارات الحماية الأوروبية فقط:

"اهلا".

بجانبه تأتي وتقف سيارة ثالثة وعليها العلم التركي.. الـسائق التركـي ويبـدو كالمـصارعين يحيى الأوروبي:

"اهلا".

ينظر السائق الأوروبي للخلف لامحاً أوغل وشوكت وقد ارتديا بدلا سوداء وقد دخلا الفندق بسرعة..

فلا يحبا أن يكونا هم المتأخرين عن الميعاد..

الأوروبي يحيى التركي وفق البروتوكول المتبع والملزم برد التحية:

"اهلا".

ثم تمتم لنفسه وهو يغلق الزجاج تماماً لينعزل عن كل شئ:

"أرجو أن لا تطول الليلة".

* * *

حي إمبابة.. شقة صغيرة

"اللهم صلي وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم".

هكذا يدندن خمسة رجال متحلقين في جلسة على الأرض في غرفة صغيرة بشقة في حي إمبابة على النيل مباشرة..

"يا علي.. يا علي.. يا علي".

الشقة ترى ميناء إمبابة من بعيد.. الميناء المدجج بالحراسة الصينية..

كان يتبع الحماية الصينية فقط دون غيرها..

الرجال تتمايل رؤوسهم مع الذكر وهم يستنشقون البخور القوي..

"يا علي.. يا علي.. يا علي"

دق الباب بلطف.. طرقتين متتابعتين.. ثم طرقة..

صمتوا لتدق قلوبهم بقوة..

أحدهم بوجل وهو شاب متحمس اسمه يعلى:

"لا ريب إنه الإمام الهادي".

فتح الباب ليدخل حارس الإمام الهادي فالطرق معناه أنه سيدخل عليهم بعد لحظات..

حضنه يعلى بقوة ليهمس وتدمع عيناه رغماً عنه:

"لقد فعلناها.. فعلناها يا إمام".

كانوا قد أتقنوا الستار الذي حضروا به إلى القاهرة..

خطة بارعة لا يشك فيها أحد..

رتب لها على مر سنوات عديدة لتبدو بريئة تماماً..

~

- أولا قاموا باختيار العناصر التي تحمل ملامح تركية وتتقن التركية تماماً.. من التي كانت تنمني أصولهم إلى مناطق حدودية بين إيران وتركيا..

- ثم وبطرق ملتوية جداً وبرشاوى باهظة زوروا لهم وثائق إثبات شخصية على إنهم أتراك فعلا..

- استلزم هذا دفع أموال طائلة ليس في مصر.. ولكن في تركيا نفسها..

- ثم سجلوا أنفسهم في قوائم الانتظار الخاصة بالموردين لقوات الحماية التركية

- ليس في مصر ولكن في الشام وإفريقيا.. ثم انتظروا 3 سنوات حتى جاءت فرصة في إفريقيا.. ذهبت خلالها هذه المجموعة إلى أدغال القارة السمراء وسط الأسود والنمور الشاردة والتي باتت تعيش وسط البشر..

الحيوانات هي التي أصبحت تخاف على نفسها من العيش وسط البشر..

- وكديدن الأتراك.. أن من يثبت كفاءته في إفريقيا.. يرقى بالعمل في مصر.. ولعامين كاملين وضعت المجموعة تحت الملاحظة.. وعندما أصبح هناك طلب موردين للقاهرة.. كانت أسمائهم من أوائل الأسماء المرشحة..

وعندما اخبر قائدهم بذلك كاد أن يطير فرحا إلا إنه تظاهر بعكس ذلك:

"ولكن لنا عامين هنا وقد تعودنا على الجو العام هنا".

عندها ختم الضابط أوراق التحويل إلى القاهرة قائلاً:

"لا تحاول.. لقد اخترناكم.. هل يكره أحد العيش بأم الدنيا".

~~

قام الخمسة جميعا من جلستهم على الأرض وقبلوا رأس الإمام ويده في وقار ويقول لهم مهنئاً:

"مبارك أولى العمليات.. أخاكم يتنعم في الجنات الآن إن شاء الله"

يعلى بحماس ويخبره بما يعلم:

"إنهم يجتمعون الآن في مكان مجهول ليعزوا بعضهم.. قمة استثنائية"

الإمام ويخبرهم بما لديه من معلومات:

"يجتمعون في فندق كورآراد على النيل.. لقد وصلوا منذ قليل".

يعلى ملوحاً بقبضته في الهواء:

"ولماذا لم ننفذ عملية ضد الفندق من الممكن أن نقضي عليهم".

الهادي ويحاول أن يفهمه:

"ثم ماذا.. سيعين قادة آخرين في دقائق".

الشاب الذي فتح له الباب:

"إذن ماذا عن المرحلة القادمة".

الإمام يقوم وينظر من الشباك إلى ميناء إمبابة المليء بالحركة ويتساءل:

"البالونات جاهزة؟".

يعلى يود أن يرد مباشرة بحماس وقوة دون أن يدري إن كانت جاهزة أم لا..

رد آخر باعتباره مسئولاً عن هذه الجزئية بالتحديد:

"خلال ساعات ستكون كلها جاهزة".

الإمام بهدوء وروية:

"جيد.. ستكون طريقة جيدة نعلن بها مسئوليتنا عن الحوادث الثلاث.. المهم الآن.. هل رتبتم موضوع الاتصال مع حالئين؟".

يعلى يوضح:

"نعم يا إمام.. لدي صديق مصري تعرفت عليه ووثقت به وهو مؤمن بأفكارنا اخبرني إنه يعرف أحد المقربين من الريس وسيوصلنا به".

الإمام وعينه على الميناء:

"جيد لنضع بعدها أول قدم لنا بعاصمتنا المقبلة.. الفاطمية"

وقالها لهم بحماس، ألهب مشاعرهم..

<u>الاجتماع</u>

فندق كورآراد.. قاعة الاجتماعات الصغيرة

~~"هدوء.. هدوء.. سيبدأ الاجتماع"~~

هكذا قال السيد كمال رئيس الإدارة المصرية وهو يطرق على الطاولة الخشبية الأنيقة أمامه بطرف يد عصاه الأنيقة..

كان للطرق صدى واضح لذا صمت الحضور لبدء الاجتماع..

السيد كمال.. رجل ضخم فيما مضى كان ينتمي للبحرية ثم المخابرات.. ترقى ليتقلد منصبه الحساس الآن..

مسئول الاتصال الثلاثي.. وسمي فيما بعد.. رئيس الإدارة المصرية..

كمال وحده يمكنه الاتصال مع القوى الثلاث على أرض مصر..

الأوربيين.. الصينيين.. الأتراك..

كانت له مقولة دبلوماسية مشهورة رددها ليحفظها الجميع:

"هناك أوضاع تفرض على أوطان تظل فترة ولا تدوم.. حتى تقوم هي وتقوى.. وتفرض الأوضاع على نفس الأوطان في مرحلة لاحقة".

البعض اعتبر هذه دبلوماسية مرحلة.. فمصر كانت تمر وقت توليه هذا المنصب الرفيع بمرحلة صعبة كثرت فيها الاضطرابات والقلاقل..

وكان يترأس ثلاث مسئولين آخرين كبار.. لهم نفوذ يفوقوا به الوزراء

السيد يحيى مسئول الاتصال الأوروبي..

السيد طارق مسئول الاتصال الصيني..

السيد خالد مسئول الاتصال التركي..

كانوا حضور معه يجلسون حول المائدة البيضاوية..

فجلس يحيى بجوار وليام ~~ ثم طارق بجوار باجا ~~ لتكتمل الدائرة بجلوس خالد

بجوار أوغل وشوكت..

الثلاثة يدلون بتصريحات سريعة لوسائل الإعلام.. عن الحادث وتبعاته

أشار كمال لرجال أمنه ليخرجوا رجال الإعلام من القاعة بعد أن التقطوا الصور التذكارية..

نطق أخيرا بالعربية التي يعرفها الجميع بعد أن تأكد أن الجميع خرج:

"لا نخفي عليكم الوضع الحساس الذي نجم عن هذه التفجيرات والتي طالتكم جميعا.. إنها المرة الأولى التي تتم بهذا التزامن والدقة".

رد باجا بحدة وهو يميل للامام:

"وعدد الخسائر.. لقد هدم المعبد وقتل العشرات".

مسئول اتصاله طارق يوضح من أوراق أمامه:

"مقتل 98 صيني و 140 أصيبوا".

وليام بعصبية حادة ويتابع:

"هؤلاء كتلة سفاحون.. لقد هجموا على مدرسة للاطفال".

كمال يوضح فكرة الهجوم على مدرسة:

"هذا لإعطاء تأثير نفسي بأنهم بلا قلب.. وإنهم ماضون حتى النهاية من أجل الوصول إلى أهدافهم".

أوغل وينظر للجميع ويوضح:

"الاهداف اختيرت بدقة وعناية.. فالمدرسة هي رمز المستقبل والبراءة لكونها مدرسة اطفال.. ثم المقهى رمز لتجمع القوات الحماية وما يمكن أن نسميه نقطة قوى.. وصور دمارها بالكامل سيبعث صورة سيئة تهكمية بمعنى ها هم الأتراك لا يستطيعون حماية قواتهم وهي

تتناول طعام الافطار".

يتابع شوكت وينظر إلى باجا بالذات:

"و المعبد رمز الدين والتعبد ولإيصال رسالة أن دينكم ما هو بدين".

وكان يقولها كأنه يقولها ولا يفسر الكلام..

باجا يستشيط ويقوم منتفضاً لأن دينه قد سب بشكل غير مباشر:

"ما هذا؟ ماذا تقصد بأن ديننا ليس بدين.. ما هذه السخافات".

كمال يقوم ويتدخل ليجلسه.. بينما شوكت لا يتحرك وأوغل يبتسم بنصف فم من منظر باجا المستشيط:

"يا سيد باجا.. إنه يفسر مضمون ما حدث ولا يقر بذلك".

باجا يضرب بيده على الطاولة عدة مرات:

"طريقته توحي بالتشفي.. الأعمى يلاحظ ذلك.. سجل اعتراضي".

كمال ينظر لشوكت الذي لزم الصمت ولا يعقب:

"نحن جميعا مصابون.. المصريين مات منهم 37 هذا اليوم فقط".

ثم اخرج أوراق كثيرة من ملف بجواره:

"انظر هذه كلها طلبات بالتوسع في الأراضي المخصصة للقبور في الصحراء.. القتلى منا يزدادون كل يوم".

وليام ببساطة خبيثة ويصب مياه معدنية احضرها معه في كأس أنيقة:

"هذا معناه رواج تجارة الأكفان لديكم".

كان يلمح أن لكمال تجارة خاصة ببيع وبناء القبور والأكفان وكانت واسعة بالفعل وتشمل

مصر كلها ويديرها في الخفاء.. وهو دوما ينفيها ولا يقر بها..

وكان يحصل على أجرة دفن الموتى وتكفينهم من معاشهم.. أو يتم تقسيطها على أقاربهم.. أو يخصم من مرتبات الأقارب المستقبلية..

باجا مغيراً دفة الحديث وقد مل ويود الانصراف سريعاً:

"لابد أن ننسق فيما بيننا لندحرهم قبل أن يقوموا بتنفيذ عملية آخرى".

شوكت ناظراً إلى كمال لا إلى باجا تسفيهاً:

"لكي ينفذوا عملية آخرى لابد لهم من وقت ليعدوا له".

وليام يرد بما يعرف:

"معلوماتنا تؤكد إنهم يعدون لشيء آخر".

كان هذا بمثابة مفاجأة للجميع.. كمال تفاجئ فعلاً ويسأل وليام:

"هل كنتم على علم بما حدث؟".

وليام يوضح المعلومات التي تدلل على قوة جهاز مخابراته:

"لقد حاولنا وتعقبنا وصول المتفجرات من مرسى مطروح حتى وصلت رشيد ولكنها تاهت منا في زحام القاهرة.. إنهم بارعون ماكرون خبثاء".

كمال بشكل صارم لوليام باعتباره المسئول الأول عن مجزرة رشيد:

"وارتكبتم مجزرة هناك وقتلت عائلة بكاملها.. و يخالف هذا اتفاقية التعاون والمآخاة التي وقعتها بيدك".

*- كانت هناك اتفاقية موقعة بين الثلاثة والإدارة المصرية في **2046** تحتم تبادل المعلومات التي تخص أمن الجميع حتى تساهم كل حماية بقواتها وعملائها من أجل كشف أية*

مخططات تهدد أمن الجميع..

- وأن لا تقوم جهة بعمل منفرد..

- لم يكن يعتد بها بالطبع وكانت كل جهة تقوم بما تريده وفق مصالحها.

وكله على قفا المصريين الذين يقتلون أو يختفون..

وليام ببرود وينظر للجميع بعين السمكة الميتة:

"ظروف المواجهة اضطرتنا لذلك".

وبنفس الطريقة التي قالها باجا..

كمال ينظر إلى يحيى نظرة: (*أنت مش شايف شغلك*).

كان لمسئول الاتصال مهمة معرفة المعلومات من مسئول الحماية..

وبكافة وسائل الإغراء المشروعة وغيرالمشروعة..

كمال يدير الحوار ويلقي بما لديه قبل أن تحدث أزمة وينسحب أحد الأطراف كما هو معتاد ويضطر للجري وراءه:

"يا سادة.. دعوني اخبركم بما لدي.. وسأستمع إلى ارائكم".

نظر الجميع له فتابع على الفور وهو ينظر لورق مطبوع أمامه:

"أرى أن نتعاهد ونتفق على التنسيق الفعلي فيما بيننا.. دعوني اقرأ عليكم بعض النقاط الممكن تفعيلها في المرحلة القادمة:

1- تعاون امني من خلال الدوريات المشتركة.

2- تعاون إعلامي من خلال بث نشرات وعمل برامج سريعة توضح الخطر القادم وضرورة التبليغ عند الشك.

3- رصد مكافأة من قبل كل إدارة لمن يبلغ عن مشتبه فيهم وفي هذا معنى أن المكافأة ستكون ثلاثية".

ثم تذكر شيئا فتوجه إلى باجا ببصره وقال:

"يا سيد باجا نريد منكم تقليل اللوحات المضحكة التي ملئتم بها شوارع وسط البلد وكلها تحمل كلمة كافح.. لقد صارت مسار سخرية للشعب المصري والـ feed back عنها سيء للغاية.. لقد اصدر الشباب رسوم كاريكاتيرية وشعر سخرية منها".

باجا بجمود وبرود ويعلم ذلك وشاهد الرسوم وترجمت له الأشعار:

"نراجع سياستها مع المختصين ونقيمها في الفترة القادمة".

السيد كمال يرتاح لأنه كسب منه أي نقطة ينظر للجميع ويسأل بصوت خافت:

"ما رأيكم؟ هل نوقع بذلك اتفاقية جديدة؟".

من وجوههم شعر كأن السؤال من الممكن أن يأخذ صيغة:

(انلزمكموها وأنتم لها كارهون؟).

تهمس كل مجموعة.. عدا باجا الصمت..

اقترب طارق منه ويهمس:

"ما رأيك سيد باجا؟".

و كانت إجابة باجا وله واضحة.. نظرة بمعنى واحد: (ألزم مكانك)

أخيرا نطق وليام بعد أن تشاورمع يحيى:

"نحن موافقون".

شوكت وأوغل سويا ويهزون رؤوسهم:

"موافقون".

الجميع ينظر لباجا الذي يهز رأسه نصف هزة دون كلام..

تنهد كمال واخرج عدة نسخ جاهزة من الاتفاقية وناولها للجميع قائلاً:

"جيد.. إنها جاهزة للتوقيع.. لقد اخترت لها اسم موحي".

نظر باجا إلى النسخة التي وضعت أمامه..

مكتوب اسم الاتفاقية على الغلاف باللغات الأربعة العربية والانجليزية و التركية والصينية..

ومكتوب تحت الاسم (*البنود سرية ولا تعلن*)

انفرجت شفتا باجا عن نصف ابتسامة عند قرأته الاسم وامسك القلم وهو يتمتم بلا صوت:

"اتفاقية الذبح المبكر".

وتابع بلا صوت بما يتمنى تحقيقه في يوم من الأيام ناظراً للجميع وهم يقرؤون البنود استعداداً للتوقيع شاعراً إنهم يتمنون له نفس الأمنية:

"اتفاقية الذبح.. ذبحكم جميعاً".

ليبتسم باجا أخيراً ابتسامة كبيرة واسعة..

* * *

بعد ثلاثة أيام.. صباحاً

خاصرة القاهرة.. ميدان العتبة..

محمود وتوفيق جالسان على مقهى شعبي قديم..

لاحظا التواجد الأمني غير العادي من القوات الصينية.. كذلك لاحظا وجود قوات أوروبية وتركية..

الثلاثة تتحرك في شكل دوريات متتابعة.. تفتيش وفحص ورصد ومتابعة..

محمود يهمس له وهو يشرب شاي أخضر الذي صار منتشراً هذه الأيام أكثر من العادي بسبب قلة زراعته و استيراده:

"هو فيه إيه؟".

توفيق ويقضم شطيرة الفول الهندي ذو الحبات المتضخمة:

"مش عارف شكلهم بيدوروا على حد.. شكلهم مظبطنها سوا".

محمود ويرشف مزيد من الشاي بسرعة ويراقب الأعداد:

"عددهم زايد المرة آدي.. أكيد نتيجة الاجتماع اللي كان من كام يوم".

خمسة جنود صينيين يدخلون المقهى ويفتشون تصاريح كل الموجودين

أبرز لهما محمود وتوفيق بطاقات الهوية التي تشير لعناوين خاصة مضروبة بوسط البلد.. العنوان مضروب لكن البطاقة سليمة..

العسكري الصيني يقول بغلظة:

"مفيس تصاريخ".

محمود بجفاء ويأخذها منه:

"لا يا خواجة.. مفيش تصاريخ".

العسكري وهو متمسك بالبطاقة بيد حديدية:

"العنوان ده بعد سوية مش حاينفع.. لا االزم تصاريخ".

ودار على عقبيه ومشى دون كلام.. القهوجي الشاب يهيص بعد ما مشي تماماً:

"يهووووتء.. هو إيه اصله ده.. هو كل ساعة حاتطلعولنا بحاجة الأول لازم العنوان

يبقى على المنطئة اللي أنت فيها.. ودلوئتي تصريح"

لم يكن الشاب مدمناً للحس الوطني بل مدمناً للمخدر سيبد.. وهذا التصريح معناه قلة في زبائن المقهى وقلة في البقشيش الذي يشكل 75 ٪ من دخله..

محمود لتوفيق بصوت منخفض:

"أنت مصدئ موضع المغاربة ده.. تفتكر فعلا إنهم اللي عملوا الفرائيع دي كلها".

توفيق يرد والجنود يزدادون كثافة في الشارع من الثلاث جنسيات:

"مش عارف.. الناس بتتكلم كلام كتير".

محمود يفكر بصوت عال:

"بس التفجيرات حصلت فعلاً في حاجات أوروبي وتركي وصيني".

وخفض صوته لاقتراب جندي صيني:

"يبقى اكيد الفاعل حد رابع".

توفيق يتساءل عن إمكانية مطروحة ويتحدث عنها الناس:

"ممكن يكونوا حالئين؟".

محمود ويهرش في قفاه:

"مفتكرش.. واسعة عليهم.. هو الريس بتاعهم بيعرف يتكلم كلمتين على بعض.. ده مابيطلش أفيون".

ثم قال فجأة بلا مبرر بطريقة تعجب لها توفيق:

"الجدع اللي اتعرفنا عليه امبارح ده بينو زين".

جندي يقترب ويتصنت عليهم.. لذا غير الموضوع تماماً..

توفيق ويسايره ويتحدث بصوت عال:

"مجدي.. آه مش بطال.. هو ئالي انو بيئعد دايما في المطعم اللي جنب السينما.. حابئى اعدي عليه كل فترة".

محمود منهياً شايه سائلاً توفيق ويستعد للقيام:

"أنت حاتروح وين النهاردة؟".

توفيق الغير مخطط:

"والله ما أنا عارف.. حاتمشى في شارع الأزهر يمكن ألائي أي فرصة في أي محل.. وأنت؟"

محمود مكرمشاً ورقة لفة الشطائر ويشير للصبي لكي يحاسبه:

"أنا سمعت أن ميتا إمبابة يمكن يكون فيها فرصة.. أنا جبت تصريح ف الفجر بالعافية عشان اروح ودفعت فيه والله آخر فلوس معايا".

توفيق متنمياً له التوفيق بكل مشاعره:

"شد حيلك".

وأشار له باللاسلكي:

"خليك على 85/119 وابئى طمني عليك".

محمود وقد حاسب الولد على الشاي وأعطاه بقشيش بسيط ليزغر له الصبي:

"خلاص يكون.. بس يا رب المسافة تجيب".

وانصرف سريعاً..

الصبي ينظر لتوفيق ويضرب له تعظيم سلام:

"يا كبرك.. أنت منورنا والله يا باشا النهاردة".

توفيق يرفع يده ويحييه:

"الله يخليك.. حاشوفك لما ربنا يفرجها".

الولد يخرج على عتبة باب المحل ويدعو بصوت عال:

"افرجها يا رب.. افرجها على عبيدك".

ثم تابع مركزاً عينه عند نقطة معينة في السماء:

~~~"يوووم.. إيه ده؟"~~~

نظر توفيق له ولاحظ تعلق بصره بالسماء..

الجندي المتلصص ينظر للسماء لتتسع عيناه في رعب..

نظر توفيق إلى السماء حيث بدء الناس في المقهى والشارع يشيرون..

حيث أغرب منظر لم تشاهده عيونهم من قبل..

* * *

<u>*قصر وليام بالمنصورية*</u>

قاعة الجيمنازيوم..

جون يرفع ثقل كبير من الحديد وهو مستلق على ظهره في تمرين صعب..

يتصبب عرقاً من كل اجزاء جسده..

يقترب منه صوت حذاء.أنيق يسيرعلى الباركيه بخفة..

تطلع جون إلى عيون يحيى الماكرة والواقف أمامه مرتدياً بدلة سوداء وقد بالغ ووضع شريطة سوداء على كتفه الأيسر وقد وقف في صمت وانتباه..

يحمل معه ملف به أوراق..
~~~

لم يحب جون دوماً هذه العيون الخبيثة.. من الممكن أن تبيعه في لحظة..

إذا ما انقلبت عليك.. لن تكتفي بطعنك والركض سريعا..

هو مضطر للتعامل معه.. ولكن بكل حذر..

اعتدل وهو ينهج بقوة تاركاً الثقل الحديدي وبابتسامة دبلوماسية حياه:

"اهلا سيد يحيى.. كيف حالك؟".

يحيى يجلس على جهاز رياضي مقابل له دون استئذان ويرد:

"بخير حال سيد جون.. تقبل بالغ تعازي في مصابكم".

جون يسأله بصوت هامس بعد أن تأكد بعينيه أن أحداً لا يسمعهم:

"شكراً لمشاعرك.. المهم.. هل رتبت اللقاء مع شوكت؟".

يحيى يخفض صوته ويقترب بنصفه العلوي منه:

"إنه يرى أن افضل وقت لبدء التنفيذ قد اقترب جداً.. وسيقابلك في أقرب فرصة عندما ينتهي من ترتيب كل شيء ويسلمك أول دفعة".

جون يتساءل ويجفف عرقه بمنشفة:

"وماذا عن هذه التفجيرات التي تحدث؟ ألن تعيق تحركاتنا؟"

يحيى بمكر الثعالب:

"إنها افضل فرصة لبدء التحرك.. فالجميع مشغول في موضوع المغاربة".

جون متعجب من دهاء هؤلاء القوم.. ينتقل إلى الجزء الأهم:

"حسناً.. هل لديك شيء آخر؟".

يحيى يخرج من جيبه عدة ورقات مطوية نصفين ويناولها له ويهمس:

"حسناً.. هذه هي كل تحركات أبيك الماضية بما فيها اتفاقية أمس"

جون يخطف الورق ويفتحه ويلتهم السطور ويقول:

"اتفاقية.. الذبح المبكر. اسم فيلم أكثر منه اتفاقية..".

وازدرد لعابه من التوتر ويتحدث بلا وعي وهو يقرأ:

"أنت تعلم بالطبع.. أنا اطلب منك هذه المعلومات لتأمينه لا أكثر..".

ثم سرح معها لثوان ليؤثر قرأتها على مهل فيما بعد..

صوت وليام يفاجئهم من عند الباب:

"يحيى.. ما هذه المفاجأة؟".

جمدا لثوان ليرد يحيى بتلقائية وهو يقف:

"سيد وليام.. مرحبا بك".

اقترب وليام ليقف بينهما وهو ينظر إلى الأوراق التي في يد يحيى:

"لم تقل لي بالأمس إنك سوف تأتي".

تجمد يحيى لثانية ثم رد مشيراً بالورق الذي في يده:

"سيد جون كان قد طلب مني مدرب أحمال له من فترة.. وقد اكملت ملف المرشحين اليوم فقط"

وليام يأخذ منه الملف ويفتحه ليقرأ بيانات الأشخاص وتقرير التحريات الأوروبية عنهم والموقع من جدعو نفسه:

"ممم.. عمل جيد".

ثم حدج يحيى بنظرة قوية:

"إنك دقيق دوما كعهدي بك.. يوم من الايام ستصلح أن تكون انجليزيا".

كانت هذه هي أمنية يحيى الوحيدة التي يموت نفسه ليل نهار في العمل مع وليام.. أو الشيطان نفسه لو اقتضى الأمر..

أن يحصل على جواز سفر بريطاني خالص..

وبأسم وشكل وديانة مختلفين..

يريد أن يصبح إنسان آخر..

بحكم تعامله مع الأوربيين رأى كيف أن الناس تعاملهم باحترام.. وخوف..

وهذا ما يحب أن يراه في أعين الناس..

الاحترام والخوف..

وهو يحاول ويحاول وكل فترة يذكر وليام بطلبه هذا.. ووليام يعلم إنه لو حصل على جواز سفر بريطاني في المساء..

فلن يغدو يحيى الواقف أمامه في الصباح التالي.. لذا ربت على وجنته وانصرف وقال له:

"يوماً ما يحيى.. يوماً ما".

ثم تابع وآمره من عند الباب:

"هيا.. تعالى وشاهدني وانا اسحق ابني في السنوكر"..

ينظر يحيى لجون الذي يقوم في حنق ليلحق بأبيه..

يحيى يلقي بكلمة سم بصوت هامس وهو يمر بجواره:

"إنه حتى لم يحبيك".

استشاط جون و التفت له واضعاً إصبعه على انفه محذراً:

"احذرك أن تتجاوز حدودك".

لم يطرف يحيى ولم يتحرك بل قال:

"عندما يحين الميعاد مع شوكت.. سأخبرك".

وغمز له بمغزى خاص وانصرف بخطوات قوية واثقة..

وكل الأجهزة والمقاعد وحتى قارورة جون الباردة تتساءل بحيرة:

"من الذي يتبع من؟".

* * *

مقهى العتبة

في كبد السماء..

توفيق وصبي المقهى وجندي صيني ينظرون إلى أعلى..

على ارتفاع منخفض فوق أسطح البيوت بقليل كان هناك منظر عجيب

في كبد السماء..

عشرات البالونات الكبيرة الخضراء ترتفع إلى أعلى.. مربوط بها صناديق خشبية صغيرة..

ترتفع ببطء شديد.. لاحظ رجال الحماية المنتشرون ذلك..

الجميع ينظر ولا أحد يفكر.. ولا أحد يتحرك..

أمر الضباط الجنود بإطلاق النار على البالونات بعشوائية دون تفكير:

"اضربوا.. صوبوا على البالونات".

صوب الجنود وتباروا في إسقاط البالونات..

كانت البالونات تنفجر لتتبعثر معها الصناديق الخشبية الرقيقة..

تسقط منها ألوف الأوراق لتتبعثر في الهواء على رؤوس الناس في الشارع..

ضابط آخر فهم أخيرا فأمر بعد فوات الأوان:

"اوقفوا الضرب.. إنها منشورات".

كان هذه متأخرا جداً حيث اسقط الجنود كل البالونات تقريبا..

لم يكن هذا في منطقة العتبة فقط..

إنما في جميع أرجاء وسط البلد.. رمز القوة والسيطرة..

لقد أدارها المغاربة بشكل صحيح هذه المرة أيضاً..

لقد أعلنوا عن تواجدهم وسخروا من غباء قوات الحماية..

أمام المقهى حيث يقف توفيق.. جرى صبي القهوة سريعاً وعبر الطريق حيث عشرات الأوراق المبعثرة على الأرض..

الجنود الصينيون يحاولون لم الأوراق ولكن بلا فائدة..

فالأطفال قد هجمت على الأوراق وكذلك المارة وأخذوها..

نظر الجنود إلى الضباط بانتظار أوامر الضرب..

لا يمكن ضرب الناس وقتلهم على ذلك..

رفع أحد الضباط مسدسه وضرب عدة طلقات في الهواء..

فزع الناس وهربوا بعيدا.. الصبي يعود ويعطي ورقة لتوفيق:

"خد شوف لنا يا كبرك مكتوب إيه فيها".

أخذ منه توفيق الورقة ودخلا المقهى بسرعة وجلسا متجاورين وظهرهما للشارع..

جميع زبائن المقهى يفعلون مثلهم كل اثنين أو ثلاثة مع بعض.. يقرأ توفيق بصوت مسموع:

"بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

بيان رقم واحد

الحمد لله الذي هدانا لهذا.. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

بتوفيق من الله سدد رمينا وصوب قذفنا فإذا الكافرون يتساقطون..

فتح الله على طليعة من شبابنا ليذيقوهم سوء العذاب..

بالأمس وفي تزامن سقط أكثر من 500 قتيل وأكثر من 800 جريح في دقائق معدودة..

بشريات النصر والتحرير تلوح في الأفق يا شعب مصر..

بأيديكم معنا تحرروا من هذا الاستعمار البغيض"..

"جيب.. هات".

هكذا قاطع الجندي الصيني قراءة توفيق وجذب الورقة من يده ليمزقها.. المقهى امتلأ بالجنود الذين يجذبون الورق من أيدي الناس في غلظة..

انصرف الجنود بعد أن دمروا المقهى تقريبا..

ما أن انصرفوا حتى تمتم توفيق للصبي:

"ما لحقناش نخلصها".

الصبي يخرج ورقة آخري من جيبه ببساطة قائلاً:

"ولا يهمك بركتك.. معايا غيرها كتير".

* * *

قصر النصورية

كف يمنى رجالية تنغمس في إناء دائري به زيت دافئ..

يدلك بطن الكف الأيمن ببطن اليسرى في حركة بطيئة وخبيرة..

ببطء تنزل بطن الكفان على ظهر رجل عار مستلق على بطنه إلا من فوطة تخبئ مؤخرته..

اليدان تؤديان عملهما بمهارة في كتف الرجل الذي يئن ويقول:

"يداك تشعرني بأني ساقود العالم يوماً يا سينيه".

سينيه يتملقه ويقول بانجليزية فرنسية:

"أنت قريب من ذلك فعلاً سيد جون".

قلب جون وجهه وحدجه بنظرة نارية..

فهو لا يحب هذا التملق إلا إنه قال وقد بدأت أعصابه تفك:

"أنا مجرد تابع له.. وهو يحركني كيف يشاء".

سينيه وقد بدأت يداه تنزل إلى منتصف ظهره ويحرك كفيه بدوائر:

"دوائر.. دوائر.. لكل مرحلة نهاية لتبدأ معها مرحلة آخرى".

نظر له جون بعمق وهو يحاول أن يقرأ أبعاد كلامه..

يد سينيه تنزل لآخر ظهر جون المتألم بتلذذ:

"سينيه.. إنك رائع".

ثم فكر معه بصوت عال:

"هناك موضوع أود أن أخذ رايك فيه؟"

كانت يدا سينييه تؤدي عملها على كليتي جون من الخلف مما أعطاه شعور بالراحة لا يوصف..

زاده راحة رائحة الكافورالمتزج بالزيت الدافئ و التي بدأت تخدره..

سينيه بهدوء وبلا صوت تقريباً:

"تحت أمر سيدي".

جون ويسأل بلا صوت كأنه يهمس لعشيقته:

"لو أن هناك امراً وسأفعله دون علم أبي.. أفي هذا عيباً؟".

سينييه لم يسأله عن كنه هذا الأمر أهو شيء شخصي؟ أم يخص الحكم والإدارة؟ إلا إنه قال على الفور وهو يضع مزيد من الزيت بكفييه:

"سيدي لقد بلغت سن الرشد.. ما دام هذا الأمر خيراً فافعله فوراً".

جون بتشكك وحيرة:

"ولكنه سيغضب لأني لم أخذ رأيه".

سينييه وينزل على ظهره ليدلكه بمزيد من الزيت:

"سيغضب.. كان هذا فيما مضى.. أما الآن.. فقد كبر الصغير وصار لزاما أن يتصرف بمفرده.. ولكن..".

صمت ليلتفت له جون ليستمع إلى باقي الجملة الهامة الهامسة:

"ولكن.. دون أن يلحظ أحد".

* * *

<u>*مكتب شوكت*</u>

"بأيديكم معنا تحرروا من هذا الاستعمار البغيض..

بأيدكم معنا تخلصوا من الطغيان..

ستجدوننا في كل مكان..

ضرباتنا القادمة في أماكن تجمعهم فابتعدوا عنها..

آل لهذا الليل الأسود الطويل أن ينجلي..

فالله نشكر ونصلي على آل محمد..

ونطلب منهم المدد والغفران

وصلى اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم

إخوانكم المغاربة"

أنهى شوكت قراءة البيان للمرة الثانية.. كرمش الورقة وألقى بها بعيداً..

كان واقفاً وراء نافذة مكتبه بالطابق الخامس والعشرين.. نظر من وراء المرآة المقعرة المقربة التي تريه منظر بزاوية 170 درجة مقربة..

أسطح عمارات وسط القاهرة ممتلئة بالأوراق..

ورجال الحماية التركية يداهمون الأسطح في أماكن متفرقة ويقومون بلم الأوراق.. شوكت يتمتم وقد فهم الغرض من هذا العرض:

"بقينا زبالين.. هذا إذن ما يريدوه المغاربة".

بعصبية يلتقط جهاز اللاسلكي ويعطي أمرعام لهاكان قائد قوات القاهرة:

"من الذي أمر بتسيير الدوريات المشتركة للم الأوراق؟".

جاءه الرد على الفور من هاكان وبصوت قوي كاد أن يخترق أذنه:

"السيد أوغل يا افندم".

شوكت بعصبية عاصراً الجهاز بيده حتى كاد أن يتحطم:

"اصدر نداء عام لهم للتراجع من الآن.. الآن..".

هاكان أصيب بالارتباك وبنفس الصوت القوي:

"وماذا سنقول للجانب الصيني.. إنهم يعملون معنا والتنسيق.. اعني إنهم".

شوكت سريعا:

"اخبروهم إننا نشك.. وإننا نبحث عن قنبلة آخرى ونريد الدعم من كل القوات هيا.. لن نعمل بجمع القمامة يا هاكان.. أين عقلك؟".

هاكان لا يرد لأنه سيكسر أمر قائده المباشر أوغل.. شوكت يصرخ فيه:

"نفذ الأمر أيها القائد.. انتهى".

وألقى بالجهاز على المكتب.. ونظر عبر المرآة لأسطح العمارات..

ثوان وبدأ الجنود الأتراك في التراجع بشكل منظم..

جاءه صوت أوغل عبر اللاسلكي:

"شوكت.. شوكت".

مد شوكت يده والتقط الجهاز من على مكتبه وسأله:

"ما الأخبار؟".

أوغل بعصبية:

"لماذا اعطيت أمر الانسحاب للقوات؟".

شوكت بعصبية أكثر:

"لن نقوم بجمع القمامة مفهوم.. مفهوم أيها القائد أوغل".

أوغل بعصبية ويكاد اللاسلكي أن يتحطم في يده:

"لقد عزلت هاكان قائد القوات لعصيانه أوامري".

شوكت ثائر مغتاظ:

"هل تتجسس علي.. هل تستمع إلى احاديثي السرية كيف تجرؤ؟".

أوغل بفوران:

"احاديثك السرية.. إننا تردد مشترك هل نسيت أيها القائد؟".

شوكت بعصبية:

"زفت.. زفت".

ويتابع بجنون:

"سمعتنا في الحضيض.. يسخر الناس لأننا من اسقط البالونات.. المصريين نظموا شعراً لذلك في لحظات.. أوغل.. أوغل.. اسمعني.. اريدك أن تأتي حالاً لنبحث ماذا سنفعل.. لدي خطة واضحة؟".

لم تكن لديه أي خطة ولكنه كان يعلم أن حديثه ربما يلتقط الآن عند أي من الصينيين أو الأوربيين..

أوغل يوضح ولا يصرح:

"أنا في انتظار الوالد.. فهو يريد مقابلتي لأمر هام.. سأنهي اللقاء معه وأعود مباشرة".

الوالد هو اسم الشيخ صالح السري بينهما..

لا ينطق في اللاسلكي.. ولا يكتب في المكاتبات..

كان أوغل سيذهب لمقابلة هامة بعد لقاء الشيخ ولا يود الإفصاح عنها..

شوكت ويسأل عن قائد القوات:

"حسناً.. لا تتآخر.. وماذا عن قائد قوات القاهرة.. هاكان ليس بالشخص البسيط.. إنه

عنيد ومجنون".

أوغل بعصبية الأتراك:

"لقد عزلته ولن اتنازل عن ذلك.. وإياك أن ترجعه مرة آخرى"

لم يكن لشوكت أية نوايا للاصطدام بأوغل الآن.. لذا قال بهدوء:

"حسناً.. فلترى من الاصلح وعينه مكانه".

كان لدى شوكت أيضاً ما يود القيام به ولا يود وجود أوغل معه في الساعات القادمة..

كان يعلم إنها أفضل فرصة الآن لبدء التنفيذ الفعلي لمخططه البشع..

لم يكن شوكت محسوباً على البشر بل الشياطين تتوارى عندما تسمع أفكاره..

تمتم لنفسه وهو يرجع رأسه للوراء:

"إنه افضل وقت استغلال الفوضى الحاصلة والاسراع في التنفيذ".

أنهى الاتصال مع أوغل وطلب رقما داخلياً وقال كلمتين:

"احضروا خالد مسئول الاتصال".

* * *

<u>مكتب قائد قوات القاهرة.. هاكان</u>

هاكان جالس ويضع رأسه بين كفيه..

يرفع رأسه ذات الشعر الأصفر لتبدو عينيه الزرقاوتين بلون الدم.. يضغط على اضراسه حتى كادت أن تتحطم.. بملامحه الحادة تمتم وشوكت وأوغل في خياله:

"يوماً ما.. سأجعلكم تندمون"

وتابع وطرق الباب عليه يتكرر حيث سيطلب الجنود منه الرحيل فوراً:

"أشد الندم".

* * *

<u>*منزل الريس بالدويئة*</u>

الريس سمع مرتين من نخلة ما قاله له عن موضوع التحالف مع المغاربة.. سأله بشكل محدد وهو يشد بقوة من الشيشة بلا جدوى:

"وانت إيه اللي عرفك على العالم الجرش دي؟"

نخلة يعيد لثالث مرة وهو يضغط بالماسك على الفحم الأحمر الملتهب:

"أنا بسهر يا ريس من زمان مع واحد فيهم عايش هنا في الدويئة.. بنحشش سوا".

الريس ويشد أنفاس قوية من الشيشة المكتومة ليكح ويبصق:

"يلعن أبوكي مسحورة".

ويلقي بالشيشة بعيداً ليتابع:

"ما أنا سمعتك دي رابع مرة تئولي.. أنا ئصدي.. على رأي أمي الله يحرئها.. (*إيه اللـي لم الشامي على الفينو*).. يا بني احنا عجينة وهما عجينـة.. وحنتعـاون مـع النـاس دي ف إيه.. حانفتح سوا محل التوحيد والنور؟".

نخلة محضراً له اللي من الأرض ويسلك الشيشة بعدة أنفاس:

"يا ريس دول نجمهم طالع.. مش حانخسر حاجة من صحبتهم.. وبعدين وعدونا لو خدوا البلد حاتبئا ئسم ما بينا".

ثم وجد أن الشيشة مكتومة فعلاً فتركها وقال له:

"تصدئ فعلاً مسحورة".

الريس يصدر صوت كركرة من أنفه ويرد على كلامه:

"بلد إيه اللي ياخدوها يا خوته.. هي زوءر صابون سايل؟"

ثم تابع ليفصل في الموضوع و بدأ يشعر أن التعميرة ما ظبطتش:

"شوف.. سبني ائلبها في الئلاب.. و حابئا ابعتلك".

نخلة سعيد لأن دماغه بدأت تميل وشعر أن هذا نصر كبير:

"يكون يا كبير.. ئلبها براحتك وعلى أئل من مهلياتك".

وانصرف ليترك الريس يفكر في الموضوع الهام الذي يشغل باله الآن:

"موحووو.. هي التعميرة باظت ليه؟".

* * *

<u>مكتب يحيى.. مسئول الاتصال الأوروبي</u>

يد قوية تطرق باباً لتدخل مكتب أنيق..

يرفع يحيى القابع خلف كوم من الأوراق رأسه للقادم بابتسامته الماكرة:

"سينيه.. كيف حالك.. وكيف حال الأمير الصغير معك؟".

سينيه يجلس كأنه معتاد على الجلوس معه والحديث:

"بخير.. لقد كنت عنده وقد دار بيننا حديث لطيف".

يحيى تاركاً كل الأوراق ويضغط زر طلب الساعي:

"رائع.. رائع.. أود منك أن تخبرني بكل ما دار.. وبمنتهى الدقة"

* * *

<u>مكتب شوكت.. قلعة الجبل</u>

شوكت يلعب لعبة الأسهم.. ليزيل التوترعن نفسه..

"إذن فكلامك النهائي إنك تثق في يحيى رجل وليام وإنه سوف يوصلنا لجون مباشرة".

هكذا قال شوكت لرجل اتصاله خالد وهما واقفان في المكتب..

خالد بإخلاص وانحناء:

"اثق به مائة بالمائة".

شوكت مصوبا سهما ليسقط قرب قلب لوحة التصويب المعلقة على الحائط..

لوحة اللعب على شكل علم الصين..

"وأنا لا اثق في أمي التي حملتني في بطنها واحد في المائة".

خالد بدهاء اكتسبه من سنوات عديدة من الإجرام:

"يحيى لن يعرض نفسه للمخاطرة في موضوع كهذا.. إنه حريص".

ثم تابع متوجها إلى اللوحة ليخلع الأسهم منها ليناولها لشوكت:

"ثم إننا سنكسبه في صفنا لو تم الأمر كما نخطط. وإذا كسبناه فسنكسب جون.. ومن يدري ماذا يمكن أن يحدث غداً".

شوكت يتساءل وهو يصوب:

"ماذا ممكن أن يحدث؟ أن وليام هو الممسك بمقاليد كل شيء".

خالد بخبث وتخابث:

"من يدري؟ ربما يكبر الشبل ويستأسد.. وإذا لم يكبر من الممكن أن نساعده ليبلغ سن الرشد"

سرح شوكت بعيدا..

إنه لم يفكر في التعاون مع جون إلا لمصلحة بينهما سيكسب منها مادياً..

لكن خالد الآن يلفت انتباهه إلى نقطة آخري بعيدة..

بعيدة تماماً..

وجه شوكت السهم وصوب..

ولأول مرة منذ فترة..

يرشق السهم في منتصف اللوحة الحمراء..

في مركزها تماماً..

* * *

قصر النصورية

وليام ينفث دخان الغليون بعمق ليخرج الغضب الممتزج بالتفكير من صدره..

كان التقارير الذي وصلته عن تحركات الصينيين قد باتت تقلقه..

يبدو إنهم لا يكتفون بما لديهم ويودون في الحصول على المزيد..

كان يشاهد التلفاز بلا صوت..

التحالف مع الأتراك فكرة لا بأس بها الآن..

الهجوم الذي قام به المغاربة أيضاً كان يقلقه.. الأمور كلها صارت معقدة..

قوى الاتحاد في أوروبا تضغط عليه من أجل أداء أفضل..

أخبار التفجيرات التي وصلتهم أثارت حنقهم واعتبرت هذا تقصيراً منه في أداء عمله..

وهو يطلب منهم زيادة القوات كل شهر ودوما يأتيه الرد المكرر..

(لا يمكن الدفع بقوات أخرى الآن في الحزام الجنوبي نتيجة لشدة الصراع الداخلي الآن بين الدول الأوروبية)

إنهم بحاجة لكل جندي هناك من أجل حفظ النظام واستقرار الأوضاع الذي يؤمن شكل الهيبة في قلوب الأعداء..

كان الوقت الآن في التلفاز هو المخصص للجانب الأوروبي الآن ويعرض فيلم قديم يحبه

كثيرا..

فيلم 2012..

مشهد دمار الكوبري.. وليام ويتنفس بعمق ويتمتم:

"لماذا لم ينتهي كل شيء فعلاً وقتها؟ كان سيكون أفضل من هذا الكابوس الذي نحياه الآن؟"

وتابع وهو يفكر في الضيف الذي سيحضر بعد قليل.. ويسأل عقله:

(هل سيصلح مثل هذا التحالف.. هل سيصلح..؟؟).

* * *

مكتب أوغل

"اهلا شيخ صالح".

هكذا قال أوغل للشيخ صالح وهو يستقبله في أحد الشقق الفاخرة المطلة على مقر بورصة الخيول بنادي الجزيرة..

كان أوغل يترأس إدارة البورصة ويشرف على توصيل المال لتركيا..

وكان يستعمل الشقة كمقر يقابل فيه التجار الكبار ليدير معهم الصفقات

وكغطاء للمقابلات الأخرى السرية..

لم يصافحه الشيخ صالح..

تظاهر أوغل بأنه لم ينتبه وضغط على أسنانه بقوة وكتم غيظه..

الشيخ غاضب ويلوح بقبضته الممسكة بالسبحة الياقوت في وجه أوغل:

"يذبح ثلاثة من رجالي وأنتم تتفرجون".

أوغل ببرود ناظراً إلى قبضته:

"التحقيقات جارية وسنصل للفاعل".

الشيخ صالح يلوح ويلوح والسبحة تشخلل ويصيح:

"احنا كبش فداء في صراعكم مع الصينيين".

أوغل يوضح بانفعال مماثل:

"الصينيين هم الفاعلون.. والسبب هو طفاسة رجالكم.. هم يطلبون الكوبيات لتمضية الوقت.. والكوبيات على اتصال بالصينيين.. لماذا لا يستعموا المصريات.. فالمواسس كثيرات بينهم".

الشيخ صالح رافعاً اصبعه في وجهه محذراً:

"نحن لا نزن.. إنه جواز شرعي".

أوغل بسخرية عابثا بقداحة أمامه ويشعلها عدة مرات:

"زواج ليومين.. لهذا لا ترضى المصريات.. إنهن يفضلن الدعارة عن زواج كوميدي".

الشيخ صالح ينظر له بقوة ويشيح بوجهه ولا يرد

أوغل يتحدث في العمل لأن لا وقت لديه:

"هناك موضوع جديد لا يحتاج تأخير.. نريدك أن تجهز له جيدا.. سيكون هجوم مشترك هذه المرة".

الشيخ صالح بتعجب:

"هجوم مشترك.. لماذا؟".

أوغل بغموض وبابتسامة خبيثة:

"لأن العمل سيكون كبيراً.. كبيراً جداً".

الشيخ يسأله وصوت راوي يتساءل عن مكانه عبر اللاسلكي..

لم يكن يخبره شيئاً عن تفاصيل أو أماكن الاجتماعات..

"وين؟"

أوغل يشعل سيجار كوبي فاخر محلي

الصنع منفثاً الهواء في وجه الشيخ

الذي لا يتحرك ولا يتأفف ولكنه فوجئ من مكان الهجوم:

"الميناء.. ميناء إمبابة".

يصنع السيجار في مدينة الكوبيين بقارة الحدادين غرب أبو رواش وبأيادي كوبية خالصة . والتركيبة سرية .

* * *

"بركتك.. بس الموضوع كده يبقى خطر جداً يا باشا".

هكذا قال مجدي لشوكت الذي اخبره بما يريد منه وهم جلوس في المكتب شوكت بطريقة مصرية:

"كله بتمنه".

مجدي ويفكر بعمق:

"يهووووت.. محتاج فرصة أفكر".

شوكت يطمعه:

"أري إنك تليق بهذا العمل.. أنا شايفكك فيه".

وينظر للناحية الأخرى حيث يرى القاهرة من فوق ويكرر طلبه:

"زي ما ئلتلك.. حاعيد عايد.. عايزك تختار الناس اللي ملهاش حد.. ومش لائية تاكل.. حتخدرهم وتكون معاك العربية حاتجيبهملي في المكان اللي ئلتلك عليه.. وانا حاخلص عليهم"

صوت إطلاق نار كثيف يأتي من الخارج..

كان هذا عادياً لذا لم يتحرك أي منهم أحد ويحاول النظر من وراء النافذة.. سيتضح كل شيء بعد لحظات ويعلم من الذي أطلق على من..

استغل شوكت هذه الفرصة وقال له:

"من الممكن أن يموتوا في اطلاق نار عشوائي كهذا.. إننا سنرحمهم من العيش الصعب الذي هم فيه".

ثم تابع محركا إصبعه أمام وجهه:

"تذكر كما قلت لك في البداية.. إنك ستساهم في تخفيف آلام الناس"

مجدي يتساءل بعد كل هذه الاشتغالات:

"وانتوا حاتعملوا بيهم إيه بعد كده.. حاتعلجوهم؟".

شوكت بعصبية الأتراك:

"ما يخصكيش.. أنت بكده يبقى عملت اللي عليك.. وتاخذ فلوسك".

ثم تابع ويهمس له بلا مبرر:

"أنا شركائي ناس مهمين.. مهمين جداً".

وليدلل على أهميتهم.. اخرج له رزمتين محترمتين جداً جداً ودفعهم على الطاولة لتستقر أمام عيني مجدي الذي يزدرد لعابه بصوت وشوكت يقول بمط تعلمه من طول فترة وجوده بمصر:

"وآدي العربون.. ثلث إيييييه؟".

مجدي يأخذ الرزم ويزدرد لعابه ثانية.. كان قد صرف الرزمة الأولى تماماً.. لذا لم يستطع

قول المزيد.. وضعهم في جيبه وقال:

"حائول إيه.. عايني.. تحب نبتدي الشغل إمتى؟"

* * *

<u>*قصر النصورية*</u>

الحارس يعيد لوليام الغارق في افكاره:

"لقد وصل الضيف يا سيدي".

أشار له وليام دون كلام بأن يدخله..

ثوان وطرق الباب ليدخل الضيف وحده..

قام وليام ليسلم على القادم عليه.. وابتسامة انجليزية باردة كالثلاجة:

"اهلا سيد أوغل.. تفضل بالجلوس".

جلس أوغل في مقابلة وليام وهو ينظر حوله نظرة بوليسية.

ثوان من الصمت ثم بدأ الحديث قائلاً بوضوح:

"المفترض أن زيارتي هذه سرية ولا يعلم بها أحد"

وليام وهو ينفث دخان الغليون بعمق:

"بالتأكيد.. لن يذكر عنها شيء.. ولا حتى في كتب التاريخ للمرحلة الابتدائية الأوروبية بعد 100 عام".

أوغل يضحك عالياً يؤكد عليه:

"لا في اعداديتنا ولا في ابتدائيتكم".

وليام ويصب قليل من القهوة في كوب:

"أتود شرب شيئاً من القهوة؟".

أوغل كان يشعر بصداع وتوتر لذا قال:

"لا بأس".

وليام بخبث ويصب له في كوب آخر ليتصاعد الدخان من الكوب:

"لكن قهوتنا انجليزية وليست تركية"

مد أوغل يده ليأخذ الكوب ويرد على نفس النغمة:

"المرء يحب التغيير".

وتابع وهو يرشف من الكوب ببطء مدقق النظر لوليام الذي يتفحصه:

"احيانا".

وضع الكوب مكانه لأن القهوة مرة للغاية فالسكر محرم على وليام:

"اعتقد أن لدى كل منا اهداف مشتركة في المرحلة المقبلة فالصينيون يتحركون بمفردهم.. وهجوم المغاربة ينذر بخطر وشيك".

وليام وهو يرشف القهوة ببطء:

"ماذا لديك عما يخطط له الصينيون؟".

كان الأتراك يدركون أن الصينيون يخططون لشيء كبير ولكن لا توجد تفاصيل محددة..

أوغل يوضح:

"لا توجد تفاصيل.. هل توصلتم لشيء محدد؟".

ومد يده ليشرب قليلاً من الماء ليضيع طعم المرارة..

وليام مخرجا له عدة صور ويدفع بها على الطاولة أمام عين أوغل وهو يشرب..

~~ بووووششتتت ~~

أوغل غير مصدق فيقفز الماء من فمه كالمكوجية رغماً عنه.. يكح عدة مرات بصوت عال يستنشق الهواء بقوة كأنه يمسك روحه التي كادت أن تخرج من جسده ويقول بشهيق:

"عذرا.. غير معقول.. أهي صورهم فعلاً؟ أهولاء هم الأطهار؟".

وليام يهز رأسه في هدوء بأن نعم.. هؤلاء هم.. أوغل يتأكد منه غير مصدق:

"وهل تأكدتم من صحة الصور؟".

وليام يهز رأسه ويقول ببطء:

"مصدرنا ثقة بنسبة مائة في المائة".

أوغل يجلس ويتحدث كأنما يحدث نفسه:

"إنها مصيبة.. لو كانوا فعلاً هؤلاء هم أولاد الزنا.. أو الأطهار كما يطلق الصينيون عليهم فوجودهم سيسبب لنا الكثير من التوتر والمشاكل بالإضافة إلى ظهور المغاربة المفاجئ".

ثم التفت إلى وليام وسأله:

"كم عددهم.. أهي صور حديثة.. وأين مكانهم؟".

وليام وهو يرشف المزيد من القهوة لتولع بطنه وقرحته بالألم:

"الصور حديثة لكن المصدر لا يود الإفصاح عن المكان إلا إذا ضمن سلامته فهو يود الاعتزال.. أما عن عددهم فهم قرابة 15000".

فهم أوغل كل شيء وارتاح في جلسته وهو يفكر..

يبدو أن الأوربيين مفلسين ويودون من الأتراك أن يتشاركوا معهم كل شيء..

حتى ثمن المعلومة التي يحضروها.. أوغل يقول بسرعة:

"سندفع نصف الثمن ونتشارك في عملية كبيرة للقضاء عليهم قبل أن يبدؤوا التحرك".

كان هذا ما يريده وليام بالضبط. نفث هواء الغليون من صدره بهدوء

عاد أوغل وكرر عليه بتأكيد:

"إلا أن كل شيء بيننا سيكون سري.. سري تماماً".

* * *

<u>أعماق جبل حوف</u>

~~ مغطاة رأسه برداء أسود قاتم ~~

يسحل على الأرض بلا رحمة....

يمسكه اثنان من ذراعيه ويسحلوه عبر ممر مظلم..

~~ مغطاة رأسه برداء أسود قاتم ~~

يبدو إنه قد تعرض للتعذيب.. فخط سميك من دماءه الحمراء الطازجة يتبعه على الأرض..

تتبعه أقدام قوية تسيرعلى الأرض في ثبات ولا تهتم فتدوس على دمائه غير مكترثة بأنها لوثت حذائها الغالي..

~~ مغطاة رأسه برداء أسود قاتم ~~

يخرجوا به إلى قاعة واسعة تتضح ملامحها الآن.. إنها القاعة في قلب جبل حوف.. وصاحب الحذاء الملوث بالدماء هو باجا نفسه..

كانت القاعة محتشدة بجميع الأطهار.. وسان كذلك..

أوقف الحراس الشخص المغطى الرأس على صليب واحكموا وضع يديه ورجليه في فتحات وربطوها جيداً.. أحدهم يقبض عليه من الخلف

باجا يعتلي الصخرة التي صعد عليها المصور من قبل وصاح بهم:

"جمعتكم الآن.. لنرى هذا الجبان الذي وثقنا فيه".

وتابع ناظراً إلى سان الذي يضغط على أسنانه:

"لقد خاننا وخانكم وخان الإمبراطور".

الأطهار متفاجئون من الخبر وباجا يتابع:

"وجزاء الخيانة عندنا".

صاحوا جميعا في نفس واحد عدا سان:

"القتل".

باجا ينظر لهم شاعراً بالزهو من قوتهم..

أمر برفع الغطاء عن رأس الجاسوس.. قام الحارس الممسك به من الخلف بفعل ذلك..

لتتضح هويته للأطهار..

مصور الإمبراطور الذي اكتشفت خيانته وتعاونه مع الأوربيين..

ينظر مذعوراً يمنة ويسرة ولا يقدر على الحراك..

نزل باجا وسار بين الصفوف الصامتة..

شاب صغير من الأطهار وربما هو أصغرهم يسيل خط من العرق على رأسه لقرب باجا منه..

لمحه باجا.. فاقترب منه وصاح:

"هل أنت خائف؟".

هتف الشاب الصغير الذي لا يتعدى العشرين من عمره:

"كلا يا سيدي".

اخرج باجا خنجر ضخم جداً ورفعه في وجه الشاب وصاح بفحيح:

"اذبحه واسلخ فروة رأسه".

دون تردد يأخذ الشاب الخنجر منه ويسرع الخطى نحو الرجل الـذي شـعر باقترابـه فقـام بالهمهمة بكلمات غير مفهومة..

دو تردد ولا رحمة وقف الشاب وراء الرجل تماماً..

رفع رقبته إلى أعلى والرجل يهمهم عالياً..

وقام بتنفيذ أوامر سيده وهو يصيح:

"من أجل الصين".

ليذبحه كالدجاجة.. تتدفق الدماء الداكنة كالنهر..

لم يتحرك منهم أحد ولم يطرف له رمش..

باجا ينظر لسان الذي يجز على أسنانه..

لقد بات يتحكم فيهم من زيارتين فقط بعد أن تعب على تربيتهم لسنوات

ثم إنه هو من اكتشف الخيانة...

شعر الآن بأن باجا قد أخذ مكانه فعلا..

إنه لم يشر إليه ولم يعطه حتى شرف قتل الخائن..

يداعبه باجا من بعيد بشكل غتت..

حرك إبهامه على رقبته ببطء بمعنى:

"سأذبحك".

وضع سان كفيه أسفل ذقنه وانحنى ويتمتم صوت خفي:

"تحت أمر مولاي".

* * *

<u>شارع الأزهر</u>

اليوم التالي.. ظهراً..

موكب مهيب مخيف..

يد تمسك بقطعة جلد بداخلها خشبة و تدق بها على طبلة بشكل رتيب..

رجل ضخم ذو كرش وصدر كبيرين.. بملامح صينية قاسية والطبلة معلقة برقبته.. عاري الجزع على الرغم من برودة الطقس.. يتقدم طابور من 100 رجل مثله...

ورائهم بخطوات عربة يجرها حصان..

العربة عليها جثة الرجل بلا رأس..

والرأس على ظهر الحصان.. ومربوطة بحبل حتى لا تسقط.

والحرس يحيطون بها من كل جانب..

والناس قد تجمعوا ليشاهدوا ما يحدث..

الشيخ صالح يخرج من المحل والموكب اقترب من الناصية القريبة منه

يشير بيده لداخل المحل وينادي:

"ما تيجي تتفرج يا توفيق؟".

كان هذا هو ثاني يوم عمل لتوفيق في المحل..

محل الشيخ صالح..

كان الشيخ يوظف عنده من أن لآخر شباب عادي لا ينتمي للتنظيم وكان في حواراته المطولة مع راوي المعترض على هذه الفكرة يسوق له الأسباب:

– واحد.. أن في هذا فرصة لضم أعضاء جدد وجوههم غير مألوفة..

– اثنين.. لو ثبت للعصافير التي تراقب أن كل الدائرة المحيطة به مثله وشبهه في السمت

والمظهر فسيكون هذا بمثابة جرس إنذار يدق في ادمغة الصينيين والاوربيين تجاهه..

وراوي كان ينفعل ويرد عليه:

"افرض سمعنا واحنا بنئول حاجة كده ولا كده"..

"افرض اكتشف الباب اللي بيودي ع الجامع"..

"افرض أي حاجة"

وكان الشيخ صالح يضحك عالياً ولا يرد على أفكاره..

ويعلق ورقة يطلب فيها موظفين على باب المحل..

مرت الجثة أمام توفيق والشيخ..

الشيخ صالح يتمتم وهو يستاك:

"جاسوس".

توفيق يتساءل:

"وعرفت منين؟"

الشيخ صالح ببساطة ويشير للرأس على الحصان باستخدام السواك:

"قطعوا دماغه وحطوها ع الحصان".

كان بعض الحرس المرافقين يلصقون ورقة على الحوائط..

لصقوا واحدة قريبة من توفيق.. تجمع الناس ليقرءوها..

ذهب وتدافع معهم.. سمع صوتاً بجانبه لرجل قرأها سريعاً وينصرف:

"ده مصوراتي كان بيشتغل معاهم.. واكتشفوا إنه كان بيتجسس لحساب الأوربيين".

واحد آخر يدعو عليهم:

"يا رب سلطهم على بعض".

توفيق يعود للشيخ الواقف مكانه.. لمح شخصاً واقفاً بجواره يتمتم كأنما يحدث الهواء ولا ينظر إلى الشيخ..

ما أن لمح أن توفيق رآه حتى اختفى سريعاً كشبح وذاب وسط الزحام..

ظهر راوي ونظر له وللشبح وللشيخ قائلاً:

"احنا حانفضل وائفين نتفرج كده.. ورانا أعمال".

توفيق ورأسه في الأرض:

"معلش يا استاذ راوي.. العذر والسماح".

وعاد للمحل لتقع عينه على احدى الجداريات التي تظهر رجل سعيد يشرب كوباً من الشاي وهو جالس على أريكة مريحة سليمة الأرجل وحوله أولاده يتقاذفون الكرة وزوجته تبتسم في حنان..

تنهد توفيق متذكرا سلوى وكريم وحاتم وتمتم:

"كافح".

والشيخ يراقبه ويستاك.. وفي عقله تدور أفكار وأفكار آخري بعيدة

فالرسال الذي جاءه الآن كان يحدد موعد الهجوم على الميناء..

الهجوم الذي لن يكون سهلاً.. لن يكون سهلاً أبدا..

* * *

<u>ميناء إمبابة.. صباحاً</u>

قفاز جلدي بني سميك وكيس بلح صغير وكيس لبن اصفر متعكر..

يدفع الثلاثة عبر فتحة صغيرة بوابة الميناء..

والموظف الصيني دقيق الجسم من الداخل يقول الكلمة الوحيدة التي يعرفها بالعربية:

"آخر اليوم.. هات قفاز.. خذ هوية".

تلتقط يد محمود الثلاثة بسرعة.. فالطابور يتحرك سريعاً وعليه اللحاق بعمله الجديد في الميناء..

كان قد ذهب ودخل بالتصريح الذي دفع فيه آخر ما يملك..

ولحظه كانوا بالفعل يطلبون عمال شحن وتفريغ..

~

بمنتصف الميناء برج المراقبة العالي وهو مختص بمراقبة حركة العمال والسفن.. بداخله يقبع مراقب الرصيف وطاقم كبير للمراقبة..

يراقبون الجميع ويراقبون كل شيء..

~

محمود يجري بسرعة على الرصيف إلى المرسى الذي حدده له مديره الصيني و الذي سيقف فيه ليفرغ الكراتين من السفن إلى عربات اليد

ليأخذها زميل آخر ليوصلها لمكان ما بالميناء لا يعلمه..

الجميع يتحدث عن عملية ذبح الخائن الذي اكتشفه الصينيين..

سمع عاملاً عجوزاً مجاوراً له يهمس لآخر:

"أنا سمعت أن هو كان المصوراتي الخاص بتاع الإمبراطور.. وإن الأوروبيين جندوه وسلطوا عليه بت صاروخ من بولندا وهي اللي خلته يشتغل معاهم.. وكان بيبعتلها الصور والتقارير أول باول على اساس أن هي تبع جماعة السلام".

الحارس الصيني يصرخ بهم:

"يلا.. يلا.. شغل.. شغل".

الرجل العجوز:

"حاضر يا سيدي.. اصبر تلائي وتوصل بدري"

الآخر يهمس دون أن ينظر له:

"متردش عليه يا عَم إبراهيم.. ده ابطش".

عم إبراهيم يتخطى السبعين..

ويعمل مع الصينيين في الميناء من 19 عاما..

محمود ينظر حوله إلى الميناء الكبير..

كان الميناء قد توسع بعد أن هدم الصينيون أجزاء من الحي المجاور وقاموا بتوسعته بعد أن ألغوا مرور السيارات وعربات اليد في المنطقة خلفه..

كان ذلك في 2031 بعد اتفاقية عابدين بعامين عندما استقر الميناء في أيديهم..

قاموا بحفر غاطس كبير عملوا توسعة للمجرى النهري بحيث يستقبل الميناء السفن المتوسطة و الكبيرة..

كذلك زودوه بكشافات الإضاءة تدار بالغاز ليعمل ليل نهار..

كان هذا في العشرينيات عندما كانت السفن الكبيرة ما زالت موجودة..

التجارة عبر العالم الآن تكون إما عبر الطرق البرية أو عبر السفن الصغيرة والمتوسطة ويتم نقل البضاعة من ميناء لميناء حتى تصل إلى وجهتها النهائية

والمتحكم بها هما القطبان.. الصين والاتحاد الأوروبي..

ويناوشهما الأتراك والهنود..

الحارس الصيني يصيح بمحمود الذي سرح قليلاً:

"يلا.. يلا.. شغل وإلا اخصم".

~~ خصم بنسبة 10٪ إذا اكتشف إنك تتهرب أو تكسل عن العمل ~~

نظر محمود له ولم يرد وواصل وضع الكراتين فوق بعضها..

عم إبراهيم يعمل ويتمتم لمحمود:

"كافح.. كافح.. ده طافح مش كافح".

محمود يبتسم له ولا يرد.. وفي ذهنه هدى وقسمات وأنهما بانتظار العشاء الذي سيحضره لهما معه.. لذا رفع الكارتونة الثقيلة جداً وهو يتمتم:

"كافح".

والحارس الصيني يراقب أداءه وأمام رقمه بورق التقييم الذي يحمله في يده و المطبوع مثله على القفاز في يد محمود..

وضع علامة صح كبيرة..

* * *

<u>قصر وليام</u>

"الأخبار صحيحة يا سيدي.. إنه مصور الإمبراطور".

هكذا قال أحد رجال وليام عبر اللاسلكي..

وليام لا يرد ويغلق الاتصال.. فكر بعمق..

أن هذا كفيل بلخبطة أمور كثيرة..

فقد حصل على الأموال من أوغل ووصلها للمصور الجاسوس بالفعل..

ولم يخبره شيئاً عن تحركات الأطهار..

ماذا سيقول لأوغل الآن.. لا ريب أن الأخبار ستصله هو الآخر..

لا شئ يختبئ في القاهرة.. كل ما يحدث بالليل يعرف في النهار التالي..

لا يمكنك أن تكتم سراً واحداً لفترة طويلة..

وضع كفيه بين رأسه وأخذ يفكر.. كيف سيخرج من هذا المآزق..

وبمنتهى القوة..

ضرب سطح المكتب بكفه..

ولكن هل هذا يكفي لحل المشكلة؟

* * *

<u>منطقة دار السلام العشوائية</u>

قرب منتصف الليل..

كانت تتبع حالئين جملة وتفصيلاً..

ولا وجود للأتراك إلا بالقرب من بقايا محطة مترو الأنفاق..

تكتك صامت مطفئ الأنوار يسير في أحد الحواري الجانبية الضيقة..

الحارة ممتدة بلا نهاية.. سار لمسافة طويلة قبل أن يتوقف عند بيت..

نزل ظل أسود من مقعد السائق وفتح الباب الخلفي لينزل ظل أسود آخر.. جاء ظل ثالث من داخل البيت.. يتضح من ضوء بسيط بالشارع إنه نخلة الذي يقول للراكب بكل توقير وإجلال:

"الجماعة وصلوا يا ريس ومستنينك".

* * *

شارع داخلي هادئ

مر به لعدة ليال..

مجدي يستعد لتنفيذ أولى عملياته..

مر به لعدة ليال..

لدراسته كما علمه شوكت وفي نفس الوقت المتأخر..

مر به لعدة ليال..

مرتدياً ملابس عادية كرجل كادح عائد إلى أسرته آخر الليل ومعه حقيبة صغيرة بها العشاء أو الغذاء.

مر به لعدة ليال..

يحمل معه سلاحه الناري المرخص والذي حصل عليه من شوكت.. فتحركاته ستكون كلها في الليل..

رأى فريسته.. رجل في الخمسينيات تقريباً.. يعمل على عربة تجر باليد

هادئ الطباع ويفضل العمل ليلاً..

الرجل مسلح بسنجة طويلة وقد أظهرها.. حيث مسموح بحمل السنج والمطاوي لمن يعمل في الشارع بعد منتصف الليل..

"تاخدني عند مركز الشباب باربعين".

لا يحب الرجل الذهاب لهذه المنطقة لأنها مهدمة وغير مأهولة بالسكان

وقد حدثت عمليات خطف وقتل هناك.. ولا أحد من زملائه يذهب هناك

ولكن الرقم مغرياً يفوق العادي بعشرة جنيه كاملة..

نفض الرجل كل الأفكار السيئة ونفض معها مكان جلوس الرجل بالفوطة البنية التي كانت صفراء عند شرائها وتمتم بصوت خفيض:

"اتفضل.. بس يا ريت ما نغوطش جوه مشان..".

قاطعه صوت ضخم من خلفه:

"خليك يا عم حلمي وأروح أنا المشوار ده".

التفت مجدي لتصطدم عيناه بصدر إنسان..

حائط بشري يناهز المترين ارتفاعا والمترعرضاً.. ويمسك بيده عربته الضخمة التي كان يجرها حمار في السابق..

الناس تطلق عليها ميكروبات..

ينظر لمجدي بتشكك وريبة..

يبدو إنه من جدعان الحتة النوادر في هذا الزمان..

أعادها لعم حلمي ثانية:

"خليك يا عم حلمي وحاروح ولما ارجع حانولك الأجرة".

وأشار لمجدي بالركوب خلفه قبل أن يرد حلمي:

"اتفضل هنا يا صاحب".

* * *

داخل المنزل التابع لحالثين بدار السلام

"مين فيهم الألفا؟".

هكذا همس الريس لنخلة وقد دخل عليهم الإمام الهادي ويعلى بعد أن فرغوا من صلاتهم ليجلسوا جميعا حول مائدة صغيرة في البيت..

نخلة يهمس في أذنه:

"أبو عباية خضرا يا ريس".

الريس مدققاً في الإمام ويردد بصوت:

"إممم.. شكله فعلاً الفا".

ثم وجه كلامه للإمام:

"كيف أنت يا حج.. منور بلدنا".

الإمام يبتسم كالثعلب ويقول:

"يا كبرك.. منورة بأهلها.. خوش آمديد".

الريس مباشرة دون مناورات وقد فهم الكلمة غلط:

"حاخوش طبعاً في الموضوع طوالي.. ثالوا لي أن في مصلحة مشتركة بينا وانت طالبني فيها".

يعلى والإمام يتبادلان النظر ليرد الإمام:

"الأول تفضل هديتي البسيطة لك".

واخرج علبة خشبية أنيقة مليئة بالنقوش والاحجار الكريمة وناولها له..

مد الريس يده وفتح العلبة ببطء..

وجد ورق قزاز من اللي قلبه بيحبه.. عرف المحتوى دون أن يكمل..

شق السلوفانة بظفره الطويل في خنصره وهو يرنو الإمام من طرف خفي..

التقط الريس قليل من المحتوى البني المكلكع ووضعه على انفه واستنشق بعمق.. ثم قضم منه قضمة صغيرة..

نظر للإمام الذي يبتسم له وقال:

"يووووم.. حتة مغربي اكسرا.. عيد ميلاد سعيد.. الله عليك".

ثم أغلق الصندوق:

"مقبولة منك.. مطلوب إيه مقابل الفاخر اللي أنت جايبه ده؟".

الإمام يفرد ذراعه بالسلام ويقول بشكل مسرحي:

"مطلوب أن نتحد سويا.حالئين و المغاربة سوياً ضد قوى الكفر والضلال"

الريس ينظر لنخلة ويسأل الإمام ويعلى ويسأل:

"ضد مين يعني مش فاهم؟ الكفر والضلال مين بالضبط. الهلال والنجمة".

نخلة المتنور يشرح له بهمس:

"يا ريس.. الراجل مقصوده ضد التراكوة والصينيين".

الإمام يكمل ويشير له:

"والأوربيين.. سوسك".

الريس بنرفزة ناظراً ليعلى الصامت طبعاً في حضرة الإمام:

"يحرئ ابوهم جرش.. مش كده ولا إيه.. أنت اخرس يا صاحب ولا حاجة؟ مين سوسك ده".

ثم ينظر للأمام ويسأله:

"بس نتعاون كيف يعني.. عايز رجالة ولا متوى.. نخلة فهمني انكوا من بعيد وعايزين تضربوا مصالح لهم هنا".

يعلى ينطق أخيرا ويوجه كلامه للريس:

"دعمكم حايكون لوجستي".

الريس يتضايق جداً وفهم كلامه غلط جداً ويرد عليه مباشرة:

"إحنا مالناش في الوساخة لامواخذا.. مابنسرحش نسوانا بره"

ثم التفت إلى نخلة ونهره:

"ما تئول حاجة يا طاسة.. أنت جايبني هنا فيونكا.. حانئريل"

نخلة محرج من جهله ويوشوش له ببضع كلمات في أذنه ليشرح له معنى كلمة لوجستي..

الريس يتمتم له بصوت مسموع وقد فهم منه:

"فهمت.. فهمت.. طب ما يئول كده.. شكله بيسحب فيها بالجامد".

ثم يقول ليعلى والإمام:

"معلش يا صاحب.. معلش يا ألفا.. فهمت مئصودكو.. خلاص رجالتكم حايختفوا عندنا.. حاصرف لكم كام بيت في الحتت اللي انتوا عايزنها.. وتستخدموا الأنفاق بتاعتنا مجاني لو عايزين".

و تابع للإمام بعد أن تذكر شيئاً هاماً:

"بس دير بالك؟".

الإمام بقلق:

"من ماذا؟".

الريس ويفك أزرار قميصه ويقول:

"اوعى تفتكر اني مشان مابعرفش اتكلم زيكوا.. ابئى مابفهمش"..

وكشف عن صدره وجذعه لتتسع عينا يعلى غير مصدق..

كان صدر الريس مقطع تماماً ويبدو أن عمليات سريعة عشوائية قد أجريت لـه.. ويبـدو أن الجراح كان مبتدئاً.. أو كان خريج زراعة..

الريس يوضح لهم:

"الجتة دي ما اتئطعتش بلاش.. دي ائطعت مشان تفهم كل حاجة ف الدنيا.. كل جرح من دول بمية شهادة من بتاعتكوا".

الإمام لا يفهم ويحاول التخمين:

"ماذا تقصد؟ أنا لا افهم بالطب".

الريس يرد وينظر إليهما وهو ينزل القميص:

"المئصود أن ناسك حاتترائب.. ولو شميت أي حركة غدر منكوا".

يقصد الامام بعينين قويتين لم يتصور الإمام إنه يملكهما:

"حايكونوا عند رجليك حتت".

الإمام بهدوء وقد فهم وهو يصافحه:

"اطمئن.. احنا ما نغدر".

لحظات بقت فيها يدا الرجلان ملتصقتين كأنما يقيسان قوة بعضهما

الريس بعين قوية لا تعرف الضعف:

"حانشوف بعنين"

ويتابع ويغلق أزرار القميص ثانية:

"بس ليه طلب عندك؟".

الإمام الهادي ينظر ولا يتكلم..

الريس ممسكاً بعلبة الأفيون المثلثة:

"ابئى افتكرني بكام شوال.. اصل العيد داخل".

* * *

عند أطراف الاطلال

السائق الضخم يوقف العربة عند مركز الشباب.. حيث البيوت مهدمة بعد ذلك والظلام يشتد.. و لا آثر لحياة..

مجدي ويشير له حيث المنطقة بالداخل المظلمة:

"أنا ساكن جوة غويط".

السائق بوضوح:

"احنا ما بنغوط جوة أكتر من كده.. انزل اتمشى".

مجدي ويمسك قدمه ويمثل باقناع:

"أنا رجلي واجعاني.. وبعدين أنا متفئ مع عم حلمي على أربعين كدا حادفع خمسة وعشرين".

السائق مشوحاً بيد قوية كالمدفع باتجاه الحقيبة المسك بها مجدي:

"يوووووتء.. خلاص.. حاغوطك بس الشنطة فيها إيه؟".

مجدي ببراءة الأطفال:

"حايكون فيها إيه يعني.. ساطور.. عشايا أنا والعيال".

السائق بتشكك وحذر وقلب طيب:

"حادخلك.. بس ما نغوطتش؟".

مجدي مشيرً له للأمام القريب:

"لا.. ده أنا هنا ع الطرف.. مشان رجلي واجعاني بس".

السائق يرفع العربة من على الأرض ويتحرك بها بسرعة جداً.. ومجدي يوجهه وهما يتحركان وسط الخرابة:

"على طول.. شمال.. على طول.. يمين... ايوة.. أول شمال"

المكان مظلم جداً إلا من بعض الاضاءات المتناثرة لبعض الشقق التي لم يغادرها أصحابها أو التي استولت عليها مجموعات حالثين وسكنتها..

لم تعد دار السلام.. دار سلام.. لذا صار اسمها الدارج *دار اللئام*..

أشار له مجدي بالتوقف على جانب:

"اربط.. على جنب هنا"

نزل وهو ينظر حوله يمنة ويسرة في خبث.. أراح السائق يده في انتظار النقود

مد مجدي يده في جيبه واخرج نقود وأعطاها للسائق.. أخذها ونظر فيها قائلاً:

"دول تلاتين بس يا صاحب".

مجدي يفتح سوستة الحقيبة التي بيده ببطء قائلاً وهو يقترب من الشاب لمسافة قريبة جداً:

"والله.. معلش أصل مش شايف في الضلمة.. بتاخد فيزا".

واخرج ساطور ضخم من الحقيبة في لحظات..

ورفعه لأعلى مسافة ممكنة..

قبل أن ينهال على السائق الذي فوجئ تماماً..

صوت رجل يظهر من الظلام فجأة بجواره و يصيح:

"بتعمل إيه يا خبو؟".

ولم يرد مجدي ولم يفتح فمه.. وجفل للحظات..

نغزة بمطواة من شبح في ظهر كفه تسقط الساطور من يده..

ضربة شومة من شبح آخر على ركبته اليمنى تماماً من الخلف تسقطه أرضاً وهو يصرخ ممسكاً كفه المصابة بركبته المصابة..

السائق الضخم تشل حركته من ثلاثة وهو لا يدري بعد ماذا يحدث..

صوت من الظلام يبدو قائد المجموعة الذي لا يضرب:

"اسحبوهم على جوه.. مش عايزين ئلئ".

* * *

<u>شقة حالئين</u>

يعلى يختم الحوار من جانبهم:

"اعتقد إننا بذلك قد غطينا كافة النقاط".

الريس يرد بعد أن بات يفهم لغة يعلى قليلا:

"آه.. كدا اتبرشمت.. واتئفل عليها".

الأمام ينظر ليعلى ليترجم له.. الذي قال له:

"تمام.. ننصرف الآن حتى لا نتآخر".

الريس يهذر معهم كأنهم عفاريت ويحرك يديه..

العلبة مفتوحة امامه ويبدو إنه جرب حتة أفيون كبيرة :

"انصرفوا.. انصرفوا".

يدخل عليهم شاب من حالئين بذراع واحد ويقول بسرعة وهو يلهث ملوحاً بيده الموجودة:

"يا ريس.. مسكنا اتنين ملمسين".

الريس يحب أن يستعرض عضلاته فيأمره بصوت عال:

"يحضروا حالاً".

يشير الشاب بيده للخارج ليدفع مجدي والشاب الضخم إلى داخل الغرفة بعنف.. الاثنان مربوطين بسلاسل من حديد.. حول الصدر والاقدام..

وحول رأسيهما خرق سوداء ملفوفة بحبل..

يد مجدي تنزف ويحجل..

بينما السائق الضخم يرتجف..

الشاب أبو زراع واحد ويشير إلى مجدي:

"كان مسنن حامي يا ريس".

واخرج الساطور الضخم ووضعه على الطاولة..

الريس وينظر إلى مجدي:

"عايز تتلفوا ليه يا خواتي؟".

مجدي يشعر بقلق على الرغم إنه لا يعرف بعد أن محدثه هو الريس:

"اختلفنا على الأجرة".

الريس ويصفق بيده:

"تقوم تتلفوا يا كوتة".

ثم يصفق بيديه مرة آخرى:

"ده زمان إيه ده يا معشر".

ويلتفت إلى الإمام ويحدثه باسم مختلف عن اسمه للتمويه ويغمز:

"ينفع كده يا حج مخيمر".

ثم يلتفت إلى يعلى ويختار له اسم مناسب:

"ينفع كده يا أبو الهول".

الإمام ينظر له متعجباً من الأسماء التي يناديهم بها ولا يفهم طريقته..

قام الريس وتوجه للشاب الضخم وتفرس في ملامحه لينزع الخرقة من على عينه ويقول:

"أنت بتشيل منين يا سوستة؟".

الشاب متذمر لنعته بالسوستة ويغمض عينيه ولكنه يرد:

"من بره على ناصية عم حلمي".

كانت النواصي مسماة عند طائفة الحمالين باسم اكبر وأقدم حمال فيها..

الريس ينزع الخرقة من على وجه مجدي ويسأله ثانية:

"عايز تتلف الغلبان ده ليه يا خواتي؟"

مجدي لا يرد..

الريس يمسك بالساطور ويرفع قرب وجهه ويسأل الأمام دون أن يلتفت:

"أنت شفت الدبح البلدي قبل كده يا حج مخيمر؟".

الإمام يعدل وضع العباءة على كتفه ولا يرد ولا يتحرك كأن الأمر لا يعنيه..

الريس يسأل مجدي:

"أنت مين اللي شاريك يا خوتة؟".

يقصد إنه يعمل لحساب من..

مجدي بخوف من لمعان الساطور الذي ظل يسن فيه نصف يوم:

"محدش".

الريس يسأل الشاب:

"أنت من رجالة عم حلمي.. سليم؟".

الشاب شاعراً بأنه نجا.. لأن عم حلمي غلبان ومعروف..

يهز رأسه ويبلع ريقه في توتر..

الريس يضع الساطور جانباً و يمسك الشاب من كتفه العالية — أعلى من مستوى رأسه هو:

"أنت ناعم ئوي يا صاحب".

الشاب الضخم ينظر له بخوف و يهز رأسه مستحسناً رأيه..

الريس واضعاً يده خلف ظهره..

نخلة والإمام ويعلى ينظرون بترقب وقلق وقد شاهدوا يده

مجدي والشاب لا يعلمون ماذا سيحدث..

الريس دافعا يده للأمام في اعماق جسد الشاب الضخم.. الشاب الذي يشهق بقوة وعمق..

يمد يده بصعوبة على ملابسه في صرته تماماً كأنما يكتم خروج شيئاً ما

نافورة دماء داكنة تندفع عبر معدته كأنها ماسورة ثقبت..

الريس يرفع مطواة دائرية غريبة الشكل وملوثة بالدماء ويقول:

"وأنا مابحبش الناعمين اللي بياكلوا كسكسي بسكر صباحي".

الشاب يركع على ركبه وممسك ببطنه وقميصهِ وسرواله ابتلا تماماً بالدماء..

الريس يتقدم ويقف خلفه تماماً..

بمنتهى القسوة يمسك بشعره ليرفع رأسه لأعلى ويقول للشاب:

"ابئى ئولهم فوق.. أن الريس تلفني.. خليهم يكتبوك على حسابي"

و يدفع سن المطواة الدائري في حنجرة الشاب تماماً..

الدماء تندفع كالنافورة مع حشرجة أخيرة من حلق الشاب لتخرج روحه معها وهو ينظر للريس بتعجب..

الإمام ويعلى يديران وجههما في امتعاض.. والإمام يتمتم بكلمات بلا صوت..

مجدي ينظر لجثة الشاب وهو غير مصدق..

لقد قتله ببساطة وهو المجني عليه..

فماذا سيفعل لو لم يخبره الحقيقة..

لقد لعب معه الريس لعبة نفسية لا فكاك منها..

الريس يقترب منه ويلاصق انفه بأنفه ويهمس:

"حاتئول مين اللي بيهشكك على رجله ولا تحب تتكتب على حسابي؟".

مجدي يرد بلا تفكير والذعر يملأ وجهه وهو ينظر للدماء:

"حائول.. حائول على كل حاجة".

* * *

تزامن ~ ترابط

خيمة توفيق ~ كوخ محمود

هدى تسأل محمود وهي تدعك له أكتافه وهو جالس في السرير:

"أخبار الينا إيه؟".

~

توفيق يرد على سلوى ويقبل يدها ويريح رأسه للخلف ويغمض عينيه:

"تمام.. الشيخ مبسوط مني.. أنا استريحتله ئوي مش عارف ليه".

~~

هدى تواصل الدعك وتسأله بعد أن اطمأنت على عمله:

"احضر لك العشا؟"

~~

توفيق يرد مغمض العينين:

"الله يخليك.. اكلت لئمة العصرية مع الشيخ".

~~

~~ دقائق ~~

~~

الأربعة يغطون في نوم عميق

* * *

<u>*أعماق جبل حوف بحلوان*</u>

صوت قوي يهتف بالصينية:

"استعدوا"

يد قوية ذات عضلات مشدودة تمتد لترفع مخلة من على الأرض بقوة ونشاط.. وجه قاس لأحد جنود الأطهار يضع المخلة على كتفه..

الصوت يهدر بالصينية:

"تحركوا".

يتحرك صاحب الوجه القاس.. يتحرك بجانبه وحوله ألوف الأطهار كأنهم آلة وليسوا بشر..

الخطوة انتظام.. أجسادهم ممشوقة.. تقسيمة العضلات واضحة أسفل التي شيرت الأبيض..

صاحب الصوت الذي يهتف سعيد بمستوى جنوده..

لقد رقي فجأة ليجد نفسه مسئولاً عن تجهيز الأطهار استعداد لنقلهم وإخلاء المكان على وجه السرعة..

يبتسم لهم بهدوء مليء بالزهو داخلي.. نشوة السلطة والقوة..

خصوصاً إذا جاءت فجأة وبلا تدبير.. وبلا ماضي واسع..

لا أحد من الأطهار يضحك.. لا أحد يتحرك بميوعة..

هدفهم نصب أعينهم واضح.. شيء واحد فقط..

الانتقام.. من الأعداء..

كل الأعداء..

* * *

أطراف دار السلام

"واحدة واحدة يا نخلة.. البواسير خارما نافوخي".

هكذا قال الريس لنخلة الذي يقود التوك توك وهو جالس في المقعد الخلفي.. كانت الحفر في الأرض تؤدي عملها في مؤخرة الريس..

كانا قد انهيا المباحثات مع الإمام ويعلى الذين انصرفوا لينصرف بعدهم بقليل الريس ونخلة في تك تك وباقي المجموعة ومجدي في تك تك أمامهم بمسافة..

وقد أخذ الريس مجدي معه وقال له بعد أن حكى له مجدي كل شيء عن علاقته بشوكت وما الذي كان سيفعله بالشاب:

"أنت تيجي معايا مشان نحكي سوا ف الكلام يا صاحب.. وتحكيلي تاني الحتوتة على روائا".

الموكب الصغير يشق الصمت في حواري دار السلام الداخلية..

يصل بالقرب من أطلال محطة مترو الأنفاق المهدمة..

نخلة بتعجب:

"هما هدوا السرعة ليه؟".

كان التك تك الأول قد هدئ من سرعته على نحو مفاجئ..

يضئ فجأة الكشافات الحمراء الخلفية الذعريبدو على وجه نخلة ويهتف بالريس:

"هجوم يا ريس.. التراكوة...".

وقبل أن يكمل.. صوت طلقات نارية على سيارتهم والسيارة الأخرى..

أربعة شعلات فسفورية أضاءت المكان وحولته إلى نهار مشمس..

الأتراك يظهرون من الكمين ويحاصروا السيارة الأولى..

طلقة في سقف السيارة الجلدي مرت فوق رأس الريس تماماً الذي يهتف:

"موحوووو.. يا ولاد المستخبي".

ويهتف بنخلة وينظر للخلف:

"راجع.. راجع بسرعة يا خبو أمك".

يرجع نخلة لامحاً العربة الأمامية وقد استسلمت..

الأتراك يجرون السائق على الأرض وقد مات.. ويخرجون مجدي ممسك بقدمه.. يبدو إنه

أصيب بطلق ناري..

سيل من الطلقات على عجل تك تك الريس..

أرغم نخلة على الاستسلام ورفع يديه في الهواء ويهتف:

"خلاص.. خلاص.."

كذلك الريس الذي شل من التفكير ولا يدري كيف سيتصرف..

ضرب النار يتوقف فجأة.. فكلمة استسلام معروفة لدى الأتراك..

جندي تركي ملثم يقترب من التك تك ويفتح الباب ويأمر الريس وماسورة المدفع في وجهيهما بكلمات عرفها من البيئة المحيطة من كلام النساء بالمنطقة وهي تتشاجر في السوق كل يوم:

"انزلي يا وسخة يا بنت اللول".

٭ ٭ ٭

مكتب باجا

"كيف قمت بنقل القوات دون علمي؟".

هكذا سأل سان باجا وهو يدخل غرفة مكتبه دون استئذان..

باجا يرد باستهجان وهو يرشف الشاي الصيني ببطء:

"علمك".

ونظر في فنجان الشاي فجأة وقد سمع منه صوت طنين ليتابع:

"ما علم مثلك لعلمي إلا مثل".

اخرج بعوضة ترفرف بجناح واحد وتابع:

"إلا مثل علم هذه البعوضة.. لعلمي".

وابتلعها في تلذذ.. لم يهتز سان بل قال له وهو يشير لرقبته بالذبح:

"سأذبحه.. واجتز عنقه.. الليلة".

كان يقصد من عينه باجا مكانه وآمره بقيادة القوات للمقر السري الجديد...وانصرف وأغلق الباب بقوة..

باجا يبتسم ببرود ممزوج بشيء من القلق يتسأل بينه وبين نفسه:

"هل سيفعلها سان فعلاً؟".

* * *

نقطة تفتيش تركية.. دار السلام

~~ الضابط يهش زنان ~~

الضابط التركي يتحرك وهو يفكر في غرفته الصغيرة بنقطة التفتيش جيئة وذهابا.. الغرفة الحارة القبلية المليئة بالحشرات الليلية القارصة..

ينظر إلى الصف الواقف أمامه..

الريس يمثل البله.. ممسك بعلبة الأفيون ويهدهدها كأنه يحمل رضيع..

نخلة يسلك أذنه بإصبعه ويخرج ما بها فيها ويضع إصبعه في فمه..

الثلاثة آخرين هم باقي المجموعة يتظاهرون بالعمى ومغمضي العيون

مجدي يترقب وهو يفكر ويحجل على قدم واحدة ويحمد الله أن الطلقة طاشت محتكة بقدمه فقط..

ضابط آخر و ثلاث عساكر يصوبون مدافعهم طوال الوقت..

~~ الضابط يهش زنان ~~

يروح جيئة وذهاباً.. يتحدث بصوت عال ويوجه الكلام لأحد الجنود:

"حووو.. وين المبيد الحشري اللي طلبته"

ثم عاد إلى المجموعة الواقفة أمامه:

"كلكم مفيش بطاقة.. كيف؟".

مجدي يضع يده في جيبه ويخرج بطاقة وقد اطمئن إنه تركي:

"بركتك.. أنا معايا.. اروح".

الضابط يأخذ البطاقة وينظر فيها ويمعن النظر إليه..

ويسأله بدهاء:

~~ الضابط يهش زنان ~~

"أنت معاهم".

مجدي يهم بقول لا.. يراجع نفسه وينظر إلى الريس..

فهم بلمحة إنه سيقتل لو أجاب بلا..

لذا أجاب وهو يزدرد لعابه ورأسه في الأرض:

"بركتك.. أنا معاهم".

الضابط يسألهم وينظر للعميان ويبدو الآن إنه جديد في الخدمة:

"انتوا تبع مين؟"

ينظر الجميع إلى بعضهم غير مصدقين.. العميان فتحوا.. يبدو أن الضابط لم يتعرف عليهم.. كانت صور الريس ونخلة غير معروفة للجميع..

صوت أذان الفجر من عدة مساجد مجاورة يمتزج مع الصمت المخيم..

~~

مؤذن شاب.. سلاحه الآلي معلق برقبته ومدلى بجنبه.. ضم كفيه إلى فمه ويؤذن من فوق منزل ليس ببعيد عن النقطة..

~~

الضابط يسأل ثانية وهو ينظر للساعة على الحائط. لقد تأخر زميله الذي سيستلم منه النوباتجية:

"انتوا ليه بالليل في شارع؟"

الريس يجيبه بأي هبل:

"يا باشا احنا كنا في طهور ابن واحد مانعرفوش".

الضابط يستفهم من أحد الجنود بالتركية:

~~ الضابط يهش زنان ~~

"طهور؟".

الجندي الذي أوقف تك تك الريس يجيبه بالتركية:

"طهور يعني قطع الزائد من عضو الولد الصغير".

ويلتفت إلى الريس ويتأكد منه بالطريقة الشعبية:

"مش كده يا كوكو؟"

الضابط يتفهم ويتحرك باتجاه الريس الممسك بالصندوق الخشبي ويسأله:

"وما هذا الذي في الصندوق؟ عضو الولد الصغير".

وانفجر في الضحك ليتبعه باقي الضباط والجنود..

الريس ينظر له ولهم و يجيبه وممسك بالصندوق بقوة:

"ده بخور سعادتك.. كنا بنبخر الواد من الحسد".

الضابط يأخذ منه الصندوق ويفتحه ويفض الورق الملون ليذوق قليل من الأفيون على طرف لسانه ليهتف:

"افيون".

ثم يهتف ويشير لهم بإصبعه بعصبية الأتراك ولم يعرف بعد حقيقة الصيد الثمين الواقف أمامه:

"أنتم تجار مخدرات".

~~~ الضابط يهش زنان ~~~

الريس يلحق نفسه ويقول له:

"يا باشا ده بس مزاج لزوم النعدة.. لو ليك فيه نصصه".

قبل أن يجيبه الضابط..

يطرق الباب طارق ويدخل الضابط الآخر بشكل مفاجئ ويقول:

"عفواً.. لقد تأخرت عليك يا صديقـ..".

ولم يكمل الجملة..

إنه الضابط النوبتجي الذي يلي هذا الضابط الجديد..

لقد عمل في المنطقة لثلاث سنوات..

ويعرف كل الأسماء ويحفظ كل الوجوه ويحلم بهذا اليوم منذ أن وصل فهو يحلم بترقية تنقله إلى مكتب هاكان أو أوغل..

ما أن نظر إلى وجه الريس حتى قال:
~~~

"يكبر أكبر.. يكبر أكبر.. إنه الريس.. زعيم حالئين"

وأخرج مسدسه وصوبه إلى رأس الريس.

~~

الشاب المؤذن جالس على ركبه بالسطوح ويختفي عن الأنظار قدر المستطاع

ينظر باتجاه النقطة باستخدام نظارة معظمة..

يخفض النظارة ويرفع اللاسلكي إلى فمه ليبلغ بهمس عبر دائرة خاصة غير مخترقة:

"تأكيد.. الأتراك مسكوا ريس حالئين.. صحوا الشيخ".

* * *

مكتب شوكت

الثامنة صباحاً.. الجميع متسمر أمام شاشات التلفاز..

كان وقت البث مخصص للأتراك لذا حرصوا ولأول مرة منذ فترة على البث مباشرة.. وكتب في أسفل الشاشة الصغيرة مقاس 14 بوصة..

تأكيد: اعتقال الريس زعيم حالئين ومجموعة من كبار مساعديه في دار السلام

شوكت في مكتبه يتابع بعين مرهقة فقد أيقظه أوغل فجراً بعد نومه بساعة..

اللقطات تعرض الريس ونخلة ومجدي وباقي المجموعة مكبلين بأصفاد متينة..

أوغل يقف أمامهم في زهو ويحدث المذيع بحماس وفشر:

"كانت تحركاتهم كلها مراقبة منذ أيام و..".

لم يستمع شوكت إلى باقي الكلام بل قام فور رؤيته وألصق وجهه بالشاشة ليتأكد من شخصية مجدي و يتمتم بعين مورمة:

"أنت مع مين بالضبط يا مجدي؟".

~~

توفيق يقول لسلوى بحماس وهو ينظر في التلفاز:

"أنا اعرف الراجل ده".

سلوى تسأله وهي تشير لبائع اللبن القادم عليهم من بعيد دون أن تنظر للتلفاز:

"أنهي واحد؟".

توفيق مشيراً للشاشة:

"الجتة ده.. اسمه مجدي.. اتعرفت عليه من فترة قصيرة.. غريبة إنه يطلع تبع حالئين.. مكنش باين عليه خالص".

سلوى ترد وهي تحدث بائع الحليب الذي ازدحمت عليه النساء والأطفال:

"والله.. ايوة اديني أنا بئه.. ربع لبن.. معاك عشرين".

توفيق يشاهد التلفاز ويفكر في مجدي.. بينما سلوى ترد على البائع:

"خلاص حتلي اربع ليمونات باقي".

كانت الجنيهات شحيحة وجميع الباعة يعطون ليمون أو أرغفة خبز كباقي..

تلتفت إلى توفيق الذي يتابع بكل شغف:

"طبعاً كأنك ماتعرفوش".

التفت إليها توفيق وابتسم لأنها خائفة عليه.. وعاد متابعة البث..

~~

قسمات تهز أباها محمود من رقبته:

"بابا.. بابا..".

دون أن يفتح عينيه يرد:

"ايوه".

قسمات وتشير للخلف بمعنى التلفازوتتحدث بتقطيع:

"بيئولوا.. الأتراك مسكوا.. الريس بتاع... حاليين".

محمود ينهض سريعا من السرير لتفتح هدى عينيها وهو ويهتف:

"إيه".

~~

وليام ينظر للتلفاز بعين محمرة ويتابع الأحداث.. جون جالس على الكرسي أمامه.. كلاهما يرتدي الروب وقد اوقظا للتو:

".. وقد أمهل باقي قادة حالئين فرصة 12 ساعة للاستسلام وتسليم المال الذي تملكه والسلاح والإفصاح عن موقع الأنفاق التابعة لها في أنحاء القاهرة وإلا اعدم الريس والمجموعة التي تم القبض عليها"

جون بحماس دون أن ينظر لأبيه ويتابع اللقطات بحماس:

"سيصنع هذا النصر فرقاً كبيراً للأتراك".

وليام بغموض هو يفكر بعمق ورأسه بين كفيه:

"هذا إن تم".

~~

يعلى للإمام وهو ينظر للتلفاز بشقتهم بإمبابة:

"ماذا سنفعل يا إمام؟"

الإمام ويشير للتلفاز ويقول برويته المعهودة:

"سننظر كيف يصبرون.. هل سيردون ويخلصونه من أيديهم؟ أم يقتل رئيسهم وينتهي أمر جماعتهم".

وتابع ناظراً لباقي المجموعة وهم جلوس على الأرض يتابعون:

"وفي كلتا الحالتين.. النصر لنا".

~~

باجا عينه على التلفاز ويحدث نفسه:

"الأتراك سيزدادون قوة بهذا النصر ولكن.. كيف سترد حالئين؟".

وابتلع كأس التان المر..

على دفعة واحدة..

* * *

مقهى العتبة.. صباحاً..

محمود وتوفيق جالسان على المقهى الذي اعتادا الجلوس عليه في الصباح قبل الذهاب للعمل..

الموسيقى التركية في كل مكان من حولهما.. ♫

الموسيقى بصوت عال كأنه يوم الاحتفال بموقعة أشداء..

الجنود يسيرون في الشارع حاملين قرب مشروب الكورار الضخمة..

يدعون المصريين للاحتفال معهم.. جندي منهم يصيح بصوت عال:

"اللي يشرب ما يشرب تاني"

الأطفال يقبلون عليهم حاملين الأكواب والكيزان..

يضحكون ويمرحون.. والأهالي تراقب من بعيد خشية المكروه..

يصب الجنود لهم مشروب الكورار التركي دون حساب..

جو من المرح كأن كل الأغراب رحلوا.. بالونات ضخمة ترتفع في السماء.. أعدها الجنود بسرعة رداً على ما فعله المغاربة منذ أيام

مكتوب عليها بالتركية:

باي باي ريس.. باي باي حالئين

وصورة الريس ضخمة وهو مكبل مدلاة أسفل البالونة يراها ضعيف النظر.. محمود وتوفيق يحتسيان الشاي..

يشعران بالذل لكونه مصري حتى ولو كان مجرم في نظر البعض.. محمود متعجب:

"دول ئلبوها مولد".

توفيق متعجب أكثر:

"مين كان يصدئ أن مجدي يبئى منهم".

القهوجي اللذيذ يقول لهما وهو يأخذ الكوبين:

"أنا سمعت أن حتى فرداني بطل العمليات تلات أيام"

توفيق يبتسم ويفسر القرار اللئيم:

"عايز عصابته تحل محل حالئين".

محمود نافياً إمكانية حدوث ذلك:

"لايمكن.. ده ئتال ئتلة وسيرته معروفة".

توفيق يتساءل وهو يرمي بالعشرين جنيه المعدنية على الطاولة لترن:

"السؤال اللي بيفرض نفسه.. حالئين حاتئدر ترد؟".

* * *

الدويئة

النايب محروس محدثاً جميع من حوله في مقر القيادة السري..

نظر للجمع المكون من ستة أفراد بوجهه المحروق وقال:

"حانئدر نرد.. في خطة كان حاتطها الريس بنفسه.. وجه وقت تنفيذها دلوئتي".

دخل شاب رفيع جدا وقال له بصوت مبحوح:

"العربية جاهزة يا ريس محروس".

أعجب محروس باللقب ولكن خوفه من الريس طغى على ذلك لذا قال:

"حلاوة يا حلاوة".

ورفع اللاسلكي وقال عبره:

"إيه الأخبار؟".

~~~

شاب يبدو جالساً في مكان ضيق جداً يهمس باللاسلكي:

"مية مية يا ريس محروس.. أنا جاهز".

~~~

محروس يؤكد عليه لأن نجاح العملية قائم على ما سيفعله:

"لما اديلك اشارة ولع الخشب اللي فوق السطوح كله.. عايز دخنة أمك العميا تشوفها"

وأغمض عينيه ورفع قطعة قماش خضراء وقبلها قائلاً:

"على بركتوا.. خليك معانا يا عم سعيد".

* * *

الحمام الشعبي بالقلعة

باجا مسترخ في المياه الساخنة وفقاقيع الهواء تؤدي عملها من تحتـه جـسده مرهـق بـشكل كبير..

أغمض عينيه وهو يستمع لصوت المياه الملتهبة وهي تـرتطم بجـسده وهـو يفكـر في المرحلـة القادمة

~ الصراع سيحتدم مع الأتراك.. وكيف إنهم سيقوون بلا شـك بعـد هـذه الـضربة الـتي وجهوها إلى حالئين..

~ والأوربيون هادئون ولا يبدو إنهم يكترثون بما يحدث..

دخل عليه أحد الحراس بخطوات غير مسموعة..

بعينيه المغمضتين سأله باجا:

"ماذا تريد؟".

الحارس لا يستطيع منع نفسه من الارتجـاف رغـم سـنوات خدمتـه الخمـس معـه ويقـول بصوت مرتعش:

"سيدي.. السيد سان يريد مقابلتك".

باجا مستغرب ويسأل نفسه لا الحارس:

"ما الذي جاء به إلى هنا؟".

أشار له دون كلام أن يدخله.. دخل سان وهو يبتسم بثقة..

باجا بارد ويتحرك داخل المياه من مكان لآخر طلباً للمـاء الأكثـر حـرارة وينظـر لـسان دون كلام..

سان يجلس على أطراف أصابعه في وضع قرفصاء مرن ويقول:

"جئت للتمتع برؤيتك وأنت في الماء الساخن".

باجا يغمض عينيه لأن الماء ملتهب بدرجة طهي الطعام ويقول:

"فقط؟".

سان وهو في نفس الوضعية دون أن يتحرك:

"فقط؟".

ثوان من الصمت يسبح كل منهما في أفكار الآخر دون جدوى..

~~~ فباجا وجد نفسه في رأس حجرية اكتسبها سان من طول عيشه بالجبل لسنوات.. فأيما نظر وجد الحجارة الباردة ~~~

~~~ وسان تاه في الدخان حوله من كل مكان في رأس باجا.. كدخان هذا السبح.. لا يوجد سوى الضباب والضباب فقط ~~~

قطع باجا هذا الصمت بسؤاله:

"هل شاهدت ما حدث للريس هذا الصباح؟".

سان مركزاً نظرات عينيه:

"شاهدته".

باجا وقد استكفى من المياه الحارة جداً:

"وما رأيك؟".

سان يقول رأيه التحليلي:

"لا أدري إن كانوا قد وقعوا في أيديهم صدفة أم بتدبير كما يقول الأتراك.. إنها ضربة

موجهة.. ولكن حالئين لن تسكت عليها وسترد بمنتهى القوة.. فهل سيقدر الأتراك على تحمل الصدمة القادمة؟ هذا هو السؤال".

قام باجا من المياه ليقف سان منتصباً عارياً تماماً..

يسرع أحد الحراس بتغطيته بردائه حريري..

سان ويستعد للانصراف وعلى وجهه ابتسامة غامضة:

"جئت فقط لتحيتك وإعطائك هدية صباحية بسيطة".

سان يخرج يديه من وراء ظهره ويلقي له بجسم دائري ملفوف بقماشة وينصرف ويقول:

"نهارك سعيد".

فوجئ باجا والتقط الجسم الذي انفكت عنه القماشة وهو يدقق فيه وقد عرف كنهه قبل التقاطه..

رأس القائد الذي عينه لينقل مكان الأطهار إلى الموقع السري..

كان وجهه مخيف كأنه تعذب قبل أن يقطع سان رأسه..

ألقى باجا بالرأس على الأرض وركلها بقدمه لتتدحرج وتسقط في المياه الساخنة..

تطفو للحظات ثم تبدأ في الهبوط لتستقرعلى أرض المسبح..

باجا يفكر وفي رأسه تدور الأسئلة وتدور مثل الرأس المنقطعة..

ماذا سيفعل هو مع سان؟.

وماذا ستفعل حالئين مع الأتراك؟.

* * *

سطوح مبنى بمر الكونتننتال

نار عالية مشتعلة في أخشاب على سطح مبنى..

يجاهد أفراد مصريين وأتراك في إخمادها بالمياه..

النارعالية جداً وتشتعل أكثر عند رشها بالماء..

بعض الشرر يتطاير للطابق الأخير من المبنى ليزداد الأمر سوءاً..

~~

طفل تحضنه أمه وتسير في الشارع قرب المبنى.. يرى الدخان ويقول لها:

"ماما ريئة".

يكررها عدة مرات حتى تنتبه.. أدار وجهها للخلف حتى تنظر.. رفعت رأسها لأعلى وقالت له وهي تبتعد بخطوات أقرب للجري وتعتصره:

"دي عمارة التراكوة في ممر أوغلو".

ورفعت رأسها للسماء أكثر ودعت:

"إحرئهم كمان وكمان".

~~

النيران التهمت السطح تماماً وتمتد للطابق الأخير..

يظهر الشاب الذي كان يحدث الريس محروس في اللاسلكي يتظاهر بالذعر..

يجري على السطوح كالمجنون ويساعد في نقل المياه التي تزيد الحريق حريقاً

يمسك به أحد الحراس الأتراك بغلظة ويسأله:

"وين مطافي بلدكم".

جاءه الرد من سارينة سيارة المطافي التي اقتربت لتقف أسفل المبنى تماماً..

يهبط منها أعداد كثيرة من رجال المطافئ وجميعهم يرتدي أقنعة غاز..

الشاب ويقفز من السعادة وهو ينظر لأسفل:

"وصلوا.. وصلوا".

الحارس التركي مستغرباً فرح هذا الساعي المفاجئ ويأمر الساعي:

"روح شوف".

الساعي يعظم له ويبتسم بمكر وينطلق بسرعة كأنه يسابق الجن:

"حاضر.. حاروح طبعاً.. يا باشا".

* * *

<u>مكتب أوغل بقصر عابدين</u>

أوغل يشرب قليل من الكورار.. فقط يبلل شفتيه..

يقول للريس المقيدة يديه للسقف أمامه:

"تشرب على روحك؟".

الريس بقوة ويحاول التملص من قيوده:

"ده أنا اللي حاشرب من روحك".

أوغل يلقي بباقي الكورار في وجهه..

يضحك مرة ليعجبه منظره فيضحك ثانية.. وينفجر في الضحك.. يضحك الضباط والجنود من حوله..

الريس ينظر له بتوعد..

أوغل ينتقل لمجدي يقترب بوجهه من فمه ويقول ورائحة الكورار الحمضية تفوح من فمه:

"أنت تعرف شوكت منين؟".

ارتعد مجدي ولا يعرف ماذا يرد..

لو قال أنه يعرفه ستصبح مشكلة مع حالثين.. ولو أنكر ستصبح مشكلة مع أوغل.. وشوكت حذره أن يخبر عن علاقتهما الخاصة لأي أحد..

أنقذه من الإجابة صوت أحد الضباط وهو يشير إلى التلفاز حيث صورة حريق كبير بمبنى الكونتنتال وصوت المذيع بالصينية..

الضابط لأوغل:

"سيدي.. ممر أوغلو تشتعل فيه النيران"

* * *

ممر الكونتنتال

باب المبنى المشتعل يغلق ويربط مصراعيه بالسلاسل ورجلين بقناعي غاز يقفان أمامه من الداخل..

~

رجال مقنعون ينتشرون على سلم المبنى.. يحملون على أكتافهم اسطوانات ضخمة..

~

رجال مقنعون ينتشرون في استراحة المبنى بالطابق قبل الأخير.. الاستراحة مليئة برجال أعمال وساسة أتراك..

~

رجال فوق السطوح يكافحون الحريق بمادة رغوية.. الحريق يخمد تماماً في ثوان قليلة..

~

يقترب الساعي الشاب من أحد المقنعين وقد عرفه ويقول:

"حمد الله بالسلامة"

الحارس التركي يدفع الساعي بعيداً و يشكر رجل المطافي بدبلوماسية:

"شكراً لجهودكم.. ستصلكم مكافأة عن طريق مكتب السيد كمال".

المقنع يخلع قناعه ليبدو مألوفاً بوجهه نصف المحترق..

إنه الريس محروس.. النايب..

يبتسم للحارس بوجهه المخيف ويخرج من ملابسه آلي بورسعيد قصير:

"ملوش لزوم المكافأة.. وين اللاسلكي يا مخرم".

* * *

<u>قصر عابدين.. مكتب شوكت</u>

أوغل يواصل الاستماع إلى النايب محروس عبر اللاسلكي:

".. وحنموت واحد كل ربع.. تاني.. لو مافرجتوش عن الريس وكل الرجالة خلال ساعة.. حنحدف كل رجالتكوا الكبرة من الشبابيك بعد ما نولع فيهم بجاز وسخ.. احنا مابنهذرش وجايبين معانا الجاز الوسخ بتاعنا..

(ويتابع بعد أن تذكر باقي التهديد)

ولو حاولتوا تدخلوا بلدي أو افرنجي حانطربئوا في ثوان ونهرب.. احنا ملغمينوا".

أوغل يستمع وينظر إلى الريس المزهو برجاله وما يفعلوه من أجله..

يعتصر أوغل الجهاز في يده حتى كاد أن يتحطم..

فالمشاهد التي أمامه على التلفاز غير متوقعة.. فعلم حالثين يرفرف على العمارة وواضح بملء الشاشة..

العلم المكون من أرضية خضراء وعليها مقص اخضر في المنتصف والمقص قد تحول سنيه ليبدو كالسيف..

شوكت يحدثه بجهاز آخر بينهما فقط وقد سمع إلى الحوار:

"أوغل.. ماذا سنفعل الآن؟".

أوغل غارق في تفكيره ولا يدري ماذا يرد..

هيبة الإدارة التركية وسمعتها على المحك.. لقد تحركوا سريعاً.. تمتم أوغل:

"من أين لهم بسيارة المطافي؟".

شوكت ثانية ويأمره:

"أوغل.. هل تسمعني؟ سلمهم المجموعة على مسئوليتي.. لقد رفعوا العلم على سطح المبنى"

أوغل بابتسامة خبيثة لأن لا يريد أن يصبح المسئول في النهاية:

"على مسئوليتك؟".

شوكت وهو يتابع تقارير على وصلته للتو من بورصة الخيل:

"نعم.. بورصة الخيل تنهار.. هل تسمعني.. الارقام مخيفة وتنخفض كل دقيقة.. الاستمرار هكذا ضرب من الجنون.. كمال يرجوني ويقول لا أريد مزيد من القلق.. سلمهم هؤلاء الكلاب".

أوغل مرتاح لأن شوكت تحمل المسئولية.. يغلق الجهاز وينظر للريس:

"سنتقابل ثانية وعندها ستندم".

الريس يبتسم رغم التعليقة المؤلمة جداً للذراعين:

"صدئني مش حاتلحئ تشوفني.. حاتلفك بأيدي".

أوغل يبصق في وجهه..

تنحدر البصقة من على أنف الريس هابطة على فمه..

يخرج لسانه وبتلذذ عجيب يلحس البصقة ويقول له بتأكيد:

"حاتلفك واشرب من دمك".

* * *

صفط اللبن.. منزل فرداني

بعد عدة ساعات..

فرداني يتابع التلفاز من منزله ومقر قيادته الأخبار التي تؤكد الإفراج عن الريس والمجموعة ويقول بعصبية:

"نجي ابن الكوبية"

ثم ينادي على أحد رجاله:

"ولا يا نصها".

يدخل شاب دقيق أذنه اليمنى مقطوع نصفها.. ووجه مشقوق..

يبدو إنه من مساعدي فرداني المقربين كقرب محروس للريس..

"ئوول للرجالةِ تجهز.. حابعتهم مشوار سريع".

نصها يضع إصبعه على عينه اليمنى واليسرى دون كلام..

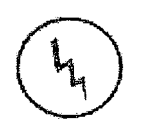
فرداني ويعبث بشاربه الضخم:

"مش لازمن احيي الريس".

ويتكتك ويخطط وهو ينظر للأمام:

"ولا إيييييه".

* * *



في القسم الثالث.. مباغتة..

ويواصل الخطاب ويحاول أن يجعله بالعربية الفصحى:

"أنا متشكر ليكوا جميعن.. رجالة وحريم..

كل اللي.. كل اللي.. كل اللي عمل حاجة معانا..

وبئول للي مش معانا..

هه.. هم عارفين نفسهم.. العالم المشخة..

عارفين نفسهم زين ومستخبيين..

ائولهم..".

ثم فكر في سبة قوية تصلح فقال دون خجل:

"يجرش ابوكم أوالح فيها"

* * *

القسم الثالث

مباغتة

الشارع الرئيسي بالدويئة

الشارع الرئيسي بالدويقة

حبال مليئة باللمبات الملونة تملأ الشارع..

كلها مضاءة كأنه مولد عم سعيد.. أو الاحتفال ببدء رمضان..

النساء تزغرد من الشبابيك.. معظمها مهدمة..

بعض البلكونات بلا شبابيك أصلا.. النساء يرمين الأرزعلى العابرين..

الأطفال والرجال على الطريق في صفين.. يهللوا ويهتفوا بحياة الريس..

يهتفون ويكررون الهتاف المحبب للجميع هنا: ♫

"الليلة عيد.. يا عم سعيد.. الليلة عيد.. يا عم سعيد".

الريس ونخلة ومجدي والمجموعة يسيرون في الطريق..

الريس يحيى الجماهير رافعاً لهم يديه..

يلقي قبلات إلى بعض البلكونات بعينها..

يغمز بعينه إلى بلكونة محددة.. البنت اللي كانت تقشر الموز تغمز له وتبتسم..

زغاريد.. زغاريد.. مزيد من الزغاريد.. ♫

امرأة سمينة جداً وترتدي فستان مشجر جداً.. يبدو إنها عانس وتعشق الريس.. ممسكة بصورة كبيرة له وهي واقفة في البلكونة الضيقة.. ترسل له قبلة ضخمة جداً جداً في الهواء وتقول:

"بحبك يا ريييييس"

الريس بضحك ويتلقى القبلة:

"لأ لأ.. أنت بوستك دي تنئطم الظهر"

مزيد من الأرز يتساقط على رأسه..

الريس ويلقي به من على رأسه ويحدث امرآة آخرى:

"كفاية رز.. حاتخلصوا التموين.. كفاية يا ست بوس.. خلي حبة لنتعك".

نخلة سعيد ومنتشي إنه في موكب الريس فيقول له والأرز يرتطم به ولا يبالي:

"الناس فرحانة يا ريس.. الليلة عيد".

من الطرف الآخر للشارع وليس بعيد عنهم تظهر سيارة المطافي يطل منها محروس وباقي المجموعة..

السائق يطلق نفير الفرح والزفة عدة مرات.. ♫

الأطفال تتجمع حول العربة في ابتهاج..

يحسسون عليها فمنهم لم يرى سيارة كبيرة من قبل في حياته ولو لمرة واحدة..

التك تك وعربات اليد فقط هي المعتاد رؤيتها..

كانت تلك السيارة هي الوحيدة بالحي التي تستعمل للاطفاء..

ومن السخرية إنهم حصلوا عليها من القوات التركية في مفاوضات استبينا 2034..

لتختفي السيارة بعدها في مكان سري لا يعرفه إلا الريس ومحروس وعدد محدد جداً من أفراد حالئين..

الريس لمجدي المتجهم ويفكر بعمق:

"مالك ثافل ليه يا صاحب؟".

مجدي بمشاعر مختلطة ومتعجب من فرح الناس من حوله:

"الناس فرحانة بجد".

~~~ *كان الإعلام يصور حالئين إنهم ولا كفار مكة والمدينة..*

وأن الريس هو أبو لهب.. ومحروس هو أبو جهل ~~~

الموكب يقف أمام سيارة الإطفاء..

ينزل محروس ويفرد ذراعيه للريس الذي يحضنه بقوة ويقول بضحك:

"لحئتني يا خيبتها".

محروس يذكره بأنه فعلها من قبل:

"ببركة عم سعيد يا ريس.. هو اللي كان بيتحرك ويتكتك.. أنت مش فاكر اللي عملته معايا ساعة الحريئة".

وأشار إلى وجهه المحترق..

نخلة خاطفاً البوق من داخل سيارة الإسعاف:

"لازم تئولنا كلمة يا ريس".

ويعطيه للريس الذي يتردد ولا يأخذه منه..

محروس يؤيده ويأخذ البوق من نخلة ويعطيه إياه:

"أيوة يا ريس صح عايزين كلمة منك..".

وأشار للمقام مكان المحل الذي يبدو من بعيد:

"ده حتى عم سعيد يزعل".

الجميع يطالب بكلمة.. حتى مجدي يشير له بالتقدم..

الريس يأخذ منه البوق ويفتح باب السيارة العالي ويتكئ على الحافة يستند على الباب ويرفع البوق
~~~

كل الناس في الشارع صامتة.. لا أحد يهمس.. والكل ينظر بترقب..

يحاول فتح البوق بلا فائدة.. يأخذه مجدي منه ويضغط زر التشغيل ببساطة ويعيده.. الريس يأخذه منه ويقول عبره:

"يكون يا متنور".

ثم انتبه أن صوته عالي فبدأ الحديث:

"يعني ماكنش في داعي لكل الرز اللي رمتوه ده..".

صوت أحدهم بصوت عال:

"الرز فداك يا ريس".

الريس يوجه وجهه لمصدر الصوت ويعرف صاحبه الجبان:

"وحياة أمك.. ده أنت بتخاف من بمب العيد يا سوستة".

الناس تضحك وتنظر للرجل المرتدي فانيلته الداخلية في الشارع.. يواصل الخطاب ويحاول أن يجعله بالعربية الفصحى:

"أنا متشكر ليكوا جميعن.. رجالة وحريم..

كل اللي.. كل اللي.. كل اللي عمل حاجة معانا..

وبئول للي مش معانا..

هه.. هم عارفين نفسهم.. العالم المشخة..

عارفين نفسهم زين ومستخبيين..

ائولهم..".

ثم فكر في سبة قوية تصلح فقال دون خجل:

"يجرش ابوكم أوالح فيها"

البعض يشعر بالحرج من السبة القوية..

ثم يصمت لحظات ليبحث عن كلمات آخرى.. البعض بدأ في التصفيق.. ومنهم باضونيوس..

يستهزئ به الريس:

"هو أنا عم كمال يا خبو.. استنى لما اخلص".

يضحك الجميع للتشبيه وينظروا إلى باضونيوس..

مجدي مستعجب من الجو العام لحالئين وما فيهم من تناقضات..

الريس يريد أن يختم فيقول:

"ومشان الرز اللي اترمى ده كله.. بعد ما انهي كل عيلة تبعت واحد منها للمخازن تاخد تلات كفوف".

ثم يتوجه للسؤال إلى محروس:

"خليهم اربع كفوف.. مش في رز زيادة يا محروس".

محروس بشكل قاطع ولا يعلم الكمية الموجودة على وجه الدقة:

"ولو مفيش يتوجد يا ريس.. المحلات كتيرة برا وملاينة رز".

~~~ مجدي يلاحظ أحد الشبابيك المفتوحة بعمارة قريبة وقد وورب..

~~~ وهذا عجيب أن يغلق أحدهم الشبابيك الآن فالجميع يشاهد الكلمة..

~~~ يلمح طرف ماسورة قناص تظهر بخفاء..

~~~ تجمد للحظة ثم قام بالتصرف سريعا و في اللحظة المناسبة..

قفز على الريس وجذبه لأسفل ويصيح:

"حاسب يا ريييييس".

الريس يسقط وطلقات تصيب باب سيارة مكان وقوفه وفي الكاوتش.. الناس تصيح في هياج:

"الريس.. الريس".

الكل نزل على الأرض.. طلقات أخرى تصيب الأرض بجوار رأس الريس تماماً..

نخلة يستل مسدسه و يسأل مجدي وهو يجذبه:

"وين.. الضرب جاي من وين؟".

مجدي واضعاً يديه على رأسه:

"البيت الأخضر ع اليمين".

نخلة يقوم ويجري مطاطئ خوفاً من الرصاص.. مجدي ينظر فإذا الشباك مفتوح ولا أحد موجود..

يقول للريس ويشير للشباك:

"هربوا.. الضرب جه من هنا"

الريس يقوم رابط الجأش ويصيح بالبوق:

"عايزهم صحاح مش تالفين يا نخلة.. لازم اعرف مين اللي وراهم.. صحاح يا نخلة".

ثم يلتفت إلى مجدي ويقول:

"أنت كمان انقذتني.. هو أنا زربت ولا إيه".

باضونيوس يعقب:

"بعد الشر عليك من الزرب يا ريس".

الريس عاصراً قبضته بقوة ويؤكد على رجاله المنطلقين خلف القتلة :

"عايزهم صاحيين.. حاسويهم بأيدي"

* * *

قصر المنصورية

أوغل جالس أمام وليام في غرفة مكتبه الانجليزية الفخمة..

يبدو غاضباً ويسأله ثانية :

"ماذا تقصد بهذا الكلام؟".

وليام يكرر ويقلب كوب الشاي ببطء:

"اقصد انني لا أعرف مكان الأطهار الجديد".

أوغل ضاغطاً على أسنانه :

"والنقود التي اعطيتها لك.. كيف سأفسر اختفائها؟".

وليام واضعا الملعقة جانباً :

"معرفة مكانهم الجديد مسألة وقت اسعى ورائهم بغض النظر عن اموالك".

أوغل يقوم من مكانه ويثور:

"بغض النظر.. هذا اهمال.. لقد فقدت آثرهم وعليك ايجادهم في اقرب وقت ممكن".

الحرس التابعين لوليام يشهرون مدافعهم ويستعدون لتصفية أوغل..

أوغل ينظر لهم بأعين نارية لا تخاف..

وليام يشير لهم بيده.. *أن اخفضوا أسلحتكم..*

أوغل يقوم دون استئذان لينصرف

ووليام يفكر..

لابد من معرفة مكان الأطهار.. ليس من أجل أوغل..

ولكن قبل أن يتحركوا..

وقبل فوات الأوان..

* * *

<u>*قصر عابدين.. الجزء الصيني*</u>

~~ باجا يتدرب باستخدام السيف ممارساً حركات عنيفة ~~

~~ سيف طويل عريض من النوع (*داو*) ~~

~~ مغمض العينين.. يعيش في عالمه الخاص ~~

~~ عين تراقبه من بعيد.. من خلف أحد الأعمدة ~~

~~ يتحرك باجا ويدور ويطعن أعداء وهميين في الهواء ~~

~~ العرق يتدفق من كل جزء بجسده ~~

أنهى التدريب واقفاً في منتصف القاعة تماماً.. العين تراقبه دون أن تتحرك..

بنفس الثبات وهو مغمض العينين يقول:

"ماذا تريد يا سان؟".

يظهر المراقب سان من وراء أحد الأعمدة وهو يصفق.. صدى صوت التصفيق يتردد بقوة في المكان..

القاعة الضخمة الخالية تماماً من الأثاث..

يقترب من باجا ليقف أمامه بخطوات ثلاث.. يلقي له بفوطة بيضاء نظيفة.. يلتقطها باجا وهو مغمض العينين ويقول:

"ماذا تريد؟".

سان ببرود كأنه لم يفعل شيئاً:

"جئت لأطمئن على مولاي".

اشتم باجا رائحة السخرية من كلامه لذا قال:

"مولاك مستاء مما فعلت".

سان يأخذ السيف من باجا وينظر لنصله العريض المصقول:

"إنما هي رأس قطعت".

وبشكل مفاجئ شق به الهواء و بحركة معقدة و قال:

"كانت ستطير في أول مواجهة.. حتى ولو كانت مع القرود".

يقصد بالقرود حالئين.. ويكمل حركاته ويقول:

"ففضلت أن افعل ذلك بنفسي خشية الفضيحة".

ابتسم باجا لوجهة نظره الصائبة نوعا ما.. يتوقف سان عن الحركات ليسأله دون أن ينظر له:

"أرأيت ماذا فعلت القرود بالحمير؟".

باجا يبتسم ويرد مواصلا تنشيف العرق الغزيرالمنهمر بلا توقف:

"رأيت.. لقد ضحكت عليهم وحررت منهم قردها الكبير".

ثم يمسك بالسيف فجأة ويشق به الهواء بجوار سان تماماً:

"وهذا هو افضل وقت للهجوم عليهم وتحطيم هيبتهم أكثر واكثر".

سان ولم يفهم مقصوده وشعر وقد علم إنه أكثر منه دهاء:

"الهجوم على القرود؟"

باجا بغموض وينظر لنصل السيف المصقول بعناية فائقة:

"بل على الحمير"

* * *

منزل الريس بالدويئة

الباب يفتح ورجلان مكبلان بالحبال الغليظة يدفعان عبره بقوة ليسقطا عند قدمي الريس..

الريس الجالس على أريكته وحوله البنتين ونخلة و باضونيوس ومجدي..

يجذب الريس نفس من الشيشة ويخرجه على مهل.. ثم يسأل البنت التي تقشر الموز ولا تفعل أي شئ سوى ذلك:

"كفاية موز.. مفيش خيار يا هشوكة".

البنت بدلع وتقشر الصباع على مهل كعادتها واسم هشوكة يليق عليها:

"في يا ريس ائوم اجبلك من التلاكة".

الريس بابتسامة شهوة:

"أنا بسأل مشانك أنت".

هشوكة تضحك ضحكة.. تشرح القلب الحزين يقول لها:

"حبة وراجعلك.. حائضي مصلحة وجايلك تاني"

البنت تتنهد و تعبث بالموزة والريس عينه تتابعها ونخلة كذلك:

"مستنياااك".

ينظر للرجلان المكبلان وقد هريا ضرباً وصفعاً :

"بئى فرداني عامل فيها راجل وبيفهم وعايز يموتني يوم فرحي مشان يخلص على صيتي وصيت حالئين كلها".

ينكب الرجلان على رجل الريس ويقبلاها وهما مكبلان..

أحدهما ويبكي بلا دموع:

"ابوس ايدك يا ريس.. أنا بربي عيالي عيال اخويا".

الثاني ويبكي أيضا ولكن بدموع غزيرة:

"يا ريس فرداني واخد حريمنا رهاين مشان نعمل العملية".

الريس بلا قلب:

"حكمي فيكم نفذ.. بلا عيالكوا بلا حريمكوا".

ثم صاح عن يمينه:

"مجدي".

ينتفض مجدي وقد علم ماذا سيطلب منه..

مطواة الريس الدائرية ترتفع أمام عينيه مع صوت الريس:

"أنا كنت ناوي اتلفهم بأيدي.. عايز اشوف دليل محبتك".

مجدي يبلع ريقه وقد توتر..

ودون تردد امسك بالمطواة وهجم بها على الاثنان..

~~ الريس ينظر له وهو يذبح ~~

~~ عيناه تتابع قطع السكين باللحم الحي وهي منتشية من السعادة ~~

~~ كأنه يشاهد عرضا زاقصاً.. أو عرض كعروضه في الأوبرا ~~

~~ صوت الحشرجات والتوسلات يزغرد بقلبه ~~

~~ قوانين الحياة الأليمة غيرت من نفوس البشر ~~

~~ صار القتل بصعوبة ابتلاع لزام.. مر ولكن يمر بعد شربة ماء ~~

~~ حتى الفتاتان تشاهدان ما يحدث باستمتاع وتلذذ ~~

~~ قوانين البقاء صارت قاسية على جميع الفئات والأنواع ~~

~~ فإما أن تكون مع من فوق السكين ~~

~~ فتنجو ولو بقتل من لا تعرف ~~

~~ أو مع من هم تحته.. فتذبح بسبب أو بدون ~~

انتهى مجدي ويرفع يديه الملوثة بالدماء ويقول للريس وهو يلهث:

"عندك دليل محبة تاني عايزني ادبح هولك"

الريس ينظر للأشلاء التي اختلطت ببعضها لامحاً إرهاقه:

"لأ.. كفاية عليك كده.. روح وتعالى بعد يومين"

مجدي ينصرف وهو غير مصدق إنه خرج من هذا الكابوس..

الريس يأمر نخلة مشيراً للجثث:

"ابعتوا الروس لفرداني في شوال واكتبوا عليه: التحية وصلت".

ويتابع لمحروس ومشيراً برأسه باتجاه الباب الذي خرج منه مجدي:

"يترائب.. مرائبة الباك الرزل".

محروس يأمر الرجال بأرسال أسخف من في حالثين:

"ابعتوا وراه باضونيوس".

* * *

__معسكر تركي في الصحراء__

قبل شروق الشمس..

صف طويل من الأطفال الواقفين خلف بعضهم..

عراة إلا من قطعة ثوب صغيرة للغاية.. حراس أتراك يحوطون بهم من كل جانب.. بعض الأطفال يمسك نفسه عن التبول بصعوبة..

أحدهم ينفصل عن الصف فجأة ويتقيأ.. يتقيأ معدته الفارغة.. لقد أصيبت معدته بالاضطراب من البرد الشديد..

يصيح بهم صوت جهوري غير عابئ بمن سقط:

"التوجه إلى التبة وقضاء الحاجة والرجوع.. خمس دقائق".

البعض بدأ بالجري للتبة..

ينقض عليهم الحراس دون كلام ويضربوهم بأيديهم الكبيرة على أجسامهم الصغيرة العارية..

لقد تحركوا قبل الإذن لهم بالتحرك..

يصيح الصوت وقد أيقن أن هذا العذاب يكفي وقد بدأ يشعر ببرودة الطقس:

"ابدأ".

مباراة في الجري بدأت بين الجميع للوصول للتبة كريم يجري وجاره يقول له:

"مش حانلحق.. التبة بعيدة".

كانت التبة على مرمى البصر على بعد 500 متر تقريباً..

كريم شاعراً بالاحتقان يزيد مع الجري..

"حانلحق.. لازم نلحق مشان نفطر".

تنتابه الكحة ليبدأ في نوبة متوصلة مستعرة.. جاره يتوقف فجأة ولا يستطيع الاستمرار..

هو لا يريد التبول..

بل يريد التبرز..

جلس على الأرض يبكي وقد بدأ في فقدان السيطرة على كل شيء..

كريم يأمره وهو يواصل الجري بسرعة أقل ليستحثه ويكح:

"يالا مشان تاخد الخشبة من الحارس وترجع بيها.. امسك نفسك".

الطفل يبكي بحرقة وعينه في الأرض..

كريم يتركه ويواصل الجري وهو يكح ويبصق..

والاحتقان يزيد ويضغط على مثانته مما يقلل من سرعة جريه..

عض شفتيه شاعراً بأن قطرات من البول تتسرب للنزول رغماً عنه..

وصل للتبة أخيرا وهو يلهث بقوة..

جلس بوضع القرفصاء وبدأ في التبول بحرقة..

والبكاء بألم..

والكحة اللعينة لا تنقطع..

* * *

<u>قرب منتصف الليل</u>

~~ منهك.. أعياه التعب واللف طول اليوم ~~

~~ مجدي يدخل بيته بمنطقة حدائق القبة ~~

~~ تحرك بخفة لينظر من وراء النافذة العاكسة ليتأكد من شيء ما ~~

~~ لمح باضونيوس وهو يتحدث مع أحد السائقين أصحاب عربيات اليد وهو يشير إلى العمارة ~~

~~ يبدو إنه يصفه له ويسأله عما إذا كان يعرفه ~~

~~ ابتعد مجدي عن النافذة وتنهد بقوة ليرتمي على أقرب مقعد ~~

~~ منهك.. أعياه التعب واللف طول اليوم ~~

بوغت بصوت يعرفه يقول بسخرية:

"حمد الله بالسلامة يا بطل".

فتح عينيه مذعورا فإذا شوكت جالس على مقعد في الركن..

~~ منهك.. أعياه التعب واللف طول اليوم ~~

برز من الظلام لتبدو ملامحه ذات الابتسامة الساخرة..

يدخن سيجارة وبجواره مطفأة مليئة بأعقاب السجائر..

مجدي يتمتم وقد فوجئ تماماً وهو منهك وغير مستعد لمباراة آخري:

"شوكت بيه".

* * *

<u>تتابعات</u>

دق طبول صوته عال جداً..

خنجر تاريخي مقوس ومسنون يقطع كف بشرية لتتساقط قطرات من الدماء..

~~

باضونيوس يهمس في أذن الريس بما فعل في مراقبة مجدي طوال اليوم والريس يهز رأسه في تفهم..

~~

القطرات الحمراء تتساقط بكثافة على قماش أبيض كبير..

~~

شوكت يصغي لمجدي وهو يحتسي فنجان من القهوة..

مجدي يمثل له كيف قطع رأس رجلي فرداني بلا تردد تنفيذاً لأوامر الريس..

~

مزيد من القطرات على قطعة القماش بجوار القطرات الأخرى.. تشكل بقعة حمراء كبيرة..

~

أحد رجال فرداني يفتح شوال وهو حزين لتتدحرج رأسي رجليه تحت قدميه..

فرداني ينظر بأسى ويمسح كفه الملبثة بالخواتم في وجهه..

لقد هزم مرة آخرى من الريس..

~

شاب من الأطهار يضع عصابة حمراء على جبهته ويربطها بقوة

~

الشيخ دراوي ومجموعة من رجاله ومعهم بعض الأتراك حول مائدة صغيرة..

الشيخ وراوي يفردون ورق هندسي ويشرحون للمجموعة خطة الهجوم على الميناء..

ميناء إمبابة..

~

باجا يحيى أحد الأطهار بالطريقة

الصينية التقليدية..

الشاب يتقدم خطوة.. بقوة وبطريقة عسكرية..

سان يناوله الخنجرالملوث بالدماء..

الإمام ويعلى والريس ومحروس ونخلة ملتفون حول مائدة صغيرة ويدرسون خريطة ما..

تبتعد الرؤوس لتظهر الخريطة.. يخططون أيضاً للهجوم على ميناء إمبابة..

الريس يحك مؤخرته من تحت ملابسه..

~~

عشرات الأطهار يقفون في عدة

صفوف متراصين كقطع الدومينو..

لا يتحركون.. كأنهم لا يتنفسون..

~~

أوغل منفعل في الحديث في اللاسلكي يتشاجر مع وليام مطالباً إياه بالنقود أو المعلومات..

على الناحية الأخرى وليام الهادئ..

ينهي الاتصال..

يحدق في الفراغ..

والظلام من حوله له معنى واحد فقط

معنى الوحدة..

~~

باجا وسان يقفان أمام العلم المصطبغ تماماً بلون الدم الأحمر..

يقطعان كفيهما في تزامن..

قطرات دمهما تتساقط على العلم

يلتفتان ليواجها الصفوف المتراصة

يصيحا بحماس رافعين كفيهما المدممة عالياً

يصيح الشباب مثلهما ويرفعون أيديهم المدممة في الهواء..

والعلم بلونه الأحمر أصبح دليل على بدء مرحلة جديدة..

مرحلة الأطهار..

* * *

<u>بورصة الخيل.. قرب الفجر</u>

بمكانها في نادي الجزيرة تشكل مكان حساس للأتراك خصوصاً إنها وسط أملاك أوروبية..

الدوريات مشددة حول النادي من جميع النواحي.. والحراسة داخله على مدار الساعة..

الإسطبل الرئيسي مكون من ستة طوابق من الخيول المتراصة في غرف صغيرة..

حصان عربي جميل نائم وهو واقف في الإسطبل..

يبدو أنه يحلم بحلم مزعج فملامح وجهه تتقلص في ألم..

~~ *يرى زوجته الموجودة بجواره تذبح بسيوف بتارة* ~~

~~ *أربعة سيوف تنزل عليها دفعة واحدة.. وفي أماكن قاتلة* ~~

~~ *واولاده الصغار تفجر بوضع ديناميت في مؤخراتها* ~~

~~ *الحراس يذبحون على غفلة* ~~

~~ *لم ينج أحد* ~~

~~ *لا إنسان.. لا حيوان* ~~

استيقظ في ذعر وعينه تدمع بشكل مؤثر..

حاول أن ينبه الحارس الواقف على باب الإسطبل.. صهل عدة مرات.. وركل الأرض بيده اليمنى.. الحارس التركي التفت له وقد ميز هذه الحركة منه:

"ماذا.. هل انهيت المياه بهذه السرعة؟".

لم يفهم الحارس التحذير..

هل تمتلك الخيول هذه الشفافية؟..

هل تستطيع التنبؤ بالمستقبل القريب؟..

الحارس ينظر له وإلى زملاءه الذين يصهلون ويتحركون داخل غرفهم الضيقة.. الحارس يخمن ويغمغم:

"أهي الغيمة قادمة مرة آخري أم..".

لم يكمل كلامه بل يتحشرج..

يتحشرج.. فسهم اخترق رقبته من الخلف للأمام..

يتحشرج.. فالسهم أحمر مميز سيعرفه الجميع من الليلة..

يتحشرج.. إنه سهم الأطهار..

* * *

منزل مجدي يحي حدائق القبة

شوكت ما زال يحقق مع مجدي الذي ينهي الشرح لثاني مرة:

"ومشان كده أنا اتأخرت ومروحتش صباحي من ساعة ما مشيت من عند الريس".

شوكت يطيل النظر فيه.. فما قاله دليل على تمسكه باتفاقه..

فلقد انصرف من عند حالثين وظل يدور على قدميه في الشوارع حتى عثر على فريسته..

رجل يعمل حمالاً للمياه بمنطقة مصر القديمة..

~~ منهك.. أعياه التعب واللف طول اليوم ~~

خدره ووضعه في عربة المياه وسار به حتى وصل إلى المخزن المتفق عليه مع شوكت..

شوكت بعد تفكير تمتم:

"اصبحت ورقة مكشوفة".

مجدي يخاف من هذه المقدمات المعروف نهايتها المأساوية:

"ليه بس يا كبير.. أنا ممكن ابئى عين زينة ليكوا وسطيهم".

وأشار إلى التلفاز المفتوح خلف ظهر شوكت:

"إيه اللي بيولع جامد ده؟".

شوكت ينظر بلا اكتراث.. لتتسع عيناه في رعب..

رعب حقيقي..

* * *

استعدادات و مفاجآت

الدويئة.. مخزن أسلحة

الريس ومحروس ونخلة والإمام ويعلى يفحصون رشاشات وقنابل في مخزن تابع لحـالئين..

الريس ينظر للإمام الذي يعاين رشاش ويتأكد من سلامته..

الإمام يبتسم له ابتسامة نادرة مليئة بالخبث.. الريس يبادله بآخرى متحفظة متفحصة..

يعلى يشير للتلفاز الصغير ويقول:

"ما هذا الحريق الضخم؟".

الريس ينظر ويدقق النظر وينظر لهم ويقول بتعجب:

"دي بورصة الخيل"

* * *

فيلا بالشروق تابعة للشيخ صالح

الشيخ وراوي ومجموعة قاعدة الإخوان يفحصون السلاح الذي جاء به الأتراك في أجولة مكتوب عليها (التركية للدقيق)..

الشيخ يبتسم للضابط التركي المرتدي ملابس مدنية مستحسناً البضاعة ويقول:

"دئيئ فاخر يا معلم".

الضابط يسمع نداء عاجل على اللاسلكي.. النداء يتكرر بشكل عصبي..

يرفع الجهاز ويستمع إلى محدثه الذي يتكلم بصوت عالي بالتركية..

الضابط يشير للمجموعة بيده:

"هيا".

راوي مستعجب ويسأله وقد شعر بالقلق:

"ماذا.. اهناك مكروه؟".

الضابط يرد بكلمة واحدة وهو ينصرف بسرعة ووجه مكفهر:

"البورصة اتدمرت.. كل شئ احترق".

راوي ينظر للشيخ محاولاً الفهم..

الشيخ يتمتم بجملة واحدة وقد تنبأ بهذا وحذر راوي من ظهورهم:

"الأطهار.. لقد دخلوا الميدان".

* * *

فجراً.. بورصة الخيل

لا يوجد حي يسعفونه..

والدخان ما زال يملأ المكان..

أوغل في حراسة مشددة يسير بين الدمار والأطلال..

ينظر يمنة ويسرة وهو لا يتصور الدمار الحاصل..

على مدخل المبنى.. رأس حصان ملقاة على جانب والجسم على جانب آخر.. عينا الحصان ما زالتا تتحرك ببطء.. كأنها تطلب النجدة.. ودموع الألم بادية في عينيه وهو ينظر لجسده المنفصل عنه..

الحراس جميعاً مشويين تماماً.. بعضهم مذبوح ومشوي والآخرين مضروبين بأسهم رؤوسها حمراء ومشويين تماما..

سار أوغل بين الجثث شاماً رائحة الشواء كاتماً أنفه بيده من الرائحة..

رائحة دماء ممزوجة بالشواء..

الأبخرة تتصاعد من الجثث.. والذباب تجمع عليها ليقتات..

تاجر ميت وممسك باللجام الذي كان سيستلم به حصانه الجديد.

جميع الأطباء والمسعفين واقفين ينظرون بأسى وحزن و لا يدرون ماذا يفعلون.. فالمصيبة أكبر من قدرتهم على التحرك.. والجميع قتلى..

لا يوجد حي يسعفونه..

صعد أوغل درجات سلم المبنى ببطء ليتفقد الأدوار المحروقة وهو يغطي يديه بأنفه.. فالرائحة بالداخل بشعة لا تطاق..

رائحة شواء عفن..

علم الأطهار مدلى على المبنى ليغطي الأدوار الثلاثة العلوية..

والعلم مصنوع من مادة خاصة فلم يتأثر بالحريق ولم يتلوث بالدخان..

أشار للجنود دون كلام بنزع العلم.. ناوله أحد العساكر جهاز اللاسلكي:

"سيدي.. السيد شوكت يريد محادثتك".

أخذ أوغل الجهاز منه..

على الدرجات فوقه بقليل يلمح جندي صغير السن قليل الخبرة يفعل شيئاً غبياً:

"لا تفعل.. لا تجذبه".

كان الجندي يجذب وبقوة حبلاً جذاباً في الأرض..

أوغل يسارع بالهرب من المبنى صائحا بالجميع:

"اهربوا".

~~ ~~ بوووووم ~~ ~~

يطير في الهواء بفعل تضاغط موجات الهواء..

يسقط على وجهه.. عمود من النار يخترق جنبه..

رأسه ثقيلة ولا يستطيع رفعها..

الدوار والطنين يتصاعدان بشكل سريع لا يقاوم..

لينتهي بعدها كل شيء.

* * *

بعد ساعة

فرداني جالس في سريره ويفرك صدره العاري..

تبدوعدة ندوب كبيرة وآثر خياطات متعددة.. بجانبه امرأة متكشفة *(زوجته الـ 401)* نصف نائمة..

لم يستيقظ بعد وما زال في مرحلة التوهان..

يسأل الشاب أبو شنب صغير كشارلي شابلن الواقف أمامه وهو يسلك في أذنيه:

"ئولي تاني مشان وداني بتصفر من فرحي امبارح يا شابلن".

شابلن يعيد لرابع مرة وبصوت عال كأنه ينادي أصم في الصحراء:

"بورصة الخيل اتدمرت.. والأطهار ظهرت".

فرداني سمع النداء أخيرا..

يتجهم ويسأله بعيون جامدة تنظر في الأرض:

"يا نهار أسود.. البورصة.. طب وفلوسنا".

شابلن خائف من بطشه المفاجئ:

"الأتراك ذاعوا إنهم حايعوضوا الناس واحدة واحدة.. و شوكت حايخطب بعد ساعات".

فرداني يقوم من رقدته ويجلس مكاته وقد تنبه ووعى لما يحدث.. تناوله المرأة قميصه وشابلن يبحلق فيها وهي لا تهتم..

فرداني لشابلن ويشير للتلفاز أمام السرير:

"ولع المخروب".

شابلن عينه على المزة بالجامد:

"الكروت خلصت وبعتنا نسرء مجموعة".

وقرأ في عيون فرداني أنه يفكر أن يجمع الرجال ليقوموا بعلمية من أجل الأموال التي راحت في البورصة..

لذا قال له على الفور ليطفئ الفكرة:

"عاملين حظر تجول في القاهرة كلها كمال طلع ع الشاشة واعلن مرسوم".

فرداني يسأله وقد بلغ مدى صبره أن كل هذا يحدث وهو نائم لا يدري:

"مين اللي عاملينه بتئول؟".

شابلن وعينه على الباب ليهرب وقد تيقن أنه سيضربه:

"كمال.. اعلن مرسوم أصيل.. والصينيين اختفوا من الشوارع وئالوا مشان مايحصلش حك"

فرداني ويحك رأسه من غباء شابلن لأنه لم يوقظه مبكراً:

"حك؟".

وتابع ضارباً الشاب على قفاه وقد لمحه يبحلق في جسد المزة:

"تصدق أنا اللي بيني حاحكك".

شابلن يهرب من الباب.. فرداني يجري وراءه بشومة ويصرخ فيه:

"موحووو.. سايبني نايم يا بن الدايخة كل ده؟".

وتابع ويلقي بالشومة بعيدا:

"حانعمل إيه في المصيبة دي؟".

نظر للمزة فإذا هي تنقلب بشكل مثير فقال لها وهو يغلق الباب جيداً:

"مش هي باظت ومفيش كروت".

تنظر له بتشجيع ممزوج بالتمنع وتقول مخرجة كارت تلفزيون من الاعماق السحيقة بين الهضاب العالية:

"تحب اشحنلك؟ أنا معآيا كارت كنت عاينا للمسلسل التركي".

فرداني يصفق من غباءها وغباء الكل ويقول:

"يا نهار غبا ممزوج بطحينة".

ثم قام بالعمل الغير متوقع.. فالبنت فعلاً فرتيكة..

قفز فرداني للسرير بخطوة واحدة ليدخل تحت الغطاء:

"بئولك إيه.. هما مش بيعيدوا الأخبار كل شوية".

ترد بما تعلم وتهز جسد اللبن الفاخر ورقبتها بهزة الوزة يمين ويسار:

"اه بس مفيش أحسن من اللي بتيجي طازة بطازة".

رد عليها محسساً بقوة في أماكنها الطازجة ويهز رقبته مثلها بشكل ساخر:

"طازة بطازة".

أغلق الغطا عليهما وقال وهو يقرص:

"يبئ ما بدهاش يا بنت الفكهاني".

البنت تكركع كركعة.. تصحي التعبان من سنين..

* * *

<u>موطن كبير مسقف</u>

الأطهار يحتفلون..

صخب ودق طبول وغناء..

أكواب صغيرة و كثيرة جداً من مشروب التان الصيني القوي موضوعة على صينية نحاسية ضخمة جداً..

أكثر من 100 كوب في الصينية تملأ دفعة واحدة بشكل عشوائي..

صخب ودق وغناء.. الصينية يسقط منها التان.. البعض يملأ من الساقط على الأرض.. كانوا يتفائلون بذلك..

ضحكات رجالية متداخلة بدأت في السكر..

باجا يضحك ويشرب.. فمه وذقنه ملوثان بالتان يقول لسان الجالس بجواره وقد سكر تقريباً:

"إنهم يقومون بعد الاحصنة المشوية".

سان يشرب وقد بدأت رأسه تميل:

"دعهم يعدون".

باجا بصوت عال:

"ستنتهي أصابع أيديهم ويستمر العد"..

ويقوم ممسكاً قدمه وقد سكر تماماً ويعد بسخرية:

"أحد عشر.. اثنا عشر.. ثلاث عشر.."..

يضحك الجميع..

سان يكمل متخيلاً الانفجار الذي حدث لأوغل فيقول وقد وقف مترنحاً:

"أربع عشر.. بووووم".

ثم يضحك بصخب ويضحك باجا ويجلس..

الأطهار يحتفلون..

طبلة ضخمة جداً بقطر ثلاث أمتار يدق عليها عشرة رجال عراة الجذوع.. يدقون دفعة واحدة بأيديهم وبتناغم متتابع..

~~

البعض يرقص رقصات صينية على هذا الدق وامتزجت معها بعض الحركات اللاتينية

~~

البعض خلع ملابسه المليئة بالدماء ليستحم في عين صغيرة.. يرشون بعضهم بالمياه ويلهون..

~

البعض يرقص بالسيوف ويمثلون كيف ذبحوا الحراس والخيل وحرقوهم ويضحكون بصوت عال.. يتمايلون من السكر..

~

البعض ملتف حول نار وشواء لجسم ضخم.. الأيادي تتخطف أجزاء منه وهو ساخن جداً.. لقد جلبوا معهم أحصنة حية وشووها كتذكار..

~

صينية لحم وأرز ضخمة جداً توضع أمام باجا.. ينظر لها بجشع وينظر لسان والمجموعة التي معه ويقول:

"هذا هو الاحتفال الحقيقي".

* * *

ملجأ الشمس.. خيمة توفيق

يد محمود..

تضع كوب شاي بلبن على طرف طاولة صغير بأدب..

صوت محمود المستيقظ منذ قليل:

"والله ماكنش فيه لزوم التعب ده يا توفيق".

يد توفيق..

تربت على قدم محمود المرتدي بنطال منامة قديم له..

محمود يتابع ويشرح لخامس مرة ولكن بشكل مختلف:

"أول ما صفارة حظر التجول زمرت.. معرفتش اعمل إيه.. ببص لقيت نفسي على ناصيتكو"

توفيق ينظر له بعتاب..

صوت سلوى من الداخل ينادي على بائع الجرائد الذي يجري سريعاً:

"هاتلي شهود وبباقي العشرة ليمونتين.. معاك عشرة ف الكيس".

صوت البائع من خارج شباك الخيمة يتكلم بسرعة:

"دي خمسة واحدة.. احدفي خمسة كمان".

في لحظات توفيق خرج ليمسك به من رقبته:

"جرى إيه يا ابن التفة.. أنت حاتخيب ولا إيه".

الشاب يستعبط ويهرش في قفاه ويخرج محمود ليخلصه منه:

"لا مؤاخذة يا استاذ.. بسرعة طب ئبل ما يعاينوني الحرس".

كان يبيع في فترة حظر التجول.. وهذا معناه إنه معرض للموت في أي لحظة.. لم يكن ليظهر على أي شارع رئيسي.. فقط الشوارع الداخلية والمعسكرات والملاجئ.. فالدوريات عادة لا تدخلها..

تذكر شيئاً وهو يضع جريدة شهود والليمونتين في الكيس:

"ابنك الصغير مش باين ليه؟".

توفيق لا يرد ويتسمر في مكانه.. يتراجع للخلف.. يأخذ محمود الجريدة ويساعده على الدخول والجلوس..

من وراء الستار الفاصل لاحظت سلوى التسمر البادي على توفيق ففهمت السبب..

محمود يفتح الجريدة ويقول لتوفيق ويلكزه حتى لا تلاحظ زوجته شيئاً:

"كاتبين إيه بئه.. القاهرة تحترق.. هجوم على بورصة الخيل.. اصابع الاتهام تتجه للاطهار.. حظر تجول شامل من الحماية التركية

باجا: ظهورنا في الشارع مجددا مرتبط بضمانات جديدة ولا نعلم شيئاً عن الأطهار..

شوكت: سننتقم.. سننتقم.. سننتقم.. الاعلان عن مفأجاة سارة قريبا و أوغل بخير".

وأخذ يقرأ العناوين الأخرى بلا صوت.. ثم تذكر شيئا فقاله لتوفيق:

"أنا سمعت أمبارح وانا جاي أن الكوبيين اعلنوا إنهم مش حاينزلوا شغلهم في المحلات إلا إذا تأكدوا أن الأتراك مش حايموتهم.. وأن ريسهم اللي اسمواالمبجل ئال: كفاية.. احنا مش هنود حمر".

توفيق يحاول الاستقراء من العناوين التي في الجريدة:

"يا ترى إيه هي المفأجاة؟".

صوت طبول قوية يتناهى إلى مسامعهم من بعيد..

أصوات من الخارج.. ناس تسلقت العامود بسرعة:

"الجنازة معدية.. كبيرة جداً".

توفيق يتكلم اخيراً ويسأل سلوى خلف الستارة:

"هو بتاع الكروت حايعدي امتى.. عايزين نشوف الجنازة".

ردت بصوت باك:

"مش عارفة".

محمود يرشف من الكوب ثانية يكرر لتوفيق:

"والله ماكنش فيه لزوم التعب ده يا توفيق".

* * *

<u>أوغل في المستشفى</u>

جالساً في سريره والطبيب يفحصه..

بقعة دماء كبيرة على جانبه الأيمن..

الطبيب ينظر لطبق مليء بالشظايا الذي استخرجه الجراح من جسده..

ينظر له متعجباً من صموده.. يتكلم أوغل مع أحد قادته في اللاسلكي:

"كيف اختفوا.. لقد كانوا الفين على الأقل لابد أن تعثر على أي آثر لهم.. أي آثر".

وتابع بتألم عندما حاول تحريك يده:

"وفي أقرب وقت".

وأنهى الاتصال شاعراً بالإنهاك الشديد.. والطبيب اخرج سن الإبرة دون أن يشعر أوغل بشيء.. لاحظ ما فعله امسك بتلابيبه وهزه بقوة:

"لماذا تفعل ذلك.. لماذا.. لابد أن اعثر على هؤلاء الكلاب".

وعاد بجسمه للخلف وأغلق عينيه شاعراً برغبة ملحة في النوم و سؤال واحد ظل يردده حتى غاب عن الوعي:

"أين يعيش الأطهار؟".

* * *

<u>خطبة نقض الاتفاقية</u>

ميدان التحرير

~~ شوكت يصعد درجات خشبية لمنصة عالية ليخطب في القوات ~~

~~ يمسح عرقاً مليء جبهته بمنديله الأبيض المنقوش عليه اسمه بخيوط من ذهب والذي أهداه له السلطان ~~

~~ اخرج ورقة أعدها على عجل منذ ساعة واحدة ~~

~~ نظر للقوات قرابة العشرة ألاف المحتشدة في الميدان ~~

~~ جنود على وجهها إمارات الغضب ~~

~~ جنود متحفزة تنتظر إشارة الانقضاض ~~

~~ حصان غاضب ينفر ويهز رأسه ~~

~~ جندي صغير يتحرك مكانه يود الانتقام ~~

أطال شوكت النظر في كل ذلك ثم طوى الورقة وقرر ترجل الخطاب وشاشة ضخمة تدفع على عجل لتستقر بجواره:

((("الليلة الماضية كانت صعبة علينا جميعاً"))).

الجندي الصغير بكامل عتاده بآخر الصفوف يسمع باهتمام الصوت الضعيف الذي يصله عبر مكبرات صوت رديئة:

((("دماء.. وضحايا.. ودمار"))).

الشاشة تعمل ليشاهده كل الحضور حتى الجندي الصغير في آخر الصفوف يسمع ويرى شوكت وهو يتابع ويتمتم بالكلام خلفه بصوت خافت:

((("دموع واشلاء"))).

شوكت مستنداً بيده على حامل الميكرفون ناظراً للكاميرا:

((("هذا الفجر كنت أفكر في أيام مضت منذ سنوات)))

(((ثمان سنوات على وجه الدقة والتحديد)))

(((يوم أشداء.. يوم كنا أشداء)))

(((يومها كانت لدينا فرصة سهلة لأبادتهم تماماً والإجهاز عليهم دون أن نبقي على أي واحد منهم)))

(((ولكننا آثرنا عدم فعل ذلك بعد تدخل جهات وترجتنا لنوقف القتال)))

(((وبعدها حصلنا على ما أردنا بالسياسة التي تلت المعركة")))

كمال و خالد يتابعان هذا الجزء باهتمام فهما المقصودان بهذا الكلام

يتابع شوكت الاستطراد وكل العيون تتابعه :

((("وبعد عامين من أشداء..

ويوم معركة القرف والتي سموها هم الشرف..

قاموا بتحركات في سيناء ليعلنوا للجميع.. للعالم اجمع.. أن الصين سحقت تركيا.. ثم ماذا؟؟"))).

الشاب في آخر الصفوف يسمع بانتباه وقد استند على سيفه الضخم:

((("في خلال ثلاثة أيام.. ثلاثة أيام فقط طوقناهم بالعملية سوار"))).

ثم شرب قليل من الماء ليتابع :

((("وكان الأمر كشرب هذا الماء.. أليس هذا ما حصل؟

وليومين كاملين لم يستطيعوا الهرب والعنوا.. واعلنوا.. إنهم مستعدون للتفاوض...

و دون شروط"))).

يحيى يتابع الجزء التالي بترقب ويهز قدميه في توتر:

((("فإذا بالقوات الأوربية بقيادة بلي كستر تغدر بنا وتحيط بنا في ليلة مطيرة.. وكانت ليلة عيد الأضحى كما تتذكرون))).

ويقول لنا السيد كمال فجأة:

((((إن لم تنسحبوا الليلة وتفكوا السوار فستكون مذبحة للجميع.. وسيغدوا العيد اسوداً علينا جميعا))))".

يشرب شوكت قليل من الماء ثانية ليتابع بقوة ويحرك يديه بحماس:

((("والآن اقول للجميع أين أنتم وأين تركيا؟.

تركيا الآن في ميدان التحرير.. أكبر وأهم ميدان في القاهرة.. لا بل في مصر كلها.. وأنتم في الجحور مختبئون.. وتعضون على ايديكم.. خوفاً منا.. فمن المنتصر ومن المنهزم يا ترى؟))).

(((المنتصر.. هو الواقف على قدمين على أرض ثابتة وفي ظل سماء صافية))).

(((أما من.. من يسكن الجحور وتحت الصخور فهو ماذا..؟)))

(((أنتم تعرفون من يسكن الجحور ويبيت تحت الصخور"))).

أحد الجنود يهتف من وسط الصفوف:

"الصرصور! !".

شوكت أعجبه التشبيه فقال عبر الميكرفون:

((("نعم.. احسنت التعبير.. الصرصور! !"))).

ويتابع وقد تحمس وعلا صوته:

((("للجميع.. اقولوها للجميع.. في المرة القادمة عندما تهجم الأسود على الضباع

الهاربة"))).

وسكن لحظة ليكمل وهو ينظر لعيونهم المتحفزة:

((("لن ترحمها"))).

ضج الجميع بالهتاف ورفعوا السيوف والرشاشات.. الجندي الصغير يهتف حتى أن لوزتيه تزغردان بقوة..

وشوكت يتابع بانفعال وقد ألهب وألهب حماسهم:

((("لن تعطف عليها"))).

شوكت يتابع بصراخ:

((("لن يذوقوا منا سوى طعم واحد"))).

وتابع بعد سكون ثان وهو ينظر عن يمينه حيث التوابيت المتراصة بجانب بعضها صامتة تصغي للكلمة التي خرجت من فمه كالطلقة وهو يشير للتوابيت الصامتة بسبابة قوية لا تهتز:

((("طعم الموت"))).

الجميع يصيح ويصيح حتى تحول الأمر إلى معمعة كبرى..

شوكت ينتظر ثوان حتى هدءوا و يخرج ورقة وحيدة من جيبه:

((("منذ اربع سنوات وقعنا على اتفاقية اسمها"))).

وتابع بسخرية وهو يلوح بها في الهواء عالياً:

((("التعاون والتآخي"))).

ثم توجه إليهم بالسؤال الساخر:

((("هل تريدون مثل هذه الاتفاقية؟"))).

الجميع يصيح بصوت رجل واحد:

"لا".

شوكت يسألهم بصراخ ويعد على أطراف أصابعه كأنه استفتاء شعبي ويشير بيده للتوابيت المتراصة:

(("هل هناك مبرر لبقائها؟")).

الجميع يعيد الصياح بشكل أكثر حماساً وقد فهموا قصده:

"لا".

شوكت فارداً الورقة ويمسك بها من طرفيها ويرفعها إلى أعلى ويقول:

(("فلتذهب إذن ويذهب أصحابها إلى الجحيم")).

ومزق الاتفاقية إلى نصفين في بطء..

صيحات الجنود تضج بالمكان.. الكل يرفع سلاحه..

الطلقات تطلق في الهواء..

بعض الزغاريد من تركيات قاطنات البيوت التي تطل على الميدان

شوكت يلقي بقصاقيص الورق على الأرض..

الجنود ينقضوا عليها ويدوسون عليها بأحذيتهم الثقيلة..

أحدهم امسك بقصاصة صغيرة لا تمزق ومزقها بجنون..

كمال ويحيى وطارق يغادرون المكان في هدوء.. والحرس يتبعهم..

فالموقف محرج بالنسبة لهم.. فوجودهم سيصبح بمثابة موافقة منهم على رأيه..

شوكت يرفع ذراعيه في الهواء ويلوح بقبضته..

الجنود يصيحون بانفعال:

"المفاجأة.. المفاجأة".

شوكت ممسكاً بالميكرفون ثانية:

((("تريدون أن تعرفوا ما هي المفاجأة التركية؟"))).

الجميع يهتف بتزامن وتعاقب:

"نعم".

شوكت بابتسامة ثقة واسعة ويمسح عرقه بالمنديل المذهب:

((("سأخبركم"))).

* * *

~~ شوارع القاهرة فارغة تماماً من السكان ~~

~~ كوبري قصر النيل فارغ تماماً ~~

~~ ميدان رمسيس لا أحد فيه ~~

* * *

شوكت يتحدث ببطء وثقة:

((("المفاجأة التركية.. إنه الآن ونحن نتحدث في مكان ما يعمل رجال ويجهزون"))).

وصمت ناظراً في العيون ليلاحظ إنها لا تتوقع ما سيقول ليكمل بثقة:

(((" ... يجهزون لافتتاح البورصة من جديد"))).

ضج الجميع بالصياح والابتهاج ليكمل:

(((" ... وفي غضون لحظات"))).

الشاشة الضخمة بجواره تتغير صورتها من صورته إلى آخري ليظهر رجل تركي ببدلة أنيقة

داخل مبنى يشبه بورصة الخيل المحترقة..

الجميع يضج بالهتاف وشوكت يسأل الرجل:

(((”هل أنتم جاهزون؟”))).

~~

باجا وسان وجمع من الأطهار يتابعون الحدث عبر شاشة ضخمة في مقرهم السري..

باجا ينظر لسان وهم مصدومين فعلا..

~~

المقاتل التركي العنيد يواصل الشرح:

(((”التخطيط لبناء مبنى بورصة بديلة جاء نتيجة دراسات سابقة أفادت باحتمالية قيام الاعداء بتنفيذ عملية تخريبية ناجحة ضد مبنى البورصة.. فتم بناء هذا المبنى وهو شبيه بالآخرتماما”))).

الصورة توضح فعلا أن المبنى يشبه القديم في الشكل من الخارج..

يتابع الرجل متحركا للأمام مع الكاميرا ليوضح لنا المدخل:

”وقد روعي أن يكون المبنى الجديد شبيه بالقديم.. كذلك كان يتم نقل نصف اعداد الأحصنة المولودة تباعاً إلى حظائر سرية تمهيداً لوصولها بحلول منتصف النهار وبدء التداول من غداً”.

الصورة تختفي وشوكت يصفق للرجل..

وقد شعر أنه خرج منتصراً من هذه المعركة..

وجميع الجنود تصيح وتهتف بلا انقطاع:

"تركيا.. تركيا.. تركيا"

* * *

الدويقة.. منزل الريس

الريس ومحروس ونخلة يتابعون والريس يسأل محروس:

"يا دماغي.. هو مش البورصة ولعت أمبارح؟".

محروس لم يفهم ما يحدث فلا يرد..

نخلة يشرح لهم:

"أيوة يا ريس التراكوة كانوا عاملين حسابهم فبنوا واحدة جديدة".

الريس ولم يفهم بعد ويتظاهر بالفهم:

"أيوة.. أيوة.. اتلخئت يعني.. يكون.. يكون".

* * *

منزل الشيخ صالح يحي الخنسين

الشيخ يغلق التلفاز وقد انتهى شوكت من كلمته بعد أن افتتح البورصة الجديدة:

"كلمة قوية من مقاتل عنيد.. كأنه هو المنتصر".

وينظر لراوي الصامت ليكمل بما نوى فعله بعد أن شاهد كلمة شوكت:

"حنكمل الاستعدادات للعملية".

وكان يقصد عملية الميناء..

ميناء إمبابة..

* * *

قصر القبة

السيد كمال يحدث شوكت في اللاسلكي:

"لقد تجاوزت كل الحدود يا سيد شوكت.. إنه إعلان حرب"

~~

شوكت وينظر للقاهرة الساكنة من عل باستخدام المرآة المقربة:

"لم أكن البادئ.. أنا مفعول به يرد ولست بفاعل يبغى"

~~

كمال يرد بما وصله من باجا عن طريق السيد طارق:

"الصينيون يطلبون التفاوض حقناً للدماء"

~~

شوكت وقد نزعه العرق التركي:

"مضى زمن هذا الكلام"

~~

كمال يتابع بكلام باجا الذي جاءه مكتوباً على ورق وليس شفهياً:

"يقولون إنهم لا يعرفون مكان الأطهار ولا علاقة لهم بهم.. وإنهم سيردون بقوة على أي عمليات تهور من قبلكم"

~~

شوكت يعيد ويكرر:

"مضى زمن الاستهبال.. سنعلمهم من هم الأتراك"

وتابع موضحاً لكمال أن الخصومة ليست مع المصريين:

"أرجو أن تنآى بنفسك وشعبك عن هذا الصراع"

~

كمال بعصبية وقد فقد اعصابه:

"وكيف يكون ذلك وأنتم تتصارعون على كل شبر من هذا الوطن.. ماذا لو اضرب النـاس عن العمل.. كيف سيكون موقفكم؟

~

شوكت وقد قرأ أفكار لم تأت لكمال أصلا:

"هل تهدد بسلاح الإضراب؟ ومن أين ستأخذ راتبك.. أنسيت أن الرسوم الـتي تحـصلها هي مصدر دخلك الأساسي".

~

كمال يوضح وهو يعلم ذلك تماماً:

"أنا لم اهدد بشئ.. ولكن ماذا لو اتفقت الناس على ذلك؟"

~

شوكت منهياً الحديث:

"هذا عو عملك أن تمنع حدوث ذلك.. لا يوجد لدي ما اضيفه"

~

وأنهى الاتصال بقوة.. كمال أغلق الاتصال بدوره وغرق في أفكاره تماماً محاولاً الإجابة عـن السؤال الحساس والذي يسأله الجميع الآن:

"ماذا تخبئ الأقدار لليالي القاهرة المقبلة؟

* * *

<u>مكتب شوكت</u>

شوكت يفكر مع نفسه وهو يكتب على ورقة أمامه بخط كبير:

المماليك الجدد.. خير جند

هل أن الأوان لظهورهم على الساحة واستخدامهم؟

هل الأمر يستحق؟

أم الانتظار أفضل؟

كان يفكر في المشروع القديم الذي أعده وأشرف عليه بنفسه..

كان يقضي بتدريب عناصر مصرية من صغرها في معسكر سري لا يعلم أحد عنهم شيء..

يدربون كمقاتلين أتراك أشداء..

كلامهم بالتركية.. تعليمهم بالتركية..

ودرسوا التاريخ والجغرافيا التركية..

معزولين عن العالم تماماً..

لم يروا أهليهم ونسوهم تماماً.. أدخرهم كل هذه السنين حتى تجاوز عددهم الستة وعشرون آلف فارس

والآن يفكر في معادلة قوة الأطهار التي ظهرت بمثيل لها من جانبه حتى تتوازن الأمور..

راح يخط على الورق خطوط ودوائر ويفكر بعمق وبصوت عال:

"هل أن الأوان؟"

* * *

<u>بعد ذلك بأيام</u>

ميناء إمبابة.. صباحاً..

القفاز الجلدي السميك وكيس البلح الصغير وكيس اللبن الداكن هذه المرة.. يدفع الثلاثة عبر الفوهة الصغيرة.. يمد محمود يده بتلقائية ويأخذهم ككل يوم.. ولا يسأل عن سبب لون اللبن

الداكن..

الموظف الصيني من الداخل يمد يده الصغيرة كجسمه بظرف بني:

"آخر اليوم.. هات قفاز.. خذ هوية.. مكافأة إجادة".

التقط محمود الظرف وفتحه بسرعة وهو متعجب.. إنها أول مرة تحدث ولم تحدث من قبل.. فتح الظرف وعد المبلغ بعينه سريعاً..

1000 جنيه.. اتنين كيلو لحمة والباقي سيعطيه لهدى مصروف بيت..

ارتدى القفاز المرقم وهو يسير للرصيف وهو يفكر في سبب المكافأة..

جاءه الرد من زميله العجوزعم إبراهيم وقد لاحظ شروده:

"الصينيين بيشتروا تعاطفنا".

فكر محمود في هذا الاحتمال وأنه ربما يكون صحيحاً.. فلو استحقوا مكأفاة إجادة لاستحقها من أول عمله..

الحارس الصيني الابطش يصيح بهما بلا مبرر:

"أنت.. هو.. خصم عشر مية".

عم إبراهيم لا يحتمل ويلقي بالكراتين الثقيلة على الأرض مع صوت تكسر ما بها ويندفع نحوه مشوحاً في وجهه:

"محوووو.. ليييه.. حرام عليك.."

جمع من العمال يترك ما بيده ويندفعوا ليحيطوا بالحارس في غضب..

محمود يحيط عم إبراهيم الهائج بذراعيه:

"خلاص يا عم إبراهيم.. أنت نسيت كلامك ولا إيه.. طافح يا عم إبراهيم.. طافح".

العمال يضيقون الخناق حول الحارس الذي يرفع مسدسه في الهواء ويطلق طلقة في الهواء..

يسكن الجميع بمن فيهم عم إبراهيم الذي يلهث بشدة.. فحالة قلبه لا تسمح بهذه الضغوط العصبية.. فعمليتي قلب مفتوح ليستا بالآمر الهين

مراقب الرصيف يقترب من الجمع وقد شاهد كل شيء من البرج العالي في منتصف الرصيف.. ويفكر..

سحب الجونتي معناه أن كل شيء قد انتهى ..انتهى تماماً ..فصل نهائي

أشار لمحمود وإبراهيم بحزم:

"أنت وأنت.. احضر مكتب".

لم يكن هذا جيدا.. لم يكن هذا جيداً على الإطلاق.. فهذا ربما معناه سحب الجونتي..

سارا بصحبة حارسين مدججين يسموهم العمال *مازنجر وافروديت*.. فقد كانا على علاقة حميمة وشوهدا وهما يمارسان الحب في المخزن.

ومحمود ينكت مع عم إبراهيم وهو ينظر للحارسين اللذان يسبقانهما:

"طم تكا تك تك طم تك تك.. اتمختري يا حلوة يا زينة.. تفتكر حايسحبوا مكافأة الإجادة".

عم إبراهيم وهو يسرح ويفكر في الاحتمال الأصعب من طول خبرته في العمل بالميناء:

"ئول يا رب ما يسحبوا الجونتي".

* * *

<u>*صحراء الجيزة.. ليلاً*</u>

الاهرامات شاهدة..

يتوقف شبح سيارة أنيقة في مواجهة شبح سيارة آخرى أنيقة.. تنزل من الأولى أقدام بها حذاء جلدي أنيق يسعى صاحبه كي لا تتلوث برمال الصحراء..

شعر صاحبها ببرودة الطقس الشديدة الليلة..

يركب في السيارة الأخرى بجوار مقعد السائق الذي يحييه في الضوء الخافت الداخلي للسيارة:

"في موعدك تماماً سيد شوكت".

شوكت يمد يده الباردة بالسلام ويغلق زر الإضاءة:

"لأنه ميعاد انجليزي سيد جون".

جون بدبلوماسية تعودها من أبيه:

"تقبل تعازي وبالغ اسفي".

شوكت يرد وقد بدأ يشعر بتأثير مكيف السيارة الدافئ:

"أشكرك".

ويتابع قبل أن يتكلم جون فهو يريد الدخول في الموضوع مباشرة:

"اعتذرعن تأخري في التوريد كما اتفقنا لأسباب خارجة عن إرادتي"

جون ناظراً للصحراء الواسعة وهرم خوفو يبدو واضحاً خلف شوكت:

"الواقع لقد جئت لك بمطالب جديدة".

شوكت لم يكن يتوقع ذلك بينما جون يقول بوضوح وتحديد:

"نريدك أن تضاعف الكمية الشهرية".

شوكت مستعجب.. فماذا سيفعل الأوربيين بضعف العدد 500 جثة في الشهر:

"أضاعفها؟".

جون يوضح أكثر أن المطلوب أكثر وأكثر:

"أربعة أضعاف".

شوكت يسأل مباشرة وقد بدا يشعر بسخونة الجو داخل السيارة:

"ماذا ستفعلون بألف جثة في الشهر".

جون يلقي بمزيد من التوضيح على رأس شوكت المحتار:

"الواقع إننا لا نريدهم جثث.. نريدهم أحياء".

شوكت محتار ويدير الموضوع برأسه بسرعة ويردد بلا وعي:

"وماذا ستفعلون بألف إنسان حي؟".

جون لم يزد عن قول:

"أبحاث طبية".

شوكت يستفهم ويخلع الكوفية شاعراً بالعرق يسيل في قفاه من الحر والتفكير:

"حول ماذا؟".

جون يوضح باقتضاب:

"الابحاث سرية للغاية حول تآثير الغازات السامة".

لم يهتم شوكت أن هذا معناه أن يتحول هؤلاء المساكين إلى فئران تجارب..

ولم يهتم في مخاطر هذه الأبحاث لكنه اهتم بما هو أهم في نظره فقال لجون:

"لكن التكلفة ستختلف.. فالخطف أصعب من القتل".

جون متفهماً وينظر في عمق الصحراء:

"بالتأكيد.. سنضاعف المبلغ على كل رأس".

شوكت يحسبها سريعاً في رأسه مع الكمية الجديدة و جون يتابع مشيراً بإبهامه للكنبة الخلفية للسيارة ويضيء السيارة من الداخل:

"مع هذا العربون المقدم".

نظر شوكت خلفه فإذا كوم من الرزم الحمراء المتراصة والمربوطة بإحكام تظهر من انقلاب حقيبة السيارة للداخل واختفاء الكنبة داخل الحقيبة..

صوت جون المغري كالفحيح بجوار اذنه مع رائحة كأس الماي تيه روا التي تنبعث من فمه:

"10 مليون يكبر.. عربون شخصي بخلاف أية مبالغ آخري مطلوبة"

ازدرد شوكت لعابه وألقى كل التخوفات من رأسه مع رؤية المال.. الرزم الحمراء الذي تميل أي رأس:

جون يمد يده ليصافحه ويكرر: ~ شوكت دون تردد يمد يده:

"اتفقنا". "اتفقنا".

* * *

داخل المسجد.. قرب الثانية صباحاً

الشيخ وراوي ومجموعة متحلقون في دائرة كبيرة.. العدد يقارب المائة.. الجميع يرتدي ملابس عادية وقد وضع الرشاش بجواره وحقيبة ظهر صغيرة على ظهورهم..

الشيخ يواصل خطابه:

(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)

الألم واحد.. ولكن العاقبة مختلفة.. إن مت فأنت في الجنة ولك ست من الجوائز الفورية.. أما هو فيلقى في النار.. أرى النصر قريباً الليلة.. واكرر".

وصمت ليرى تأثير كلامه في عيونهم ليتابع:

"الهدف هو الاستيلاء على الميناء وليس تدميره.. اقتلوا كل الصينيين ودعوا كل المصريين".

صوت صفير ينبعث من جهازه اللاسلكي فيقول بسرعة:

"هيا إنها الإشارة.. إخوانكم الأتراك سيقابلونكم في النقاط المحددة.. والهجوم لا يبدأ إلا عند إشارة راوي"

البعض يحتضنه بسرعة..

يتجهوا جميعاً إلى الفتحة الموجودة في غرفة حارس المسجد والموصلة للمحل

ينصرفوا في مجموعات مرتبة وبتتابع محفوظ..

الشيخ يحتضن راوي وقد انتفخ جسمه الضئيل لارتدائه واقي من الرصاص أسفل ملابسه..

الحضن طال ولا يدري كلاهما السبب:

"احرص على أن لا يصاب.. فهو جديد".

هكذا تمتم له الشيخ بتماسك وخبط على صدره ليتردد صوت معدني..

راوي يحضنه ثانية سريعا ليسارع بالخروج مع مجموعته الصغيرة الأخيرة..

نظر له الشيخ والقلق يساوره.. يرفع رأسه للسماء ويدعو:

"اللهم انصر الحق وأهله.. واهزم الباطل وشركه".

* * *

<u>على مقربة من الميناء</u>

عم إبراهيم ومحمود يجلسان على حافة منحدرة أمام النيل مباشرة كانت مشتل للحي فيما سبق..

محمود يجلس بجواره ويشاهد الميناء مضاءة على الجانب الآخر ويقول:

"الله.. والله كلامك صحيح.. ئعدة حلوة بجد".

عم إبراهيم يخرج موقد صغير وكوبين صغيرين نظيفين ويقول:

"لسه لما نعمل كوبيتين شاي.. حاتحلو اكتر واكتر".

محمود لا يتوقع إنها *ستحلو* بعد أن فصلا ويقول:

"اكتر من كده حلاوة يبئى غلقم.. حانعمل إيه يا عم إبراهيم؟".

الرجل العجوز يضع الشاي في الكوبين ولا ينظر له ويقول:

"حانعمل شاي بالنعناع.. حنعمل إيه يعني.. حاندور على شغل تاني.. هو يعني احنا كنا مولودين في المينا".

محمود بتأثر بالغ لصمود الرجل:

"بس أنت بئالك معاهم يجي 20 سنة".

عم إبراهيم ويضبط وضع البراد الصغير على الموقد:

"19 سنة.. وشهرين.. و4 أيام".

محمود مستعجباً تنكر إدارة الميناء له:

"يااه.. يا ولاد الئديمة".

عم إبراهيم ينظر له ويرفع رأسه للسماء:

"خليها على الله يابني".

ويدعو عليهم بحرارة:

"قادر ينتئم منهم في لحظة".

ثم نظر له وسأله بعادته الحبوبة اللطيفة عن شيئ انقرض منذ زمن ولم يعد يفعله أحد:

"تحب تصطاد سمك".

* * *

الدويئة.. منزل الريس

الريس قلقان ولا يدري مصدر قلقه ويقول لمحروس المسك بالاسلكي في انتظار اشارة من رجاله بانهم وصوا الميناء وسيبدأون العملية:

"مش عارف.. نفسي ثاقلة من العصاري ومش عارف ليه.. مش مطمن لجوز الخيل المغاربة".

محروس يخبط على قدميه:

"اطمن.. ربنا حاينصرنا.. احنا ما بنعملش حاجة غلط".

الريس وينظر له مباشرة:

"وما بنعملش حاجة صح يا خوتة"

محروس يلاحظ تغير مزاجه فيقترح:

"بئولك إيه يا ريس.. تعالى نزور عم سعيد".

الريس متعجب من التوقيت ويهرج:

"دلوئتي.. يا خوخة.. تلائي ميت".

محروس ويأخذه من يده:

"تعالى بس.. حاخلي الولا خضر يفتح لنا المئام نئعد فيه ساعة".

الريس ومحروس يجره ليخرجوا والريس لا يريد ويردد:

"يا خوخة احسن نزعجه ولا حاجة".

* * *

إمبابة.. منزل المغاربة

صوت خافت من مجموعة صغيرة يتمتم:

"آمين".

الإمام يواصل الدعاء ويكرر لثالث مرة:

"اللهم انصرنا على أعدائنا".

المجموعة الصغيرة من خمسة عشر شخصاً حوله مرتدية ملابس مدنية والرشاشات معلقة بأكتافها يقودهم يعلى المسك باللاسلكي.. مغمضوا العيون رافعوا أكف الضراعة يتمتمون:

"آمين".

الإمام يعدل وضع ردائه.. ويستعد لمواصلة الحديث إليهم لتحميسهم..

صوت صفير يصدر من جهاز يعلى اللاسلكي.. صوت الزفة الشعبية يأتيهم من بعيد قرب الميناء.. يقول لهم الإمام بسرعة:

"هيا.. انضموا إلى اخوانكم من حالئين.. لقد وصولوا".

يسارعون بالانصراف يمسك الإمام يعلى من كتفه ويودعه بنظرة قوية:

"اهزم الموت ولا تدعه يهزمك إنها اولى معاركنا.. فلا تخيب أملي فيك"

اهتز يعلى لكلماته.. يربت على كتف الإمام ويقبله دون كلام.. وينصرف..

يقف الإمام الهادي خلف الزجاج في الظلام وينظر إلى الميناء البعيد..

يرفع رأسه للسماء ويدعو بحرارة:

"اللهم انصر الحق وأهله.. واهزم الباطل وشركه".

* * *

لا يصطاد السمك

محمود ينظر لعم إبراهيم متعجباً مما يفعل..

كان يجلس على مقعد صغيرملقياً سنارته البوص في النيل..

محمود بتعجب وظن أن الرجل خرف:

"يا عم إبراهيم النيل مافهوش سمك من زمان".

عم إبراهيم دون أن ينظر له ويركز في الصيد:

"ومين ئالك اني بصطاد سمك.. ما اناعارف إنه مافهوش سمك".

محمود مستفهماً:

"امال بتصطاد إيه؟ نسوان".

انفجر عم إبراهيم بالضحك من الكلمة..

صوت يجيب على محمود من الخلف:

"هاها.. حلوة.. بيصطاد اللي بيصطاده يا أخي"

ينظر محمود وعم إبراهيم فإذا توفيق يطل عليهم..

عم إبراهيم ويحرك البوصة يمنة ويسرة:

"اتاخرت ليه يا توفيق.. تعالى ئوله".

توفيق يجلس معهم وقد تعبته قدماه من المشي:

"اااه.. مشيت كتير ئوي.. السكك كلها مئفلة حرس".

عم إبراهيم يلتفت و يوضح لهم بخبرة السنين وضوء القمر ينعكس على وجهه ليبدو كرسمة وجهه خيالية أسطورية:

"طول عمرالنيل ده فيه أسرار كتيرة عظيم.. من أيام الفراعنة كانوا بيئدسوه ويعملوا لـه

ألف حساب ويخافوا على زعله... هووووب".

وجذب السنارة بعد ما شعر بقرب اقتناص شيء ما..

الخيط يطلع فاضي.. يتابع عم إبراهيم:

"معلش.. حاتيجي المرة الجاية".

محمود يكاد أن يجن:

"هي إيه دي اللي تيجي يا عم إبراهيم.. الجنية".

عم إبراهيم لا يعبأ باستهزائه ويلقي بالخيط المعلق به خطاف ويتابع:

"حتى دلوئتي بعد ما خلصنا على سمكه برده مليان أسرار.. هووب"

وجذب طرف السنارة ليجذب معها جسماً مغطى بخيشة مبتلة ويقول لمحمود المذهول:

"تعالوا ساعدوني".

محمود وتوفيق يساعداه على رفع الجسم من الماء بحرص حتى لا يسقط يضعوه على الأرض الطينية..

بيد مرتعشة عم إبراهيم يفك الخيش المربوط بحناية..

يخرج كيساً بلاستيكياً كبيراً به جسم معدني..

يقطع الكيس بعشوائية الفضول ليخرج الجسم المعدني الغير مبتل..

يرفعه لأعلى ويسأل محمود المأخوذ تماماً بما يحدث:

"إيه ده؟".

* * *

قرب الميناء

الزفة البلدي حامية جداً..

قرابة الخمسمائة رجل يزفون العريس والعروس..

الكل يرقص مبتهج بالليلة السعيدة..

الحراس الصينيين يراقبون الموقف عن كثب..

حارس صيني يحرس المدخل الغربي القريب من الفرح على بعد أمتار من الزفة لزميله المستمتع بمشاهدة الزفة:

"فرح في هذه الاجواء".

الآخر مشعلاً له سيجارة:

"المصريين لا يعبآون".

يحاول الأول النظر إلى حافة النهر حيث الجمع يغطي تماماً على حافته.. وتقتضي الأوامر أن يكون كل شيء مكشوفاً أمامهم.. يطحن أضراسه بتوتر.. ويده تداعب الزناد بترقب..

~

راوي في مكمنه بالقرب من ذلك يشاهد ما يحدث..

الفرح قريب جداً من الميناء وبالتأكيد سيقع منهم ضحايا..

يرفع اللاسلكي ويسأل الشيخ:

"يا شيخ.. هناك فرح وفيه مصريين".

الشيخ يرد مباشرة وقد فهم سؤاله:

"نفذ.. ولا تتردد".

راوي يؤكد عليه:

"سيقع منهم ضحايا".

الشيخ ينهي الحوار:

"كل يبعث على نيته.. انتهى"

~~

على حافة النهر

بعض من رجال الفرح يجذبون حبال من المياه بها خيش مبتل ويناولوها لآخرون..

الآخرون يفضون الخيش ويقطعون الأكياس البلاستيكية ويناولوها لآخرون..

الآخرون يخرجون الرشاشات الصغيرة ويجهزوها في لحظات..

واحد منهم يهمس عبر اللاسلكي:

"الحارس يشك وبيتحرك ناحيتنا".

من قلب الزفة ينظر نخلة للحارس وقد لاحظ إنه يشير لصاحبه على موضع الرجال.. ويجذب زناد مدفعه وهو يشك بشئ ما..

~~

الحارس يجري باتجاه حافة النهر ويبدأ في إشهار سلاحه..

~~

راوي ينظر ولكن زاوينه لا تسمح له برؤية رجال حائلين على حافة النهر.

~~

نخلة يبرز من الجمع لينقض على الحارس بسكينه الضخم فالرشاش لم يصل إليه بعد ويصيح بصوته العالي:

"هجوووم".

ويذبح الحارس بسكينه..

~~

من مكمنه يشاهد راوي الموقف ويصيح برجاله على الفور:

"هجووووم".

ليهجم رجاله ومعهم الجنود الأتراك على المدخل الغربي.. لتبدأ معركة كبيرة.. معركة الميناء..

إمبابة 2050

وليسطر التاريخ يوماً آخر يشهد على ما تراه القاهرة من تغيرات..

~~

توفيق ومحمود وعم إبراهيم جالسين على الأرض يفحصون الرشاش الصغير في تعجب.. عم إبراهيم يخمن بصواب:

"اكيد في حد حايعمل حاجة بالسلاح ده".

ضرب النار يبدأ على الناحية الأخرى عند مدخل الميناء الغربي

توفيق يسأل ويشير بأصبعه:

"إيه ده.. ضرب نار ده ولا الفرح؟".

عم إبراهيم يخرج نظارة معظمة من ضمن الأشياء التي أخرجها من النهر ويضعها على عينيه:

"ده.. هجوم.. من المدخل الغربي".

ويدقق أكثر في ملامح المهاجمين الملتحمين مع الحرس الصيني:

"بينهم من ناس حالئين".

ويدقق أكثر وأكثر:

"إيه ده.. معاهم ناس مش مصريين.. شكلهم..".

يقطع كلامه انفجارات ضخمة من الناحية الآخر للميناء..

كان دخول راوي صاخباً بعض الشيء..

يقلب عم إبراهيم بصره للناحية الأخرى إلى المجموعة الأخرى التي تهاجم على الحراس الصينيين بضراوة شديدة..

توفيق يأخذ منه النظارة وينظر عبرها:

"ده في هجوم من الناحية التانية"

وشاهد الراية الضخمة التي معهم ويحملها أحدهم ويريد أن يضعها على أعلى نقطة بالميناء..

يتابع توفيق ويوضح لهم:

"دول قاعدة الإخوان.. بس أنا شايف معاهم أتراك".

ثم ينظر لهم ويسألهم وهو لا يفهم شيئا:

"حد فاهم حاجة".

* * *

معركة الميناء

الميناء

القتال يشتد وبلغ ضراوة غير معقولة ~~~

الجميع يضرب في الصينيين الذي يبدو إنهم لا ينتهون ~~~

أحد رجال حالثين يطعن جندي صيني في بطنه ليخرج النصل الحاد من ظهره.. يسقط الصيني على الأرض.. يبصق عليه رجل حالثين ~~

راوي يطلق من رشاشه السريع دفعات على جنديين صينيين واقفين قرب مدخل برج المراقبة في منتصف الميناء.. يحصدهم حصداً ~~

بينما وعلى ناحية آخرى..

يعلى يقترب للبرج بصحبة أحد رجال حالثين.. طلقة تصيب الرجل المصاحب له في رقبته فيسقط صريعاً ~~

ينظر يعلى إلى القناص الصيني على مرتفع ويعيد تعبئة البندقية ~~

لم يمهله.. صوب يعلى وأطلق النار في لحظة.. ليقتله ~~

* * *

الشيخ صالح يدعو ويبتهل في المسجد

بأن يكون النصر حليفه..

~~

الإمام الهادي يدعو ويبتهل وهو جالس على السجادة وصوت تبادل النيران واضح من بعيد..

* * *

القتال يشتد

بسنجته الطويلة التي يحبها.. نخلة يقطع رأس جندي صيني..

صوت مكتوم لطلقات كبيرة تسقط بالمكان..

يعرفها نخلة.. فيصيح على الفور في اللاسلكي:

"جتلهم تعزيزات.. كله يلبس وش الغاز".

~~ يعلى يضع القناع على وجهه ويستعد لاقتحام البرج ~~

~~ راوي يضع القناع هو الآخر ويستعد للاقتحام ~~

~~

عم إبراهيم لامحاً الدخان الأبيض القاتل الذي يأتي ناحيتهم بسرعة:

"بسرعة.. الدخنة جاية".

وناولهم قناعين اصطادهما من النيل..

توفيق متسمر ويريد المشاهدة وعم إبراهيم يجذبه ويرتدي القناع الكبير:

"ابنى شوف الاعادة في النشرة.. يلا بسرعة".

* * *

البناء.. عند البرج

يتواجه الاثنان يعلى وراوي ~~

فكرا في إطلاق النار على بعضهما ~~

إطلاق نار عليهما فوق رأسيهما مباشرة ~~

لا وقت الآن لمعرفة النوايا والشخوص ~~

ما دام يضرب معنا في فلا بأس ~~

يستديرا ليطلقا النار على حارس الصيني المختبئ في مبنى مجاور ~~

يسقط وقد أصيب بثمان طلقات صائبة ~~

يعلى بصوت مكتوم من تحت القناع: راوي يرد بصوت مماثل:

"اهلاً". "وسهلاً"

يعلى مشيراً للداخل بمعنى لنقتحمه سوياً.. راوي يشير بالموافقة وبمنتهى القوة.. يضرب باب البرج بقدمه القوية..

* * *

توفيق و محمود وعم إبراهيم يركضون بعيدا..

المشهد الذي رآه توفيق من خلال النظارة لا يفارقه..

~~~~~ راوي وهو يطلق النار ويشير للرجال بالتقدم~~~~~

محمود يسأله بلهاث من خلف القناع وقد لاحظ تباطؤ خطواته:

"مالك؟".

عم إبراهيم يرد ويتوقف وأنفاسه تتقطع ويخلع القناع بعد ابتعدادهما:

"أصله كان عايز يكمل الفيلم للآخر".

توفيق يسترجع المشهد ثانية لقطة لقطة..

~~~ راوي وهو يطلق النار ويشير للرجال بالتقدم~~~

يرد على نفسه بصوت عال وهو يتوقف و يلهث:

"مش ممكن يكون هو.. يخلئ من الشبه ستين.. مش اربعين"

* * *

قصر النصورية

"سيدي"..

كان هذا هو النداء الثالث على وليام الغارق في نومه تماماً.. فتح عينيه ببطء ليشاهد حارسه الشخصي واقف عند رأسه..

أضاء ضوء الأباجورة الخافت جوار السرير الفاخر.. علم أن بالآمر مصيبة فاستعد ذهنياً

بسرعة.. يسأله وقام بنصف جسده رافعاً جزء من الغطاء بنظام:

"ماذا.. هل وصلوا للطريق الصحرواي؟".

الحارس بتعجب من سرعة تنبهه واستيقاظه:

"لا يا سيدي.. إنما هي اشتباكات ضارية في ميناء إمبابة".

وليام يسأل وينظر في الساعة التي تجاوزت الثالثة والربع:

"إمبابة.. وهل نحن طرف فيها؟".

الحارس بأدب جم:

"لا يا سيدي.. ولكن يبدو أن الجميع يدك في الصينيين".

وليام يطفئ النور ويعيد نفسه تحت الأغطية ثانية وبنظام:

"حسناً.. اخبرني عندما تنتهي المعركة".

وعاد إلى نومه..

وقبل أن يغلق الحارس عليه الباب قال له بسخرية:

"ولا تنسوا تأمين البيت جيدا.. ايتها النساء.. مفاسيخ الأرجل"..

* * *

الميناء.. البرج الرئيسي

البرج المكون من خمسة طوابق كلها سلالم والطابق الأخير مسطح واسع مسقف يستخدم للمراقبة..

راوي يتقدم ببطء صاعداً السلم الحلزوني ويعلى في ظهره يؤمنه..

جندي صيني يظهر فجأة.. راوي يتعامل معه ويرديه بعدة طلقات..

جندي آخر يأتي من تحت يعلى الذي يصوب إلى منتصف رأسه ويطلق طلقة واحدة..

صائبة..

يواصلان الصعود بطء.. وروية..

صوت نخلة يعلو عبر مكبرات الصوت داخل الميناء.. يبدو أن حالئين أجهزت على حراس غرفة الإذاعة الداخلية بالميناء.. نخلة يعيد ثانية ويكرر بالصينية:

"الحراس والعساكر ترمي سلاحها.. المعركة خلصت".

ارتاح يعلى لسماع صوته فتنهد وقد شعر بالأمان..

بينما شعر راوي بالقلق.. فالصوت والطريقة ليستا مألوفين لديه..

حارسان يظهران فجأة من فوق عدة سلالم ويطلقان عدة طلقات.. إحداهما تأتي قرب رأس يعلى مباشرة.. يتراجع الاثنان..

يخرج يعلى قنبلة صغيرة وينزع فتيلها ويلقي بها سريعاً.. القنبلة تخرج دخاناً كثيفاً بلا رائحة..

يتقدم يعلى في لحظات ويطلق النارعلى الاثنين ويحصدهم..

* * *

<u>غرفة الإذاعة بالميناء</u>

نخلة ورجال حالئين ورجال الإمام الهادي متمركزين داخل الغرفة..

اثنان من الصينيين مقتولين وآخر مكمم ومصاب بقدمه بضربة مطواة وقد ربطوها بجزء من قميصه..

أبقوه حياً ليعلمهم كيفية تشغيل الجهاز..

الغرفة جيدة الإحكام والتهوية فلا آثر للغازات السامة بها..

الراجل أبو زراع واحد الذي قبض على مجدي قبل أن يقتل الحمال يتقدم ويلهث بشدة..

نخلة يسأله عن الشيء المهم والمحدد والذي أرسله للاستطلاع عنه:

"ماسكين إيه؟".

أبو زراع يتذكر ما لديه من معلومات محددة:

"ماسكين البوابة اللي دخلوا منها جامد.. وربع الرصيف.. والمخزن الصغير.. وونش كبير".

كان هذا بمثابة 30٪ من الميناء.. نخلة يسأل عن شيء آخر:

"وماسكين كام واحد من ناسنا؟".

أبو زراع يتابع ولا يعرف العد جيداً:

"12 يا نخلة.. يعني فوئ العشرين".

نخلة يمسكه من تلابيبه:

"كيف؟.. كيف.. يا نهار زلاطية".

ويشيرلأحدهم مشيراً للميكرفون بعصبية:

"افتح الكرستالة يا عم مخمخ خلينا نشوف حانعمل إيه".

* * *

__في البرج__

راوي يتقدم ببطء من مدخل القاعة المغلق في الطابق الأخير..

يعلى يتقدم وراءه..

صوت نخلة يأتي عبر الميكرفون ولكنهم لا ينتبهون له..

فأعصابهم مشدودة إلى أقصى درجة..

ينظر راوي ليعلى من وراء القناع ويشير بيده بمعنى:

(سأتقدم وقم بتغطيتي).

يعلى يهز رأسه بقوة ويده على الزناد..

يتقدم راوي ويضرب الباب بقوة مطلقاً صيحة قتالية عالية..

* * *

<u>*مكتب باجا*</u>

باجا واقف مع سان وثلاثة آخرين من قادتهم.. على الحائط خريطة كبيرة توضح الميناء.. عليها دبابيس حمراء وزرقاء توضح تمركز المهاجمين..

باجا يسأل سان السؤال المكرر الذي لا يفهم إجابته المكررة منهم:

"ما معنى كونهم مجموعتان منفصلتان؟".

سان ملقياً بما لديه من أفكار:

"الترجيح الذي يتضح الآن.. أن الميناء تعرض لهجومين منفصلين من مجموعتين مختلفتين"

باجا بتعجب وينظر للوني الدبابيس المختلفين:

"وفي وقت واحد!".

سان يشير بعصا الشرح ناحية أحد الدبابيس الحمراء على الحائط:

"هجوم من قاعدة الإخوان من ناحية المدخل الشرقي".

وأشار للدبابيس الزرقاء المنتشرة بكثافة:

"وهجوم من حالئين من ناحية المدخل الغربي"

باجا بعصبية ويضرب على المكتب بيده:

"القرود".

أحد الرجال يطرق الباب ليدخل ويتقدم ويحي باجا وسان تحية عسكرية عاجلة ويناول سان عدة صور وينصرف..

سان ينظر للصور بتمعن ويعطيها لرجل عجوز من الواقفين ويسأله:

"هل تستطيع تحديد هوية هؤلاء؟".

الرجل الصيني العجوز جداً والذي يبدو خبيراً في الملامح البشرية

يرتدي نظارته ويقرب الصور من وجهه للحظات..

يشاهدها أكثر من مرة.. ببطء وهو يهمهم ويدقق..

يخلع النظارة الطبية السميكة و ينظر لباجا وسان بعينيه الضيقتين كأنه أعمى ويقول:

"سيدي.. نحن نواجه مشكلة.. مشكلة تحالفات".

* * *

الميناء.. قاعة البرج الرئيسية..

يدور راوي ويعلى حول نفسيهما وهما يقتحمان القاعة الكبيرة زجاجية الجوانب من كل ناحية..

كانت بلا أعمدة وبلا عوائق بصرية كما شاهداها في الصور..

أما المفاجأة التي لم يتوقعاها.. إنها بلا بشر..

نافذة مفتوحة في الأمام.. يشير يعلى لراوي ويتقدمان إليها..

حبل مدلى بميل من النافذة لرصيف الميناء البعيد كأنه تلفريك صغير.. ينظر راوي للرصيف ويدقق.. حبل مفكوك على الأرض..

ينطق يعلى بما استنتجه راوي:

"هربوا بزورق".

ينظر يعلى للسقف والجوانب حيث مراوح قوية تقوم بعملها وتسحب الهواء المسمم.. يخرج من جيبه حجراً اخضر اللون..

قسمه إلى قسمين متساويين وانتظر للحظات ونظر فيه.. لم يتغير لونه للأبـيض.. لقـد بـدد الهواء المسمم بالكامل..

خلع القناع وهو مطمئن ويشير لراوي ليفعل بالمثل.. خلع راوي القناع بتشكك وقد لاحظ أن يعلى من المغاربة..

فوجئ راوي بماسورة رشاش يعلى موجهة إلى وجهه ويقول:

"حتى أرى وجهك جيدا".

وتابع بقوة كسيده وهو يقرب الماسورة أكثر لتلتصق بجبهته:

"قبل أن اقتلك".

* * *

<u>مكتب باجا</u>

باجا يسخط من رأي العجوز الصيني:

"مشكلة تحالفات؟!".

العجوز يقرب إحدى الصور من وجهه ثم يشرح لباجا:

"انظر.. هذه صورة أحد رجال حالئين يسند مصاب من المغاربة".

ثم وضع عليها صورة أخرى ووضح أكثر:

"وهذا جندي تركي بملابس مدنية يحمل مصاب من قاعدة الإخوان"

باجا ينظر للصور وينظر لسان ويضحك بعصبية:

"وهل الأربعة متحالفون ضدنا؟".

سان يوضح وهو ينظر للخريطة:

"لا.. الواضح أن الهجومين وقعا في صدفة متزامنة".

باجا بسخط عاصراً أحد الدبابيس بيده:

"صدفة متزامنة.. وهل يهجمون على روضة أطفال؟!".

سان يلقي برأيه وينظر له وللرجل العجوز:

"الواضح إنهم أرادوا استغلال التراجع الذي أرغمنا عليه بعد هجومنا على البورصة".

باجا مشيراً للدبابيس الحمراء:

"هذا عن الترك الدراويش؟ فماذا عن القرود وهؤلاء المغاربة".

كان الصينيون يطلقون على قاعدة الإخوان اسم الدراويش.

سان لا يملك إلا تفسير وحيد فيلقي به:

"المغاربة يريدون بعد الظهور القوي وضربهم لأهداف للقوى الثلاث في يوم واحد أن تكون لهم نقطة انطلاق وارتكاز للسيطرة الكاملة".

ثم يقوم للوحة الكبيرة خلف مكتب باجا ويرسم عليها دائرة كبيرة:

"على القاهرة.. القاهرة كلها".

* * *

__*انتهاء المعركة*__

الامام يسأل يعلى في اللاسلكي:

"أين أنت؟".

~~~

يعلى يرفع الجهاز ومصوب الرشاش إلى رأس راوي تماماً:
~~~

"أنا في البرج؟".

~~

الإمام ارتاح لأنه لم يصاب أو يقتل:

"لقد انتهت المعركة لصالحنا ورفعنا العلم على الرصيف".

~~

يعلى يسأله ويصوب المدفع إلى رأس راوي:

"جيد.. وماذا سنفعل بالأسرى؟".

~~

الإمام يستفهم عن كنه الأسري:

"صينيين؟ أم ترك؟".

يعلى لاصقاً فوهة الرشاش برأس راوي تماما:

"مصري.. من قاعدة الإخوان".

الإمام وقد علم من تواصله مع باقي رجاله أن يعلى لن يستطيع الخروج من البرج إلا بالمرور على الجزء الذي احتله الأتراك ورجال القاعدة..

لقد احسنوا التحرك في هذا النقطة..

الإمام بشكل مباشر وقاطع:

"لا تقتله..".

يعلى يقاطعه باستغراب ضاغطاً الفوهة في رأس راوي بقوة أكثر:

"ماذا.. لماذا؟.."

الشيخ يقاطعه قبل أن يسترسل:

"لا تقتله فهو الذي سيؤمن خروجك سالماً من البرج".

يعلى باستغراب أكثرو بحنق:

"ماذا؟ ماذا تقصد؟"

الشيخ يوضح وينظر لخريطة عليها خطوط توضح سير المعركة:

"الجزء القريب من مدخل البرج محتل من الأتراك.. لن تمر لو قتلته".

جهاز راوي الصغيريصدر ازيز ينظر ليعلى ويقول:

"ممكن؟".

يعلى يشير له بإمكانية التحدث وهو غاضب..

راوي يضغط زر الاستماع لينطلق صوت ضابط تركي يعرفه:

"سيد راوي.. أنت بخير بالداخل؟ هل نقتحم البرج.. لقد آمنا ظهرنا ومستعدون للاقتحام عند الإشارة".

راوي ينظر ليعلى الغاضب..

يبعد فوهة الرشاش عن رأسه ويقول:

"لا تقتحموا المكان.. أنا نازل ومعي صديق".

ونظر ليعلى بسخرية ويقوم وينفض ملابسه:

"فلا تطلقوا عليه الرصاص".

* * *

<u>مكتب شوكت</u>

بعد ذلك بساعات..

في الصباح الباكر..

شوكت وأوغل يتبادلان النظر دون كلام بعد أن انتهاء عملية الميناء..

أوغل بشرود وهو لا يصدق:

"لقد استولى المغاربة على الميناء تماماً".

شوكت يكرمش ورقة البيان الثاني التي وزعها مجهولون في كل مكان من رجال حالثين فور استيلاءهم على الميناء ويعقب:

"الاستيلاء لا يقلقني بقدر ما يقلقني أمر التحالف".

أوغل ينظر له بغير فهم ليتابع شوكت:

"هؤلاء المغاربة في غاية الذكاء.. يعرفون إنهم ليسوا مصريين ويريدون التحرك على ارض مصرية فوجدوا في حالثين خير معين لهم ليساعدوهم في تحقيق أهدافهم.. وحالثين بدورها تبحث عن ظهور قوي يخرج بها من مناطق نفوذها لمنطقة أوسع".

أوغل فهم وتابع:

"وبعد أن يحقق المغاربة غرضهم وتقوى شوكتهم".

شوكت يصفق بيده كأنه يضرب ناموسة:

"سيسحقوهم".

أوغل وقد تحمس للعمل:

"سأصدر الأمر لكل العيون بمراقبة كل المناطق حتى نعثر على دليل يوصلنا إلى مخأباهم.. لابد أن يكون معهم رأس كبير لهم يدبر لهم الأمر من داخل القاهرة".

ثم تذكر شيئاً هاما غاب عن خاطره:

"وماذا عن مجدي هذا.. ألا يعلم كل أخبارهم".

شوكت يقوم من مكتبه وينظر للقاهرة كما يحب من المرأة المقربة:

"إنه يعلم الكثير والكثير".

فهم أوغل إنه لا يود الإفصاح عما يدور برأسه بشأنه لذا قام بالعمل المناسب..

قام وانصرف وهو يفكر في الخطوات التي سيتحرك بها..

بينما شوكت يفكر في مجدي في خطوات أخرى مختلفة يريد تنفيذها معه في أسرع وقت..

خطوات مختلفة تماماً..

وألقى بالبيان المكرمش على طول يده..

ليسقط في سلة المهملات في ركن الغرفة..

* * *

بيت الريس بالدويئة

نخلة يقرأ على الريس نسخة من البيان الثاني الذي طبعه المغاربة فور استيلائهم على الميناء ووزعه رجال حالئين:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

بيان رقم اثنين

الحمد لله الذي هدانا لهذا.. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

بشراكم يا شعب مصر العظيم

إننا الآن معكم في قلب القاهرة

فقد فتح الله علينا وعليكم بنصر مؤزر من الله

وبمساعدة ومباركة مجموعة حالئين الوطنية

ميناء إمبابة صار في أيدينا

ستديره أياد مصرية.. وعائده للمصريين

هذه بشريات النصر

هبي رياح التغيير

والله اكبر ولله الحمد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إخوانكم المغاربة

الريس يهرش في خصيته ويعقب:

"إيه البوء الاخراني ده؟ سمعني كده آخر كلمة اصل دماغي صدعت من موضوع التعبير الكبير ده؟".

نخلة يعيد عليه آخر كلمة:

"*(اخوانكم المغاربة)*".

الريس يهيج ويثورويمسكه من ياقته:

"تصدئ.. انت دماغك كلوت من غير استك.. بلا اخوانكم بلا خالتكم.. اسمنا وين ف كل الفرح ده كله؟"

نخلة يحاول أن يفهمه ويقرأ الجزء الذي ورد فيه ذكرهم:

"ما هو الراجل ثايل اهه: *(وبمساعدة ومباركة مجموعة حالئين الوطنية)*"

الريس يجلس مربع على كرسيه الضخم ويتحمس:

"ايوه احدف بئه الحنك اللي بعده يا كاكا أملك".

نخلة يقرأ وقد فهم ومعجب من مخ الريس المكلف:

"*ميناء إمبابة صار في ايـدينا*.. اه.. صح يـا ريـس عنـدك حـق.. كـده هـو داس علينـا.. الواطي.. خلانا نوزع الورئ زي الشرابات".

الريس ويهرش في خصيته بجنون:

"شفت.. شفت.. بئولك دماغي صدع.. أنا بصدع من الخواتية.. سواء هـو أو أبـو الهـول الساكت".

وتابع ويشير له بمعنى هنا:

"ابعت ائولهم الريس عايز يعمل ئعدة مشان الشغل كده ما حاينفع".

ثم تذكرشيئاً هاماً فسأله:

"انتوا رفعتوا العلم ع الميناء ولا لأ؟".

نخلة وهو غاضب من استغفال المغاربة لهم:

"رفعناه يا ريس.. العلمين مرفوعين دلوقتي.. علمنا وعلمهم".

الريس بحنق بسبب جهله وجهل معظم حالئين:

"بس هما اللي حايشغلوا المينا".

نخلة لامحاً أن الريس سيجن من الهرش:

"بس مؤكد حيبئى لينا عيونا معاهم".

الريس ويقوم من مكانه ليقف ويتلوى:

"ما حاينفع.. ما حاينفع.. كده ما حاينفع".

نخلة ولا يفهم:

"هو إيه اللي مش حاينفع يا ريس.. امال عايزنا نعمل إيه؟".

الريس يقترب ويمسك بكتفيه بقوة:

"نخلة.. بئولك إيه؟ ممكن اتك عليك؟".

نخلة يشعر بأنه سيكلفه بمسئولية ضخمة فيرد:

"رئبتي يا ريس.. اتك زي ما انت عايز".

الريس وقد اطمئن:

"أنا برده ئلت إنك مش حاتحمرلي وش.. اغسل ايدك وتعالى"

* * *

الميناء.. قاعة برج المراقبة الرئيسية

الإمام ويعلى خلف النافذة الكبيرة وينظران للميناء الخالي من السفن..

الإمام يسأل يعلى:

"لا أريد أن يتأخر بدء العمل عن ثلاثة أيام كما أعلنا".

يعلى يطمئنه وينظر للمنطقة بمنظار مقرب كبير:

"لن يتأخر إن شاء الله".

ثم تذكر شيئاً أراد سؤاله عنه منذ انتهاء العملية فأبعد النظارة وسأله:

"لماذا لم تدعني اذبحه؟".

الإمام يبتسم بوقار ويجلس على مقعد:

"نحن الآن في معركتين متوازيتين معركة كسب الأرض ومعركة كسب القلوب.. فالأرض ستضيع إذا خسرنا القلوب".

يعلى غير مقتنع ويتمتم:

"(حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ)".

تتسع ابتسامة الأمام:

"إذا أثخنا جراح المصريين انقلبوا علينا.. إنهم شعب صعب المراس.. هكذا يقول التاريخ".

لثم الإمام العلم العملاق المدلى من خارج النافذة حتى الأرض وقال:

"لكل مرحلة أولويات.. فلنركز الآن على المرحلة المقبلة".

وتابع مستنشقاً الهواء المعبأ بالسومبزون والهايديسرنون السامين:

"مرحلة كسب القلوب".

* * *

مقر القيادة الصيني بجبل الخشب

باجا يراجع الصورالحديثة التي توضح سيطرة المغاربة وحالثين على الميناء..

اغتاظ عند مشاهدة صورة بعينها وبها العلم العملاق لحالثين والمغاربة على البرج.. كانت تغطيه من أعلى لأسفل..

كانت واضحة يراها كل الناظرين والعابرين على الميناء ومن مسافة بعيدة.. صار الأمر مصدر تهكم للمصريين وأصدروا نكات وأغاني..

وضع رأسه بين كفيه وعاود التفكير مرة بعد مرة..

هو لا يستطيع أن يهجم على الميناء لعدة أسباب..

أولاً: التراجع الذي أرغمت عليه قواته بعد عملية البورصة..

ثانياً: توقف حركة الملاحة بالميناء ستضر به وبالجميع ولا ينقصه خسائر اقتصادية تضاف

إلى خسائره العسكرية..

المغاربة أعلنوا أن سيطرتهم على الميناء لا تعني سيطرتهم على البضاعة الداخلة أو الخارجة منه.. إنما هي سيطرة على الموقع فقط وان البضاعة ستنقل من وإلى أصحابها بكل امانة.. حتى ولو كانوا رجال أعمال صينيين..

تمتم لنفسه وهو يفكر:

"إنهم يلعبون لعبة قذرة.. لعبة كسب القلوب.. لابد من حل سريع".

قاطعه صوت سان وهو يدخل عليه دون استئذان:

"وجدتها".

باجا ينظر له بغير فهم:

"وجدت ماذا؟".

سان ويفرد خريطة كبيرة على المكتب ومعها عدة أوراق قديمة:

"وجدت الحل لأزمة الميناء".

* * *

قاعة الرياضة.. قصر عابدين.. الجزء الأوروبي

ثقل كبير من الحديد يرفع بصعوبة ليهبط ثانية بقوة..

يلهث جون بقوة.. فقد مارس التمرين لمجموعات كثيرة وقد أرهق من العد كما أرهق من الرفع..

صوت أقدام لحذاء رياضي خفيف تدخل القاعة..

جون دون أن ينظر:

"لقد تأخرت يا سينيه".

سينيه يقترب وينحني ويبالغ في التقدير:

"يغفر لي مولاي ذلك".

جون يزغر له بمعنى (*حاتعملهم عليا*)..

سينيه يمهد السبب بلباقة:

"لقد تأخرت لسبب وجيه".

جون يعود إلى رفع الأثقال مرة أخرى ويسخر منه:

"هل كنت تضع مع الجنرال خطة الحرب الشاملة ضد الجميع؟".

سينيه مخرجاً ورقة صغيرة بها سطر واحد ويفردها أمام عيني جون:

"لا.. كنت احضر لك هذا العنوان".

جون متسمراً على رفع الحديد لأعلى وقد خفق قلبه عندما قرأ السطر الصغير بالورقة..

السطر به عنوان لشقة بمدينة الجمال بوادي يهموم..

وسينيه يكمل بصوت ناعم لا يتناسب مع عضلاته:

"لقد وجدتها".

* * *

الخطة البراقة

باجا يرفع عينيه في تعجب وإعجاب من خطة سان ويسأله:

"من أين لك بهذه الخطة؟".

سان مشيراً لمجموعة كبيرة من الأوراق:

"من الأرشيف الحربي.. لقد كنت أفكر في هذا الاحتمال منذ فترة.. فشكلت لجنة تراجع الأرشيف الضخم الذي عكف عليه الناسك منذ سنوات حتى وجدت هذا".

باجا يمسك بالورق ويقرأه بسرعة:

"خاص.. سري جداً.. غير مخصص للنشر للاطلاع للقيادات العليا فقط.. مذكرة بشأن في كيفية الرد عند تنفيذ الأعداء هجوم على ميناء إمبابة"

ويقفز عدة سطور حتى يصل لزبد الموضوع فيقرأه على مهل:

".. تنفيذ مينائين احدهما في العصرة جنوبا.. والآخر في القناطر الخيرية شمالاً مما سيسبب خنق الميناء الأوسط المحتل (إمبابة).. وعندها لن تكون هناك فائدة له حيث سيتم خنق الملاحة النهرية عنه شمالاً وجنوباً في وقت واحد مما سيؤدي إلى احتمالين:

1- إما أن يتفاوض المحتل لتسليم الميناء في مقابل مادي أو الفداء بأسرى.

2- ستتراخى القبضة الأمنية للمحتل عن الميناء نتيجة لعدم استعماله مما سيسمح باستعادته مرة أخرى وتشغيله مع المينائين الأخريين"

أنهى باجا قراءة كل هذا لينظر إلى سان ويقول:

"صديقي.. كم أنت رائع.. انها خطة براقة".

سار عدة خطوات لخريطة القاهرة الكبيرة على الحائط. ورشق بها دبوسين صغيرين بلون اصفر مكان الميناءين..

نظر إلى صورته المنعكسة على رأس دبوس صغير بالخريطة ويمثل ميناء القناطر وقال ويفكر بخبث:

"المهم في تنفيذ هذا الأمر.. أن يكون بخفاء".

* * *

<u>*قصر عابدين*</u>

جون يمسك الورقة الصغيرة يرتجف ولا يصدق:

"وجدتها!!!".

سينيه ويدور حوله:

"لو علم السيد وليام إني قد جئتك بهذه المعلومة فسيطير رقبتي".

جون يطبق الورقة ويضعها في جيبه قبل أن يفاجئ بوالده فوق رأسه:

"لا تقلق".

سينيه يلقي بمزيد من النار على النار:

"حتى وليام لا يعلم مكانها!!".

جون باستغراب واستنكار ويلتفت له غير مصدق:

"كيف ذلك؟".

سينيه بهمس وينظر حوله:

"لقد خصص مكتب مكون من عدد محدد من الأفراد الذين يثق فيهم مهمتهم الوحيدة تغيير مكان سكنها كل فترة وعدم إخباره هو نفسه أية معلومات عنها.. لقد طلب منهم ذلك".

جون بألم متعجباً من قسوة أبيه:

"كل هذه السنين".

سينيه بألم تمثيلي واضح:

"كل هذه السنين".

جون كالطفل الصغير يتشبث بسينيه:

"أريد أن أراها...لابد أن أراها.. دبر لي هذا الأمر".

سينيه مربتاً على كتفه وينظر في عينيه بود:

"اطمئن.. لدي خطة محكمة".

مكتب شوكت

مجدي متعجب من عدد المخطوفين المطلوب:

"يهوووتء.. ألف في الشهر!!".

شوكت يلقي بمزيد من المفاجآت على رأسه:

"ونريدهم أحياء".

مجدي لا يفهم ولكن شوكت يضع أمام عينيه عقد من ورقة واحدة..

شوكت يوضح محتواه وعين مجدي تجري على السطور:

"هذا عقد رسمي بين الإدارة التركية وبين السيد مجدي علي الشايب يعمل بموجبها السيد مجدي مستشاراً خاصاً للسيد شوكت ويرأس إدارة التحريات الخاصة".

فهم مجدي أن هذه الإدارة ستكون هي المسئولة عن توريد مثل هذا العدد الضخم من الرؤوس شهرياً..

فهذا عمل لا يقدر علي إنسان بمفردة ولا مجموعة عشوائية..

إنه عمل دولة.. كيان ضخم لابد أن يقف وراءه..

شوكت ملاحظاً تردده:

"أليس هذا ما تطمح إليه.. (*أي شغلة بأي مرتب*).. هذه ليست أي شغلة".

وأشار إلى بند المرتب الذي لم يلاحظه مجدي لتوتره:

"وهذا ليس أي مرتب".

نظر مجدي إلى الرقم وعينه تدور دوائر.. أخذ يعد الاصفار الكثيرة عدة مرات وهو لا يصدق..

سأله بتشكك والأرقام تدور برأسه:

"وحتعمل إيه بالمساكين؟ قطع غيار بشرية".

شوكت يرد باقتضاب بنفس الكلمة التي اخبره بها جون:

"أبحاث طبية".

مجدي يفكر كالصاروخ وهو يفكر في تبعات هذا العقد وكيف سيوفر له ألف رأس شهرياً..

ألقى مجدي ما لديه بعد تفكير عميق ورأسه بين كفيه:

"لتوفير هذا العدد لابد من دخول طرف ثالث معنا".

شوكت ويتراجع بظهره مستفسراً:

"طرف ثالث.. ومن هذا الطرف الثالث؟".

مجدي يلقي بالقنبلة وينظر في عينه مباشرة ويقول ببطء وبشكل قاطع:

"حالئين".

* * *

<u>في محل العطارة</u>

توفيق يحاسب الزبون..

ينظر لراوي بطرف عينه فوجده يحدق فيه بقوة

والشيخ يتظاهر بأنه لا يعبأ بذلك.. الصورة لا تفارق ذهن توفيق..

~~~ ~~~ راوي وهو يطلق النار ويشير للرجال بالتقدم ~~~ ~~~

أخيرا ينطق توفيق وهو يسدد النظر في عيني راوي:

"أنا شفتك ف المينا وانت بتضرب نار".

في لحظة راوي استل خنجره وجرى باتجاه توفيق وثنى ظهره على الطاولة ووضع حد

الخنجر على رقبته وقال له:

"لو نطئت ئدام نفسك بالكلام ده تاني حائطع رئبتك".

أحد الزبائن يدخل المحل وشاهد المنظر.. راوي ينظر للشيخ ويرشق الخنجر بقوة بجوار رقبة توفيق تماماً..

توفيق مرعوب ويتذكر المشهد..

~~~~ راوي وهو يطلق النار ويشير للرجال بالتقدم ~~~~

الشيخ يقول للزبون ويضحك:

"اصل الواد توفيق بيلخبط في الحساب وراوي بيحب يهذر معاه".

الرجل يصاب بالذعر ويخرج من المحل بسرعة وهو ينظر لهم..

راوي يرجع الخنجر لجرابه ويقول لأبيه:

"عاجبك كده؟".

صوت المؤذن يقيم صلاة المغرب من المسجد الملاصق للمحل..

الشيخ يشير لتوفيق ويقول لراوي:

"أنا حاخد توفيق ونصلي سوا.. خليك هنا لحد مانيجي وبعدين صلي"

يخرجا من المحل يسير توفيق لخطوات ثم يدور ليدخل المسجد..

الشيخ مشيراً بسبحته الياقوت لآخر الشارع:

"لأ.. حانروح نصلي في جامع المصطفى"

* * *

<u>*مكتب شوكت*</u>

"يكبر أكبر.. يكبر أكبر.. حالئين.. أنت اتجننت".

هكذا صاح شوكت متعجباً.. مجدي ببساطة ويرتاح في جلسته:

"هو ده الحل الوحيد المتاح ئدامك".

شوكت يوضح له ولم يفهم بعد وجهة نظره:

"إلا تعلم أن بيننا وبينهم حرب.. لقد اخذوا منا الميناء".

مجدي بخبث ويذكره:

"هم اخذوه من الصينيين وليس منكم".

ثم بذكاء ودهاء ويضم حاجبيه:

"وبعدين بينك وبين اللي حاتورد لهم الجتت أيا ما كان حرب مؤكد"

ثم مال إليه ليسدد النظر في وجهه مباشرة كأنه كشفه:

"أوعى تئولي إنها ليكوا".

يتردد شوكت للحظة ويتمالك نفسه ويرد عليه بتمويه:

"ده موضوع خاص".

مجدي يقوم وينظر من المرأة نحو القاهرة ويتمتم:

"بالضبط أنا حائول للريس بتاع حالئين كده مؤكد.. ده موضوع".

وأشار له بيده بمعنى النقود التي يحبها الجميع ولا يستطيع مقاومتها:

"خاص".

شوكت لا يرد ويفكر ويتابع مجدي بسخرية:

"وممكن الموضوع الخاص ده يمشي تحت مسمى.. اللجان المشتركة".

شوكت يسأله ويستفهم عن السبب:

"لماذا تريد أن يدخل حالئين في هذا الموضوع؟".

مجدي بحسم بعد طول تفكير:

"حالئين الوحيدة اللي ممكن تورد لك ألف صاحي في الشهر.. لا أنت حاتئدر.. ولا أنا حائدر.. ولا أنت عايز تعرف حد عندك في الإدارة إنك بتعمل الشغلانة دي.. صح".

شوكت يزدرد لعابه وفكر في احتمال آخر فألقاه في وجهه:

"صح.. ولكن ماذا عن مجموعة فرداني".

مجدي يمط شفتيه ويرد:

"مش مضمونين.. بس حالئين أنا ضامنهم".

شوكت يغمض عينيه ويفكر بعمق ثم يقول:

"موافق.. ولكن على شرط".

ارتاح مجدي لأن الموضوع قد خرج من يده جزئياً.. ليتابع شوكت بحسم:

"أن نرتب الأمر مع حالئين فقط.. المغاربة لا".

ابتسم مجدي ابتسامة واسعة لم يرتاح لها شوكت وقال:

"يكون.. بسيطة يا باشا".

* * *

الشاب إمام مسجد المصطفى ينهي الصلاة

"السلام عليكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله"

أدار توفيق رأسه لليمين وهو مغمض العينين ويحاول التركيز في الصلاة بلا فائدة..

أدارها لليسار ليفتح عينيه على يد الشيخ وهي ممسكة بسبحته الياقوت..

الشيخ يستند على كتفه ليقوم ويهمس بأذنه:

"حانتمشى برا سوا".

توفيق يسير خلف الشيخ مباشرة داخل المسجد الكبيرالمتلئ عن آخره

~~ يلمح أحد الواقفين يحيى الشيخ في الخفاء والشيخ يبادله التحية ~~

~~ تحية من شاب آخر.. حياه ثم كبر ليدخل في صلاة السنة ~~

~~ الشيخ يلقي بحذائه على الأرض على مدخل المسجد ليرتديه ~~

~~ تنقلب الفردة اليسرى على جانبها يسارع أحد الشباب الواقفين له ويقبل يـده ويعـدل الفردة ~~

لاحظ توفيق أن للشاب زراع واحدة..

على مسافة من المسجد يبدأ الشيخ بالكلام بعد أن أنهى التسبيح:

"توفيق أنت عارف إني بحبك.. صح".

توفيق لا ينكر ذلك فهما يتابدلان وداً خفياً منذ أن بدأ العمل فيرد:

"صح.. وأنا كمان".

الشيخ يقول له رسالة واضحة المعاني:

"أنت ماشفتش راوي عند الميناء".

فهم توفيق من هذه الرسالة أن راوي كان هناك فعلاً.. وعليه وعلى ما لاحظ الآن فإن الشيخ صالح بالتأكيد هو:

"و أنت زعيم تنظيم قاعدة الإخوان.. صح؟".

الشيخ يتوقف عن السيروالتسبيح ويلتفت لتوفيق ويقول بوضوح:

"صح".

ثوان من الصمت الثقيل لوقع المفاجأة على توفيق الذي يفكر في ألف احتمال ويقول بلطافة نافضاً يده:

"يبئى أنا ماشفتوش ولا اعرفه".

الشيخ يبتسم ممسكاً كتفه:

"أنت خايف من إيه؟".

توفيق بصراحة:

"أنا خايف على بيتي و..".

ثم تذكر إنه لم يعد لديه عياله.. فاعتصر قلبه بغصة وبلع ريقه..

الشيخ لمح ذلك وقال له وقد عرف منه الحكاية:

"ربنا يجبهولك بالسلامة.. إحنا بنحاول نعرف مكإنهم".

نظر له توفيق بتعجب ليرد الشيخ ويواصلان السير:

"ما تستغربش.. احنا لينا ولاد مخطوفين وعايزين نعرف مكانهم".

ثم وضح له الصورة:

"إحنا معركتنا مش مع شعبنا يا توفيق.. إحنا معركتنا معاهم".

ولوى رقبته لأعلى..

نظر توفيق فإذا لوحة عملاقة على إحدى العمارات تمثل رجلاً يحمل كيس مشتريات كبير ويبدو إنه في الطريق لبيته سعيداً..

وفي جانب اللوحة بالطبع كلمة (كافح).

توفيق يستفسرعن نقطة طالما أحب أن يعرفها:

"طب والمصريين اللي بيموتوا".

الشيخ بصرامة وبرأيه القاطع:

"كل يبعث على نيته.. ونحاول تجنب الخسائر.. قدر المستطاع".

توفيق يستمر في التساؤل عن نقطة أخرى محيرة:

"بس انتوا متحالفين مع الأتراك.. ودول مؤكد أعداء الوطن".

الشيخ بجمود واستياء:

"ضرورات مرحلة".

توفيق يلقي برأيه بانفعال:

"الضرورات لا تبيح المحظورات.. دول هما اللي بيخطفوا أولادنا".

الشيخ بخبث ويدور السبحة على سبابته:

"مشان كدا لازم نتحالف معاهم لحد ما نعرف هما راحوا وين.. اما لو عاديناهم فعمرنا ما حانعرف مكإنهم".

منطق عجيب لم يعرف كيف يرد عليه توفيق..

الشيخ يتوقف عن السير ثانية ليمسك كتفه ويديره للخلف:

"بص على الجامع".

نظر توفيق على المسجد الكبيرالمكتظ من الخارج تماماً بالمصلين حتى بعد وقت الصلاة..

الشيخ يشرح وجهة نظره:

"زمان في الستينات كان الجامع ده فاضي.. محدش بيصلي فيه يدوب تلاتة أربعة واللي كان ينزل صلاة الفجر كان بيتعلم عليه و يتشد..

بعدين وبعد النكسة الناس ابتدت تعرف دينها.. وإن بعدها عن الدين هو سبب النكسة.. فابتدت تزيد حبة حبة.. صف.. بعدين صفين..

بعدين الناس راحت الخليج وجت عارفة دين ربنا صح..

وعلى الرغم من تضييق الحكومة وقتها ع الناس.. إلا أن الجامع كان بيزيد صف ورا التاني كل سنة..

وبعد ما الفوضى حصلت سنة 2020 واللي سموها عام الدومينو الجامع فضل متماسك اكتر من أي حاجة تانية أو أي افكار تانية..

بالعكس الناس زادت وتمسكت بيه اكتر واكتر..

حتى المحتلين أخر ما غلبوا سلموا الجوامع للأتراك.. ووجودنا مجننهم وبيرائبونا وبنرائبهم".

يمر بهما جندي تركي مدجج.. حياه الشيخ ليحيه الجندي بتحية مماثلة ليتابع بيقين وتحديد:

"وده دليل على حاجة واحدة".

ثم سكت ليشاهد آثر الكلام على توفيق ليتابع باصرار:

"إن المستئبل لينا.. لينا احنا وبس".

وواصل السير..

كان توفيق مشدوه تماماً ولا يدري ماذا يرد..

يقلب الكلام والافكار في رأسه..

ثم توقف عند نقطة معينة شدت انتباهه فسأل الشيخ:

"أنت بتتئول إنكوا بتدورا على المخطوفين؟".

الشيخ ويواصل التسبيح مع السير:

"آه.. بس لسا ماوصلناش لحاجة".

توفيق بكل إصرار وقد حسم أمره:

"أنا عايز انضم ليكوا".

الشيخ يلتفت ويبتسم مستحسناً قراره وإصراره ليتابع توفيق:

"مشان ادور على كريم".

الشيخ يدور السبحة على سبابته لتلتف كلها بشكل كروي..

وكان توفيق يعلم معنى هذه الحركة..

إنه يفكر بعمق..

لكنه لم يتخذ قراره بعد..

* * *

<u>ميناء إمبابة.. ليلاً</u>

بعد أيام..

في أعلى غرفة المراقبة التي تغرق في ضوء هادئ..

الإمام ويعلى يجلسون بها ويشرفون مع عدد من الموظفين المصريين والمغاربة على سير العمل في ثاني يوم للميناء بعد إعادة افتتاحه..

كان التشغيل جزئي وحتى السابعة ليلاً فقط..

الإمام ويعلى قدما على إنهما المديران الجديدان للميناء وقد خلعا الجلباب والعباءة وارتديا بدل عصرية..

المكان مزدان بأعلام المغاربة.. وصور الإمام الحسين.. وصور لمرقد الإمام علي..

الباب يخبط برفق..

نظر الإمام إلى الرجل العجوز القادم وتعرفه من شكله الذي يشبه صورته من الملف وقال:

"تعالى يا عم إبراهيم.. تعالى".

تقدم عم إبراهيم ببطء وينظر للصورعلى الحائط..

يعلى يذكر الإمام بهمس خفي:

"عم إبراهيم الذي خبرتك عنه.. الذي فصل ظلماً يوم الهجوم".

الإمام يعطي عم إبراهيم ملف خدمته الضخم وقال:

"تفضل ياعم إبراهيم".

أخذ عم إبراهيم الملف بيد مرتجفة وقال بلا صوت:

"مش حاينفع ارجع للشغل فخامتك".

الإمام بابتسامة واسعة بالطريقة المصرية التي تدرب عليها:

"حاينفع طبعاً.. هو معقول المينا يمشي من غيرك".

عم إبراهيم لا يصدق ويقبل يد الإمام الذي يتركها ولا يسحبها:

"ربنا يخليك يا باشا.. ربنا يخليلك عيالك".

ثم تذكر محمود فقال مشيراً بيده:

"بس أنا ليه طلب عند تاني صغير عند سعادتك".

يعلى بجمود وينظر له مباشرة:

"لابد أن تعرف طلباتنا أولا".

عم إبراهيم فوجئ ولكنه يرد مباشرة عليه:

"أنا تحت أمر سعادتك".

الإمام بهدوء وبتركيز:

"أنت اقدم موظف في الميناء يا عم إبراهيم تقريباً.. واكثر إنسان فاهم الشغل.. من أجل ذلك سنريحك من مهنة تحميل وتفريغ المراكب وستكون..".

ثم بحث عن كلمة مناسبة لما يريد أن يجعله.. يعلى يسعفه ويقول لعم إبراهيم:

"حانخليك ملاحظ على العمال كلها يا عم إبراهيم".

عم إبراهيم لا يجد غضاضة:

"وماله يا بيه.. حاتلاقيني أول واحد اجي واخر واحد امشي".

يعلى يتابع واحدة واحدة:

"نحن لا نريدك أن تكون ملاحظ عمال فقط على اداءهم ولكن نريدك أن تراقب كل صغيرة وكبيرة بخصوصهم بمعنى.."

عم إبراهيم فهم كل شئ فقال بابتسامة مريرة:

"يعني عايزني عصفورة يا بيه".

الإمام يرفرف بذراعي البدلة الواسعة ويتمتم بلا فهم وبشكل عصبي:

"عصفورة.. كيف يعني عصفورة؟".

عم إبراهيم يشرح له ويمنع نفسه من الضحك بصعوبة:

"جاسوس يعني يا.. بس انتوا عايزين تجسسوا على العمال ليه؟"

الإمام ينظر له ويقول بوضوح:

"نخن نخشى أن يجهز الصينيين لعمل يسعون من خلاله الاستيلاء على الميناء مرة آخرى ، ولابد لهم من عيون داخل الميناء تراقب تحركات الحرس وتأمينه وكمية السلاح الموجودة حتى يضعوا خطة الهجوم بناء على ذلك.. فلابد لنا من تأمين العمالة أولا قبل تأمين الأرض.. هل فهمت؟".

عم إبراهيم بخبرة السنين ويتفحص الإمام:

"والله يا باشا.. شكلك كده مش مدير مينا.. ده أنت وزير دفاع".

الإمام ويعلى يبتسمون ويعلى يتابع ليكسب عم إبراهيم تماماً:

"تذكر يا عم إبراهيم أن رجوع الصينيين إلى الميناء معناه فقدان وظيفتك ثانية.. فأنت ستعمل لمصلحتك أولاً".

عم إبراهيم:

"يكون.. أنا موافق".

ثم تذكر محمود فقال:

"بس أنا عندي موضوع تاني".

ناول الإمام ملف ثاني له وقال وقد فهم مقصوده بذكاء:

"وهذا هو ملف محمود.. هو معك في قسم الملاحظة"

وغمز له بعينه بمعنى واضح..

معنى إنه أيضاً سيكون عصفورة..

يعلى يؤكد عليه وهو يصافحه:

"ستفهمه العمل لتبدأ سوياً من غداً والتقارير سنأخذها منكم كل أسبوع إلا إذا كان هناك أمراً ملحاً فتعرضه لي مباشرة.. واضح".

عم إبراهيم يأخذ الملف منه ويشعر باطمئنان مشوب بقلق لا يدري مصدره..

يرمق علم المغاربة وحالئين وهو يرفرف في كل مكان بالميناء مع الأناشيد الإيرانية التي بدأ الحراس إذاعتها بالإذاعة الداخلية ويرد:

"واضح يا باشا.. واضح".

* * *

مركز شباب الدويئة

يافطة قماش مكتوب عليها باللون الأحمر..

كاس الريس للمصارعه للحره

المركز ممتلئ عن آخره بالحاضرين سواء من أهل المنطقة أو من حالئين..

فاليوم هو موعد المباراة النهائية للمصارعة الحرة بين بطل المطرية (*طلال*) وبطل الدويئة (*حربي*)..

الريس يدخل في حراسة مشددة و يجلس في الصف الأول على كرسي صوان وبجانبه عدة كراسي فارغة..

صوت المذيع الداخلي الأجش يرن بصدى مكتوم:

"منورنا دلوقتي الريس يا جماعة.. الريس وصل.. وصل.. وصل".

الناس تصيح و تصفق بجنون..

الريس يحيى الناس بإشارات وقبلات في الهواء..

.. بينما يدخل طلال وحربي الحلبة.. ضخمان مخيفان..

طلال بلا أذن يمنى تقريباً..

وحربي مقسوم بسنجة من كتفه لأسفل بطنه والجرخ مخاط كخريطة الكنز..

شرعا في التسخين بعد تحية الريس والانحناء له عدة مرات..

الريس يقوم ويحيهم ويرفع يده محياً الجميع مرة أخرى..

وينظر للمذيع ويشير له بخفاء..

~~

يدخل الإمام ويعلى إلى المكان في حراسة مشددة كالطوق من رجالهم يعلى يقول للإمام بزهق:

"لا ادري لماذا نحضر في مثل هذا المكان؟".

الإمام وهو يدفع بيده رجاله الملتصقين به وبيعلى ليدخل في الزحام:

"تذكر.. معركة القلوب".

وتابع بابتسامة نادرة:

"ثم إن الرجل وعد بخروف مشوي".

~~

يجلس الإمام بجوار الريس الذي يلتفت للمذيع ويغمز له..

الإمام يسأله ويشعر بالقلق:

"فيه إيه؟".

جاءه الرد من المذيع الذي يهتف بحماس:

"ومنورنا ومنور الريس النهاردة في نهائي الكاس الحاج مخيمر.. و صديئه الاستاذ أبو الهول الساكت.. الساكت.. الساكت".

الإمام يسأل الريس ولم يفهم بعد طريقة الريس:

"مين أبو الهول ومخيمر؟".

بينما الريس يأمر اللاعبان:

"يلا يابني كفاية تسخين.. ابتدوا ضرب ف بعض خلونا نخلص".

اللاعبان الضخمان ينظران له بذعر..

الحكم واقف بينهما وكل منهما يمسك بيده..

يرفع مسدس حقيقي إلى أعلى.. ويطلق النار..

تفرقع لمبة ملونة من لمبات الصوان معلنة بداية المباراة..

* * *

قصر القبة

اجتماع سري للغاية في قاعة صغيرة..

الاجتماع مقصور على أربعة أشخاص فقط..

السيد كمال.. السيد يحيى.. السيد طارق.. السيد خالد..

بدون وسائل إعلام..

بدون ضجيج.. بدون مرافقين..

والهدف من الاجتماع كما اخبرهم كمال بنفسه عبر اللاسلكي هو بحث تطورات الموقف الراهن..

بعد أن جلس الأربعة وتبادلوا التحية السريعة بدأ كمال الحديث بهدوء لا يتناسب مع سخونة الموقف:

"أنا جمعتكوا مشان نحل كل الإشكاليات اللي على السطح واللي ممكن تودينا كلنا ف داهية".

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض وجه كمال حديثه أولا إلى خالد:

"يا سيد خالد أنا عايز منك تفسير للصور دي".

وألقى على المكتب صور توضح رجال من القاعدة تقاتل مع أتراك..

خالد بهدوء يخبره برد شوكت:

"عندما سألته نفس السؤال.. قال لا يحق لك بالتدخل في السياسة التركية العليا".

كمال ضاغطاً على أعصابه:

"يعني هو بيتحالف مع اعداء الوطن اللي حاولوا اغتيالي اكتر من مرة.. ولو دخلوا علينا دلوئت حايدبحونا كلنا بما فيهم أنت".

وأشار بإصبعه إلى خالد بالتحديد

ثم تنهد ووجه السؤال إلى طارق وبالعربية الفصحى:

"كيف سيرد السيد باجا على عملية خطف الميناء منه؟".

طارق ملقياً بما لديه:

"السيد سان ثالي أن السيد باجا حايئول خطاب يشرح فيه كل حاجة"

السيد كمال يعلم أن باجا لا يقابل طارق وأقصى أمانيه أن يقابل سان..

كمال بسخرية ويقوم بعمل حركة مشينة بيده:

"سيرد باجا على خطف المينا بخطاب.. اشك".

ثم تنهد بمعنى — *اللهم طولك يا روح* — وسأل يحيى:

"وكيف يرى وليام الاحداث يا سيد يحيى؟".

يحيى يرد ببرود تعمل من طيلة معاشرته لوليام:

"يرى أن الأمور هادئة ولن يتفاعل إلا إذا أصيبت مصالحه بضرر".

كمال يتهكم عليه:

"وكم خسر وليام في بورصة الخيل يا ترى؟".

يتدخل خالد للدفاع عن سادته الأتراك:

"إذا سمحت.. البورصة تعمل بكامل طاقتها".

قاطعه كمال ليوضح قبل أن يسترسل في الخطاب:

"السيد وليام وحده خسر مليار كاملة".

وقلب وجهه إلى يحيى وسأله:

"أليس هذا صحيحاً يا سيد يحيى؟".

يحيى يرد كالثلج كسادته:

"لا تعقيب".

ثم توجه بالسؤال لكمال بوجه قاس:

"وأنت خسرت كام؟".

كمال بابتسامة ساخرة:

"لا يا عم أنا عمري ما حطيت فلوسي في البورصة بتاعتكوا دي".

يحيى بسخرية:

"ما احنا عارفين.. فلوسك بتستسمرها في المايتيين"

كمال يتعصب من كلامه ويرد بجفاء:

"لو سمحت.. ماتتجاوزش حدودك".

ثم يتابع وهو يزفر حتى لا يتغير مزاج الجلسة ويقلب الأوراق أمامه بعصبية:

"وماذا سنفعل في تحالف الأطهار مع حالئين؟".

كان يحيى يعلم بعض الأفكار التي تدور في رأس وليام..

لقد صرح بها له وهما يسكران الليلة الماضية..

إلا إنه لم يصرح بها منتظراً سماع باقي الاراء..

صمت من ثلاثتهم ليرد كمال على نفسه متعجباً من صمتهم:

"زين.. يبئى نسبهم لغاية لما ياخدوا مننا البلد".

خالد سارداً الرأي الذي قاله له شوكت على انفراد:

"نحن لا نتعاون مع من يذبح الخيل ويشويها وهي حية".

وألقى على المكتب بصور رهيبة تصور قطيع من الخيل تجري والنار مشتعلة بها.. وأخرى لصغارها وهي متفجرة بالديناميت..

طارق لا يزيد عن القول دون أن يلتفت إليه:

"والذين تحالفوا مع الارهابيين مشان ياخدوا المينا".

كمال يوقف هذا التناوش بإشارة من يده ويقول:

"يا جماعة احنا جايين نحل الاشكاليات اللي على السطح".

خالد بتأكيد وإصرار ويضرب بيده على الطاولة:

"الاشكاليات اللي على السطح أسفل منها نار يا سيد كمال".

كمال يهدئ ويشير له بيده:

"ما احنا جايين نطفي النار.. مشان الاشكاليات تدوب".

خالد يطرح رأي شوكت ويقول بإباء:

"لابد من اعتذارهم وأن يدفعوا خسائر البورصة".

طارق يقول ما لقنه سان:

"مش ئبل ما تسلموا الارهابيين اللي معاكم واولهم الشيخ وراوي".

كمال يخبط بيده على الطاولة:

"يا جماعة.. يا جماعة كدا مش حانحل".

يسكت الجميع وهو يفكر.. الأمور وصلت لطريق مسدود بهذه المطالب فقال:

"أنا مش حاسجل المطالب دي عندي على إنها طلبات رسمية وحاعتبرها نقاش عادي".

يتدخل يحيى ليولعها:

"بس ده مخالف للقواعد.. المفروض أن نسجل كل شيء حتي يتم الرجوع إليه".

واستطرد ناظراً للجميع:

"بغض النظر إذا كنت أنا طرف في النقاش ولا لأ".

يزغر له كمال بقوة ولا يرد..

ثم قام بحركة عصبية مفاجئة للجميع..

خبط بطرف عصاه على الطاولة مرة واحدة وقال:

"أرجو أن يعمل الجميع لصالح هذا البلد.. الوعاء الذي يحتوينا كلنا.. شكراً.. الجلسة انتهت".

نظر الجميع له وإلى بعضهم..

لم يتصوروا أن تنتهي الجلسة بهذا الشكل الخاطف..

كان يحيى أول الواقفين.. أغلق سترته لينصرف في هدوء..

قاموا وانصرفوا تباعاً دون أن يتصافح أحد مع الآخر كما تقتضي الأعراف

ودون أن يصافحوا كمال..

بقي هو جالس مكانه هادئ يطالع الأوراق..

أغلق آخر المنصرفين الباب عليه وهو يفكر..

اخرج ورقة صغيرة كان قد كتب بها بعض الأفكار في الأيام الماضية امسك القلم وعلم على جملة واحدة صغيرة بشكل بيضاوي عدة مرات..

~~ التحالفات المستحيلة ~~

جملة صغيرة لها معان كبيرة..

كبيرة جداً..

* * *

مركز شباب الدويئة

الحكم ممسك بيدي اللاعبان الملقيان على الأرض و الغارقان في الدماء من الوجه والرقبة والصدر..

طلال معضوض في ودنه وتنزف بغزارة..

وحربي عينه اليمنى مصفاة تقريباً.. والجرح فتح من صدره وينزف بغزارة..

الحكم يهتف ويلهث ويشير بيده:

"الجولة حداشا".

وابتعد ونزل من الحلبة تماماً..

يقوم اللاعبان ويترنحان بشدة..

يحومان حول بعضهما في ترقب..

بمقدمة الحذاء الحديدية يضرب حربي طلال بين قدميه تماماً

طلال يبتسم له بسخرية وكأن شيئاً لم يكن..

~~

الإمام يسأل الريس ويكاد يجن:

"كيف لم يسقط.. إنها خامس مرة يضربه في الحساس".

الريس يرد عليه بشكل قاطع:

"ما تخافش.. شايلهم مع المدام في البيت".

~~

طلال ممسك برأس حربي ويضربها في أرض الحلبة الإسمنتية لتنزف منها الدماء بغزارة..

حربي يمسك برأس حربي وهي تنزف بغزارة ويضربها بقوة في الأرض التي صارت حمراء تماماً..

~~

يعلى يسأل الريس متعجباً من صمودهم رغم كل هذه الدماء:

"أينتهون عندما ينتهون؟".

الريس مستفسراً من الإمام عما قاله يعلى ويظن إنه ينبح مثل الكلاب البلدي:

"لو عايز يصرف مية الحمامات ورا".

~~

طلال وحربي مرتمين على الأرض بلا حراك..

طلال يرتجف رجفة بسيطة ليسكن ~~ حربي يشهق بخفوت ليصمت..

بحذر يصعد الحكم للحلبة ويمسك بيد طلال ويرفعها لتسقط بلا مقاومة

و يرفع يد حربي لتسقط كالأخرى..

الحكم يضع يديه على وريد هذا وذاك.. لا شيء.. لا يوجد نبض تماماً..

يقف ويشير بيده للريس بمعنى الذبح..

~

الريس بآسف وتآسف:

"يا خسارة.. كان نفسي حربي يكسب.. ههه دنيا.. البقاء لله"

الإمام بتعجب من هذه الرياضة الميتة:

"البقاء لله.. هل مات؟".

الإمام يشير بإصبعيه بمعنى الاثنين ويقول بالصعيدي:

"الاتنين خلصوا على بعض"

ويتابع موجهاً كلامه إلى لجنة التحكيم الجالسة بجوار الحلبة:

"يا الله يا جماعة معلش.. ما نجلجومش ف حاجة حلوة.. يطلعوا الاتنين سوا بكرة من عند الريس سعيد"

الحكم يهز رأسه ويرتجف:

"حاضر يا ريس"

الريس يواصل إصدار الأوامر:

"ويتصرف لحربي معاش شهيد.."(الرجل يهز رأسه بلا توقف)

هو التاني منين؟".

يرد الحكم بسرعة:

"من المطرية يا ريس".

الريس مشيراً لرجاله بأن يصرفوا الجماهير:

"يكون.. ابعته لأهله فضيلته".

الحكم وهو ينحني:

"اللي تأمره به يا ريس".

الريس ويشير له بالانصراف:

"والأسبوع الجاي تجيبوا اتنين يلعبوا مع بعض النهائي".

الإمام بتعجب يسأل وبالمصرية:

"ليه؟".

الريس بيقين ويشير له بكولكيعة حديد لا يفهم لها قبل من دبر:

"يا سبتي.. آمال حاسلم الكاس لمين؟".

~

صوت القارئ يدوي من السماعات بمركز الشباب:

((("صدق الله العظيم")))

الريس للإمام بعد انصراف الحاضرين إلا من رجاليهما:

"نتكلم بئه يا كبير".

الإمام يضع ساقاً على أخرى وقد اعتاد لبس البنطال..

الريس مباشرة ويخرج نسخة من البيان ويشير بها للإمام:

"اللي عملته في البيان بتاعك ده ما ينفعش خالص".

الإمام وقد فهم طريقته ويبتسم ابتسامة بسيطة نادرة:

"لقد ذكرت وبمساعدة ومباركة مجموعة حالئين الوطنية".

الريس ويشير إليه بإصبعه بحركة غير لائقة لم يفهمها الإمام:

"أيوه وبعدين في الآخر امت خاتم باسمك.. كده ماياكلش".

الإمام ولم يفهم الكلام:

"ألن نأكل الخروف؟".

الريس بعصبية من غبائه:

"محوووو.. إيه اللي جاب سيرة المتكتف.. كده ما يكلش يعني اسمي لازم يبئى جنب اسمك".

الإمام يتفاوض ويساوم:

"ما احنا رفعنا علمكم في المينا".

الريس يمسك نفسه عن إصدار أصوات تستنكر كلامه:

"لأ.. هو أنت كنت مش عايز ترفعه كمان ولا إيه".

ثم يلتفت إلى يعلى الصامت:

"ماتئول حاجة يا أبو الهول.. ولا أنت بتهوهو بس.. مرحتش الحمام ليه".

يعلى يتبادل النظر مع الإمام الذي لا يريد أن يخرب الجو العام:

"يكون.. موافق.. سأضع توقيعك".

الريس يشعر بزهو الانتصار:

"يكون".

ويقوم ليقوما ويشير للمائدة الفخمة الضخمة التي اعدت بسرعة في وسط الحلبة ويتوسطها الخروف المشوي وحوله العديد من الاطباق:

"كده بئه نعرف ندوس ف المتكتف".

* * *

ليلاً.. المعسكر التركي

قرب الثالثة صباحاً..

كريم يكح بشكل متواصل وهو نائم في العنبر..

أحمد يطمئن عليه من السرير أسفل منه:

"انده للشاويش؟ أنت بتكح بئالك ساعة يا كريم".

كريم من السرير العلوي وهو يلهث:

"مفيش داعي أنا بئيت زين".

أحمد بقلق ولا يستطيع التحرك من مكانه لأن ذلك ممنوع تماماً:

"يهووووتء.. أنت بتنهج تهاويس".

شعر بقطرات تهبط على وجهه وهو نائم..

مسح وجهه في الظلام ظناً إنها مخاط أو رزاز من فم كريم..

شم يده وهو ينظر لها في الظلام ليصيح:

"دم.. دم".

وقفز من سريره ليصعد ناظراً لكريم..

كان يبتسم في تألم والدماء تسيل من فمه..

ارتاع أحمد وصاح بأعلى صوته:

"كريم بينزل دم من بئه".

استيقظ معظم العنبر وهم يصيحون..

اخذوا يخبطون على الأسرة بالكفوف والصياح بصوت عال..

خالف معظمهم الأوامر ونزل من سريره والتفوا حول سرير كـريم الـذي بـدا إنـه في غيبوبـة ومغمض العينين..

أضيئت الأنوار من الخارج ليدخل الحارس الخاص بعنبرهم..

جرى على السرير وهو ينهر الأطفال ليبتعدوا..

وضع رأسه على قلب كريم الساكن تماماً وأخذ يسمع..

بسرعة رفع اللاسلكي على فمه ليتحدث بعصبية وحدة:

"الطبيب إلى عنبر 3.. إلى عنبر 3 بسرعة حالاً".

استمع إلى محدثه الذي يسأله عن الحالة..

رد ناظراً إلى وجه كريم البريء الساكن تماماً ومغمض العينين:

"حالة وفاة".

* * *

(نهاية القسم الثالث)



في القسم الرابع.. تحالفات..

وتابع مكملاً العرض ممسكاً كريستالة حقيقية موضوعة على مكتبه:

"حالمعك.. حاحولك من زعيم غير شرعي لحليف ف السر وتاخد الشرعية ف العلن.. اسمك حايطلع ف الجرايد.. وحتحضر مؤتمرات.. وتتف جنبي.. بس من بعيد لبعيد كأني مليش دعوة".

ووضع الكريستالة على المكتب وتابع باستكانة تمثيلية:

"ما أنت نضفت وبئيت من التايبين".

* * *



القسم الرابع

تـحـالـفـات

الطرية.. قرب منتصف الليل

به راكبان بخلاف السائق..

تك تك يسير سريعاً بين الحواري الضيقة جداً..

معظم البيوت مهجورة..

فالوباء الكبير 2027 قضى على جزء كبير من سكان المطرية..

به راكبان بخلاف السائق..

احدهما مندهش من المنطقة فهو لم يدخلها من قبل ولم يتصور أن تطأها قدماه يوماً..

كان يصور كل ما يرى من تفاصيل في ذاكرته..

لا لأجل هدف حربي أو عسكري كما اعتاد إنما لهدف آخر..

فلو قدر له أن يكتب مذكراته يوماً سيكتب فصلاً كاملاً عن هذه الرحلة العجيبة..

به راكبان بخلاف السائق..

يشير سائق التك تك بإشارات ضوئية منتظمة كل فترة.. ينحرف يمين في حارة ضيقة لا تكاد تسمح بالسير فيها.. يفرمل بقوة أمام بيت على مدخله نحو 10 من الرجال المسلحين..

به راكبان بخلاف السائق..

مجدي ينزل أولاً من الخلف ثم يتبعه بحرص الضيف الهام.. المندهش

إنه شوكت.. زعيم الحماية التركية..

لقد حاول مجدي أن يقنع الريس بأن يذهب لشوكت لكنه رفض خشية الغدر به و أصر على أن يحضر شوكت.. فالأمر معقد نظراً للحرب بينهما..

لم يستطع الريس رفض المبلغ المحترم الذي سيدفعه شوكت على كل نفس منفوسة..

ومجدي كان يقول دوما للطرفين ذهاباً وإياباً لإقناعهم:

"مصرين البطن بتتعارك.. فكوها بئه".

فبالنسبة له الأمر مفيد من الناحيتين..

مدير إدارة في الحماية التركية من ناحية..

وأحد المقربين من ريس جماعة حالئين من ناحية أخرى..

سارا على أقدامهما في حارة متفرعة لا تسمح بمرور أي نوع من التكاتك.. على الصفين مسلحون يقابلون شوكت بنظرات قوية.. حرب نفسية على طريقة حالئين.. بالطبع هذا لا يؤثر على شوكت بأي حال من الأحوال.. لقد اختاروا عاهات حالئين ليكونوا حرس الشرف..

نخلة يستقبل شوكت على باب الشقة الموجود بها الريس ويسلم عليه:

"نخلة.. مساعد أول الريس".

شوكت ينظر إلى نخلة المرتدي ملابس تشريفة..

بدلة بنية مخططة بأصفر منهوبة من السيرك وبابيون أخضر منقط بأحمر مسروقة قديماً من محل ملابس أطفال..

شوكت يصافحه بشكل دبلوماسي:

"اهلاً وسهلاً".

مجدي يتقدم داخل الشقة ويتقدم معه شوكت بخطوات بطيئة وهو يقيم المكان حوله بعين خبيرة..

شقة عادية لا يوجد بها أي شيء مخالف لأي بيت مصري..

أيقن أن هذا مقر مؤقت لغرض هذه الزيارة فقط..

مجدي ويقدم الريس لشوكت:

"الريس كبير حالئين".

شوكت يصافحه بشكل دبلوماسي مماثل:

"اهلاً وسهلاً".

الريس يسلم وقد ارتدى بدلة سموكين سوداء خاصة بالأفراح.

"اهلا بيك".

وأشار لبنت صغيرة مرتدية فستان فرح اصفر زايط وتحمل بوكيه ورد الترب ملفوف كأنه مكفن:

"ئدمي الورد يا زيطة".

زيطة تتقدم و تقدم الورد إلى نخلة بدلاً من شوكت وتغني الأغنية التي حفظوها لها في يومين كاملين:

♫

"منورنا يا كبير الترك — يا ئمر منئوش ع الترت

سلامنا لأهلك والكارت — مزنوئ عندك ف الور"

زيطة تهتز للخلف والأمام.. ولم تنطق الكلمة الأخيرة بالشكل الصحيح (الورد).. نخلة يأخذ منها الورد ويعطيه لشوكت بانحناءة مسرحية..

شوكت يركز في عيني البنت.. زيطة حولاء تماماً..

شوكت يبتسم ويقول لمجدي والريس وهو يداعب البنت في ذقنها:

"جميل.. هذا اشبه بالاستقبالات الرسمي".

ومد يده وآخذ الكارت من وسط الورد كما قالت البنت..

فإذا به كارت أبيض مكتوب عليه وجهه كلمة واحدة فقط..

الريس

قلبه فإذا الظهر مكتوب عليه وبنفس الخط..

كبير حالئين وزعيمها

دون أي عنوان أو رقم تردد متاح عليه..

الريس يشرح له سبب استضافته في هذا المكان:

"اصل ده المقر الجديد.. ئلنا نحتفل بيك".

همس شوكت وهو يجلس ويضع ساقاً على آخرى:

"مع أن هذا ليس لقاءاً رسمياً".

مجدي وقد فهم فيوضح:

"طبعاً يا شوكت بك.. الريس مفهم الناس هنا إنك حتورد لنا مكن جديد لمصنع كروت شحن الكهربا والميه بسعر مضروب".

شوكت بعظمة وقد لاحظ كلمة لنا التي توضح انتماء مجدي في زلة حفظها له شوكت:

"عظيم.. عظيم".

نخلة صرف الناس وأغلق الباب ووقف خلفه بظهره..

ووقف ينظر لشوكت الذي نظر للريس ففهم وقال له ليطمئنه:

"ده سري متخافش.. حانتكلم ئدامو".

شوكت يبدأ الكلام الجد الكاذب:

"أنا هنا بصفة استثنائية لظروف إنسانية بغض النظر عما جرى بيننا.. والشاهد فيها أن نقف فوق اعتبارات النزاع..".

الريس ينظر له بفم مفتوح غير فاهم.. وشوكت يكمل ولم يلاحظ ذلك:

"وخصومات الأمس دون مساس بكرامة أحد أو حق متنازع عليه"

الريس وهو يهرش في قفاه بعد نشرة الأخبار:

"وماله.. مش عيب.. إيه الموجز بالضبط مشان الفيونكة خانئاني ومش نائصة خنوئات".

شوكت وقد علم إنه جاهل تماماً فهبط بلغة الحوار قدر المستطاع:

"الموجز انني اخبرت مجدي إننا بصدد تجارب على دواء جديد.. ونحتاج كميات شهرية من البشر لنجربه عليها".

الريس وقد عرف هذا من مجدي:

"مجدي ئالي ع كل حاجة.. دوا.. وعيا وكلام كتير".

نخلة يتدخل ويقترب منهم ممسكاً بكرسي صغير وقلبه وجلس عليه:

"بس ألف صاحي ف الشهر مش كتير.. هما لزمنكوا ف إيه؟".

شوكت لا يرد عليه ليرد مجدي بالنيابة:

"تجارب طبية يا نخلة.. دوا جديد يعني".

نخلة يشوح بيده غير مقتنع:

"يا سبتي.. تجارب إيه دي اللي حاتبسحلوا بيها ألف نفس شهري".

الريس يسأل شوكت بدوره عن نقطة أخرى:

"حاتتلفوا الألف ولا حايتئشروا؟".

شوكت ينظرلمجدي ويطلب الترجمة فيقول له:

"يعني حايموتوا ولا حيفضلوا عايشين".

شوكت لا يعرف إجابة ولكن يرد بالرد المنطقي:

"منهم.. ومنهم".

الريس يتضايق ويصفق يدا بيد وقد تذكر يعلى في مباراة المصارعة وهو يقول له: *"أينتهون عندما ينتهون؟"*:

"هو إيه ده.. واحد بيهوهولي مش عارف عايز يتنسير ولا إيه.. وده كمان بيكاكي.. أنا كده نائص لي ئرد وابئى جنينة حاوانات".

ثم يحدث شوكت بعصبية وهو ينزع البابيونة:

"أنا بسأل يا محترم الناس دي حاتخدوها رايح راجع.. ولا رايح بس".

شوكت بهدوء وقد فهم:

"رايح فقط".

ارتاح الريس ورجع بظهره للوراء.. نخلة يخبره سبب سؤال الريس:

"إحنا بنسأل مشان لو حد منهم رجع حتبئى مشكلة لينا".

شوكت يطمئنه وينزل رجله:

"اطمئن.. لا أحد سيرجع".

الريس بدهاء وينظر لنخلة:

"يبئى كده الكلام مش مضبط يا محترم".

مجدي يخشى من تقلبات مزاج الريس ويقلق منها فلو خرج الموضوع من رأسه لن يدخل

ثانية فيلحق به:

"ليه بس يا ريسنا".

الريس له ولشوكت بكثير من الدهاء:

"كده يبئى فيهم ناس حاتتلفوهم كل شهر.. حايفضلوا عايشين.. يعني حايتئشروا.. وانتوا اللي حاتتلفوهم مشان تيجي الشحنة الجديدة".

ثم عاد ليسأله ثانية وهو يعبث بالبابيونة في يده:

"انتوا حاتودا البشر دي كلها وين؟ خليك مسطرة معايا".

مجدي بهدوء ليهدئ الأمور:

"يا ريس في الآخر كلها فايدة والله.. ده شوكت بيه ئالي إنهم ممكن يحلوا موضوع الهرش بالناس دي".

الريس صدق وسأل شوكت:

"صحيح.. دي زادت معايا ئوي.. ده أنا متبهدل من تحت يا صاحب".

شوكت التقط طرف خيط الكذبة من مجدي:

"ده صحيح.. لكن الابحاث ما زالت في بدايتها".

الريس متذكراً آلام الهرش المجنونة:

"ابحاس إيه يا محترم ناسك.. بئولك انا متقطع"

عودة إلى الصمت المطبق ثانية..

الريس لا يستطيع الربط كيفية وإمكانية أن يحل الناس المخطوفة مشكلة هرش خصيانه..

لكنه خشي السؤال حتى لا يظهر بشكل الجاهل..

حسم أمره في النهاية:

"خلاص يا محترم ناسك.. خلص الكلام".

شوكت يقلق ولا يتكلم وكذلك مجدي.. الريس ماداً لشوكت يده بالسلام:

"حط ئبل ما تتعب وشيل ئبل ما تستريح".

شوكت لا يفهم فيقولها الريس ببساطة وبالعربية:

"اتفقنا يا خواجة.. أنت مابتفهمش عربي ولا إيه؟".

لا يصدق شوكت فيمد له يده بالمثل ويصافحه:

"اتفقنا".

وتصافحا في قوة..

ولو علما ماذا ستئول إليه هذه المصافحة عليهما وعلى الجميع..

لما تصافحا.. ولا تقابلا..

وشوكت يعيد الكلمة في ذهنه و يقولها في سره بالتركية:

~~"حط قبل ما تتعب وشيل قبل ما تستريح"~~

فهذه الكلمة تستحق..

تستحق أن تكتب في مذكراته..

* * *

مدينة الجمال

قرب جبل يهموم الأبرق..

فرملة قوية على أرض شبه ممهدة حمراء قانية..

نزل جون ببطء من السيارة وهو ينظر للمنظر أمامه..

منظر مرعب كابوسي لم يتصور أن يشاهده في حياته..

فمدينة الجمال لا تملك من الجمال إلا اسمها..

بنيت من قبل الصينيين قبل خمس وعشرين عاما من أجل إيواء الومسات الكوبيات ممن يعتزلن منهن أو يستشفين من مرض البكوات الجنسي الرهيب والمعدي.. الزهري والسيلان لا يذكران أمامه..

ويبدو أن المدينة بنيت وتركت ونسيت ونسي من يعيش فيها..

مدينة كاملة من الأكواخ المعدنية القديمة..

الأكواخ التي لم تعد تصلح للاستخدام للجيش الصيني بنوا منها المدينة

أما أعلى الجبل فعزلت المريضات في أكواخ أخرى..

ومن تمت منهن تحرق جثتها لينثر رمادها من قمة جبل يهموم الأبرق..

سينيه يشير له بالتقدم..

بعض النساء ينظرن خلسة من خلف الشبابيك..

جون يسأل بلهفة وهو ينظر في الوجوه عسى أن يجدها:

"أين هي؟".

سينيه يشير إلى أعلى نقطة بالجبل:

"هناك.. سنصعد سيراً على الاقدام".

* * *

وادي جدعا.. مقر قيادة الأركان الأوروبي

وليام يرتدي لباس الحرب وقد وقف مع قادة عسكريين حول طاولة دائرية عليها خريطة كبيرة..

يسألهم أولاً وهو يستند على الطاولة بمدفعه الرشاش:

"وضع القوات؟".

يرد قائده الأبرز بلي كستر بلكنة اسكتلندية:

"الوضع جيد.. لكنه غير مطمئن".

وليام لا يفهم التضاد في المعنى:

"ماذا تقصد؟".

القائد يتابع شارحاً الموقف:

"إنهم يريدون القتال ولكن مع عدو حقيقي".

نظر له وليام بغضب ثم تجاهل تعليقه.. أشار بيده بقلم ضوئي على الخريطة ويقول كأن شيئاً لم يكن:

"سنهجم من المدخل الشرقي للحي؟".

تكهرب الجو وبدا أن شجاراً سيحدث كالعادة بين وليام وقادته..

فتجاهل وليام لكلام القائد أكد نيته الهجوم دون تشاور.. لذا عقب أحدهم بانجليزية مليئة بالإيطالية وبمهنية:

"هذا هو افضل اختيار.. فبمراقبة جميع المداخل وجدنا أنه اضعفهم".

قائد آخر يتابع بانجليزية فرنسية متحمسة:

"كما توجد تقديرات بأن ثلاث انفاق على الأقل توجد بالقرب من هذا المدخل"

قائد أخر غير مقتنع بجدوى العملية ويعجن بانجليزية اسبانية:

"سيدي إذا استثنينا مصانع تزوير الكروت التي اخبرتنا بـه تقارير جـدعو مـا جـدوى

الهجوم؟".

وليام يترك النظر للوحة ويطيل النظر فيه ويخبره بالمثل الانجليزي:

"بني.. ينبغي أن يفعل المرء في روما ما يفعلون في روما".

ورفع مدفعه تاركاً الخريطة لتطوى من ناحيته..

وترك المكان وتركهم وهم ينظرون إلى بعض وقال قبل أن يختفي:

"أرسلوا القوات".

ظلوا ينظرون إلى بعضهم و مثل آخر يدور بذهنهم..

"أيتها الشمس إلى متى ستشرقين في الحرب؟ إلى متى ستدورين في السماوات كدرع دامية".

* * *

مدينة الجمال

جون يصعد مستنداً بيديه على الصخور الحادة القاسية يناوله سينيه يده ليساعده على الصعود ووليام يسأل:

"ألم يكن من الأفضل أن نصعد بالسيارة؟".

سينيه ويوجهه للسير داخل دغل كثيفة الأشجار:

"الطريق غير معبدة.. لقد تعمدوا ذلك حتى يبقوهم بعيداً عن العيون".

ثم توقف عن السير ليتوقف جون بدوره.. يسأله وهو يمسح كفيه و جروح مدممة منتشرة بهما:

"ماذا؟ ألن نكمل؟".

سينيه بغموض وهو ينظر حوله بانتظار شيء ما أو شخص ما:

"الوصفة التي معي توصلنا إلى هنا فقط.. الباقي لا اعرفه".

نظر جون إلى الأشجار الكثيفة المحيطة بهم من كل مكان وسأله بتوتر:

"ماذا تعني؟ كيف سنصل إذن؟ من سيرشدنا؟".

سينيه مشيراً إلى نقطة خلف ظهره:

"هم سيفعلون".

نظر جون إلى النقطة خلفه ليجفل منزعجاً..

ثلاث بندقيات قديمة من ذات الفوهتين ترتفع أمام وجهه مع صوت خشن يسألهم:

"من أنتم وماذا تريدون؟".

* * *

منطقة البساتين القديمة.. جنوب القاهرة

لترتفع طائرة ورقية عالياً في السماء..

يد صغيرة تجذب حبلاً لأسفل عدة مرات..

والحبل يلتف على بعضه..

لترتفع طائرة ورقية عالياً في السماء..

الطائرة كبيرة جداً ومزركشة ولها ذيل طويل..

طفل لا يتعدى العاشرة يطيرها من فوق سطح إحدى الترب..

يحركها يمنة ويسرة بمهارة..

عيناه ليستا في السماء مسلطة عليها بقدر ما هي مسلطة على الأرض..

من مكانه على حافة السطح رأى منظراً مرعباً دق له قلبه بشدة..

على بعد وفي الشارع الضيق بين كانوا يتقدمون بهدوء..

سيارات عسكرية كثيرة.. تتبعها أحصنة وفرسان.. ولا آثر للمشاة..

بسرعة قام بالعمل اللازم منه..

أخذ في لم الحبل بسرعة فائقة يجيدها لتهبط الطائرة سريعاً..

والحبل يلتف على بعضه..

~~

على مسافة بعيدة..

فوق سطوح أحد القبور..

أحد الشباب يراقب بنظارة مقربة لاحظ هبوط الطائرة سريعاً فيهتف عبر اللاسلكي:

"الهجوم عليك يا اشول.. اخفي المداخل".

* * *

الدويئة.. منزل الريس

الريس يهب مذعوراً من نومه بعد أن اخبره نخلة بهجوم البساتين:

"إيه.. الخواجات.. ودول عايزين مننا إيه؟".

نخلة يتوقع ويخمن:

"اكيد الانفاء.. احنا خفينا المداخل وخبينا الزباين".

محروس يقتحم المكان ممسكاً اللاسلكي:

"يا ريس.. الحيء بسرعة".

الريس ونخلة يستفهمان في صوت واحد:

"فيه إيه؟".

محروس يخبرهم بالصدمة المفاجأة:

"الخواجات هجموا على مصنع الكروت".

* * *

مدينة الجمال

يتطلع جون إلى صاحب الصوت الخشن.. فوجئ بإنها امرأة كبيرة في السن وسمينة جداً.. ومعها اثنتان في تفس الحجم والسن ويحملن بنادق مثلها والثلاث فوهات في وجههما مباشرة ولا يمزحن

سينيه يشرح مخرجاً الورقة الصغير من جيب جون العلوي:

"نريد صاحبة هذا العنوان؟".

ببطء اقتربت منهم واحدة وأخذت الورقة خطف وهو توجه البندقية إلى رأسهما

قرأت العنوان لتعطي الورقة للريسة فيهم التي قرآتها بدورها لتسألهم بابتسامة غامضة:

"من منكم يريدها؟".

جون يهتف بلهفة وهو يلهث من التوتر:

"أنا أريد رؤيتها".

سينيه يكمل و يناولها كيس ضخم مليء بعملات ذهب:

"إذا لم يكن لديك مانع".

المرأة تأخذ الكيس وترجه بيدها لتفتحه وتنظر للعملات المتداخلة وتلقيه لأخرى وتقول:

"الزيارة عشر دقائق".

وتنظر لهما بعين كانت تشتهي الرجال قديماً و تقول بتلذذ:

"وحاتتفتشوا.. تفتيش ذاتي"

* * *

الدويئة.. منزل الريس

الريس متوتر ويمشي جيئة وذهاباً:

"المصنع يبئى كان ئصدهم المصنع مش الانفاء.. طب ليه عاملنالهم إيه؟".

نخلة ومحروس يراقبانه في صمت..

الريس ممسكاً اللاسلكي ويحدث *باضونيوس* الذي كان يحدثه منذ دقائق من قلب المصنع:

"إيه الأخبار عندك يا باضونيوس؟".

يرد عليه صوت من المصنع وصوت ضرب النار يصل مسامع الريس ونخلة ومحروس بوضوح:

"كابسين يا ريس.. مش عارفين نعمل إيه؟".

الريس يسأله وقد لاحظ تغير صوته كأنه يعجن:

"تلفوا كام واحد مننا يا باضونيوس؟*أنت طافح عجة؟!* ".

الصوت وضرب النار يغطي على صوته وما زال يعجن:

"تسعة يا ريس.. أنا حوت.. باضونيوس سافر".

بمعنى إن باضونيوس مات تماماً..

الريس يترحم عليه:

"الله يرحمه.. كان غتت ئوي.. حايغلب الملايكة معاه".

الريس ينظر لنخلة ومحروس ويأمر حوت:

"اختفوا.. اختفوا من عندكوا يا حوت".

ثم يتأكد من محروس المشغول بالعبث داخل انفه وإخراج كلاكيع بنية:

"احنا في واحد شغال معانا في المصنع اسمه حوت".

محروس لا يدري ولكنه لا يحب أن يظهر بمظهر القفة:

"باين يا ريس.. أكيد من ناسنا"

حوت يتأكد ثانية من الريس والعجين مستمر بصوته:

"ننسحب يا ريس؟".

الريس يفكر بسرعة في هوية صاحب الصوت..

صوت الضرب قاطع تفكيره..

يعيدها بتأكيد وإصرار:

"فخخوا المصنع بسرعة واتبخروا يا حوت.. وخدوا الكروت اللي تندروا عليها والباقي ولعوا فيه.. مش عايزنهم ياخدوا ولا كارت سليم.. فاهم يا باضونيوس.. يا حوت".

واعتصر اللاسلكي بيده وأنهى الاتصال..

كانت هذه خسارة عظيمة لحالئين.. فمصنع الكروت بالبساتين يدر عليها أموال طائلة ويعتمد على هذه العوائد في أمور كثيرة..

نخلة يواسيه بكلام يناسب الموقف:

"معلش يا ريس.. اللي انخرئ يترئع".

الريس رافعاً رأسه بعين مليئة بالتحدي:

"بس ئبل ما يترئع.. لازمن يتآدبوا.. ويضربوا على آساتهم".

ثم يسألهم ثانية بالسؤال الذي يشغل باله منذ أن سمع صوت محدثه:

"مين حوت ده؟"

* * *

العجوز تتقدم باتجاه كوخ صغير منعزل تحوطه الأشجار..

يخفق قلب جون ويشعر كأنه في حلمه المعتاد وسيستيقظ قبل أن يراها..

المرأة تخبط على الباب المعدني الصدئ بهدوء..

لا توجد استجابة..

تخبط بقوة اكبر وتلتفت لتقول لهم:

"لديها متاعب في السمع".

ثوان ثم جاء صوت خفيض من الداخل:

"لا أريد أحداً".

المرأة وهي تدفع الباب بقدمها:

"ضيوف.. ويبدو احدهما إنه مهتم بك للغاية".

وضحكت ضحكة خشنة رقيعة اقشعر لها بدن جون وقالت له:

"عشر دقائق".

وناولته كمامة غير نظيفة وانصرفت..

أشار سينيه لجون بالتقدم واخرج سيجارة.. تنظر المرأة في علبة السجائر.. مد سينيه يده لها بسيجارة.. بخشونة قامت بخطف العلبة كلها من يده..

ببطه اجتاز جون عتبة الباب حيث الظلام يملأ المكان..

أشعة شمس تعبر الشباك في خطوط متوازية لتشكل مع الغبار خطوطاً هندسية منتظمة ساقطة على الأرض..

المرأة جالسة على مقعد متحرك مواجه للشباك وظهرها له وأشعة الشمس تسقط عليها.. تتمتم بكلمات غير مسموعة..

يقترب جون منها ببطء وقدمه تطقطق الأرض الخشبية المهترئة ليصدر صوت مزعج..

مع اقترابه التمتمات تتضح كلمات بصوت خفيض:

" .. إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا"

لاحظ إنها تسمع مما تحفظ ولا تقرأ من كتاب..

"قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور" .

جون بصوت مرتجف ينادي عليها بالكلمة التي حرم منها طيلة عمره:

" أماة" .

* * *

قصر القبة

السيد كمال جالس في مكتبه.. صالون الاستقبال..

ينظر للضيف الجالس أمامه نظرة تفحص ليعرف كيف سيبدأ الكلام..

آخر ما كان يحلم أو يتوقع كلاهما أن يجلسا في مواجهة بعضهما في زيارة رسمية..

أو في زيارة عمل..

السيد كمال يبدأ الحديث:

"احنا مرائبنكوا من فترة وعارفين كل حاجة عنكوا وعن كل نشاطاتكوا المريبة"

ثم تابع قبل أن يرد الضيف:

"أنا عارف انك بتبني نفئ طويل من قرب بيتك لغاية الدقي.. سليم".

الضيف لا يرد ويحرك قدميه بعصبية..

فلو نطق بأي كلمة سيعرف كمال إنه فعلاً يبني النفق..

"وعارف مثلاً إنك بتخطط لعملية كبيرة ضد الأوربيين مشان تكسب شعبية بين الناس.. سليم؟"

الضيف لا يصدق أن يتم تسريب هذا المعلومات الموجودة في عقل ثلاثة من رجاله فقط.. لذا قرر التخلص من عقولهم فور انصرافه..

فكر في احتمال آخر..

ربما يبعث له كمال رسالة أن تخلص من هؤلاء فإنهم كالمثال

(سرك في ميكرفون).

السيد كمال يوضح:

"أنا مش جايبك اوجعك بالكلام ده.. لأ".

ثم صب له كأساً من زجاجة صغيرة خاصة به وتابع:

"أنا جايبك اعرض عليك تحالف نادر.. ومش حايتكرر.. سري طبعاً.. حايكون ما بيني وبينك بس".

ثم انتظر حتى مد الضيف يده واخذ الكأس غير مصدق هذا الكلام..

"حاديلك دعم لوجستي"

لاحظ أن الضيف لم يتحرك بل هو مشغول بتقييم الكأس بالنقر عليه وهو مواجه للإضاءة فعرف إنه لم يفهم..

يشرح كمال له الموضوع بكلمات بسيطة:

"حاسيبك تبني انفاق.. حاجبلك كل الأخبار.. الحلوة والوحشة.. وحانراقب رجالتك من بعيد ونعرف إذا كان فيهم جواسيس.. تنضف طازة بطازة..".

وتابع مكملاً العرض ممسكاً كريستالة حقيقية موضوعة على مكتبه

"حالمعك.. حاحولك من زعيم غير شرعي لحليف ف السر وتاخد الشرعية ف العلن.. اسمك حايطلع ف الجرايد.. وحتحضر مؤتمرات.. وتئف جنبي.. بس من بعيد لبعيد كأني مليش دعوة".

ووضع الكريستالة على المكتب وتابع باستكانة تمثيلية:

"ما أنت نضفت وبئيت من التايبين".

واخرج علبة خشبية كبيرة ووضعها على المكتب ودفعها أمام عين الضيف وقال له:

"ئلت إيه؟".

الضيف يرفع يده المليئة بالخواتم الكثيرة بالكأس إلى فمه ويبتلع ما فيه دفعة واحدة..

لم يهتم بمرارة المشروب الحاد..

يمد يده ويفتح العلبة ليجدها مكدسة بالمجوهرات.. غوايش.. سلاسل.. حلقان.. خواتم..

ليس هذا فحسب ولكن كل قطعة ملفوف معها فاتورتها المختومة..

فرد فاتورة.. فوجد إنها مكتوبة باسمه..

اسمه الثلاثي الذي لا يعرفه الكثيريين.. حتى من المقربين..

بصوته الأجش معجباً بالهدية التي تتمشى مع ذوقه و بالمشروب القوي الذي أدار رأسه:

"حائول إيه بعد ده كله.. ده أنت عارف اسمي اللي انا نسيته.. وبحب إيه.. وبفكر في إيه.. موافئ طبعاً يا باشا".

ابتسم كمال.. لقد ضم إليه جناح لم يكن ليتصور أن يضمه معه في تحالف في يوم من الأيام..

جناح بالغ الشراسة وسيحتاج منه إلى كثير من الجهد..

إنه وقت التحالفات إذن.. الكل يبحث عنها بكل طريقة ممكنة أو غير ممكنة

التحالفات الممكنة أو حتى المستحيلة..

مثل هذا التحالف المستحيل تصوره..

تحالف بين طرفين على أطراف اللعبة تماماً.. *بين*

السيد كمال..

.. وفرداني..

* * *

مدينة الجمال

تلتفت العجوز إلى جون وتنظر له بعين واهنة..

وجهها متغضن تجاوزت الستين ولكن بالأمراض تبدو في الثمانين..

لم تكن سمعت الكلمة التي قالها لها جيداً..

إلا إنها تعرفته بالشعور الخفي بين أي أم وابنها.. حتى ولو كانت عمياء تماماً كانت ستتعرفه..

لا تحتاج للضياء لتراه.. ولا إلى أية أذن لتسمعه.. هتفت بارتجاف:

"جون.. أهذا أنت فعلاً؟".

وتابعت التمتمات:

"انظر إذا لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة".

جون ينكب عليها تقبيلاً في يدها ورأسها وكل مكان وهو يرتجف:

"هذا هو أنا.. إنه أنا يا أمي.. لا اصدق أني اراك.. لقد حلمت بك كثيراً لم أكن اتخيل

شكلك فقط اتخيل روحك ما أراه فوق مستوى أحلامي".

الباب يخبط بقوة مع صوت المرأة الآجش تقتحم المكان مع سينيه:

"رجال وليام قادمون".

* * *

تتابعات

باجا يضع كأس من التان الصافي على شفتيه ويشرب بتلذذ..

~

شابلن يدخل على فرداني ويقف مبتسما بخبث أمامه.. فرداني يلقي ببعض الصور في وجهه.. شابلن لا يصدق إنه اكتشفه ويحاول أن يستل مسدسه.. ثلاث طلقات صائبة من رشاش فرداني الضخم ترديه على الأرض..

~

باجا يرتدي قناعه الأبيض الذي يستخدمه في العروض المسرحية ويبدأ في تمرين طبقات صوته بالغناء الأوبرالي العالي..

~

فرداني جالس في مقعد وأمامه معلم واقف أمام سبورة صغيرة.. المعلم يكتب عليها بالطابشير الأبيض بخط كبير.. **لوجستي**.. فرداني ينطق الكلمة ببطء وراءه بشفاه ممطوطة لتخرج منه.. لو.. كس.. تي

~

باجا يتمرن بطبقات صوت عالية جداً.. وغاية في الاحتراف..

~

فرداني يقرأ مانشيت في جريدة وهو يمرر إصبعه على الكتابة ببطء كالأطفال (*مجموعة فرداني تغير اسمها ليصبح مجموعة التائبين*)

~~

باجا يوقع على أمر بدء تنفيذ المشروعين السياحيين وهو ما سيكون سراً ميناءي القناطر والمعصرة..

~~

فرداني وبجانبه المعلم يوم الامتحان.. فرداني يكتب اسمه على ورقة بيضاء بخط كبير..

فـــــردانـــــــــــي.. خط ملعبك.. ولا يقرأ

* * *

طريق قليوب الزراعي

طابور من العربات التي تجرها حمير تسير حاملة معها مئات العمالة الكوبية التي تعمل في محلات القاهرة..

الطابور يمتد لعدة كيلومترات مما آثار فضول المواطنين..

مواطن مصري يسأل آخر والطابور يمر من أمامهم:

"يا ترى مودينهم على وين؟".

الآخر يرد عليه وهو متأكد:

"هما نفسهم مش عارفين".

أحد الركاب على ظهر العربة ويجيد العربية فقال لزميله بالكوبية:

"احنا فعلاً مش عارفين رايحين على وين".

الزميل مخرجاً الهارمونيكا ويلتفت حوله كيلا يراه الحارس ويقول:

"سمعت إنه مشروع سياحي.. إننا أول دفعة ستذهب للحفر".

الأول مراقباً الناس التي تنظر لهم:

"المهم إننا سنعمل.. ونقبض.. ما اسم المنطقة؟".

الثاني مغمضاً عينيه ويتذكر بصعوبة:

"القرانر.. شيء من هذا القبيل".

الحارس بجوار السائق يخبط على جانب العربة حتى يصمتوا..

* * *

تتابعات

الكوبي يمسك بالهارمونيكا ويضعها على فمه ويعزف وصديقه يغني بصوت شجي:

"راحلون ولا ندري إلى أين"

~ يد ممسكة بوتد كبير ويد آخرى تدق عليها.. إعلان كبير جداً يثبت على الأرض

"تأخذنا الرياح كما تريد"

~ بعض المصريين يمرون بالإعلان يقرآه ويضحكوا ثم يمرون..

"نحتار فلا نعرف الفرار"

~ اليافطة مكتوب عليها بالعربية والصينية (**إنشاء مشروع سياحي ترفيهي**)..

"ولا إجابة السؤال الذي يدور في الأذهان"

~ أكوام من الرمل توضع على بعضها لتشكل كومة كبيرة من الردم..

"أخير أريد بمن في الأرض؟"

~ رجل يناول آخر خلفه قفة مليئة بالرمال الذي ناولها لآخر خلفه بدور ويمسح عرقاً غزيراً على وجهه..

"أهدوا إلى الطيبات فعلاً؟"

~~ الرجال مجتمعون ويبدون بملابس نظيفة وكأنهم يحتفى بهم..

"أم هو شر زمان؟"

~~ يقفون صفاً واحداً كأنه مطلوب منهم صورة أخيرة للذكرى بعد انتهاء الحفر..

جندي يقف على مسافة منهم وينزل على ركبه ويصورهم وهم يبتسمون في سعادة

يبتسم عازف الهيرمونيكا إلى صديقه في سعادة.. ولا يصدق أنه سيقبض راتبه ويرحل بعد دقائق إلى إجازة طويلة..

الجندي يقف ليتراجع خطوة انتظام.. و تبرز بغتة خمسة مدافع آلية ضخمة..

الابتسامة تحولت لذهول يعلو كل الوجوه..

عازف الهيرمونيكا الأسمر ينظر لصديقه نظرة وداع..

يخرج الهيرمونيكا ويمسك بها بقوة..

الطلقات تحصد الجميع..

الهيرمونيكا تسقط من يده على الأرض..

ليتوقف العزف.. وينتهي الغناء.

"بالتأكيد هو شر زمان".

* * *

مدينة الجمال

اقتحم رجل ببدلة عسكرية أوروبية أنيقة المسكن الصغير..

خلفه حارسان مدججان بالسلاح..

وجد الأم على حالها أمام الشباك ووجهها له..

سألها بترقب واحترام وقد شك في شيء ما:

"مارثا.. أنت وحدك أم معك أحد؟".

الأم لا ترد وتتمتم مع نفسها.. لطمها الرجل بقوة لتسقط من على كرسيها إلى الأرض وهي تصرخ..

~~

من داخل الحمام الضيق يراقب جون ذلك ويكاد يقفز مستلاً مسدسه ليقتله.. سينيه يمسك يده بقوة كيلا يفعل.

~~

الرجل يستل مسدسه ويقول لها:

"أوامري محددة.. ولا وقت لدي لأضيعه أكثر من ذلك".

وجذب الزناد ببطء وأصابعه تتجه لضغط الزناد.

~~ طلقة صائبة ~~

تستقر بين عيني الرجل تماماً الذي يذهل للحظة ليسقط جثة هامدة..

طلقة بين عيني أحد الحراس.. يسقط كحجر..

الحارس الثاني يستل مسدسه ويطلق طلقة عشوائية..

لتعالجه طلقة أخرى كبيرة من بندقية..

ينظر جون إلى المرأة العجوز والدخان ينبعث من ماسورة البندقية وتقول له ولسينيه بابتسامة:

"ثمن علبة السجائر.. أليس..".

ثم وضعت يدها على جنبها لتسقط و يدها ملوثة ببقعة كبيرة من الدماء

انكب جون عليها وفحصها هو وسينيه وجاءت الأم بلوعة وتهتف بها:

"اوبرنيه.. لماذا فعلت ذلك؟"

اوبرنيه وقد بدأ الزبد في الخروج من فمها فالطلقة أصابت الكبد مباشرة

"سآخذك بعيدا.. بعيداً جداً.. لن يستطيع العثور علينا.. مارثا..".

بينما مارثا تربت على رأسها وتتمتم بصوت واهن هامس:

".. ليتقدس اسمك،ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض..".

أوبرنيه تهمس لها بآخر شيء:

"اذهبي إلى شيه.. سيحميك.. أنت تعرفين العنوان".

وخلعت خاتم مميز بفص اسمانجوني وأعطته لها بيد مليئة بالدماء..

مارثا تحاول كتم الجرح الذي ينزف بغزارة بيدها:

"سآخذك معي.. لن اتركك هنا"

اوبرنيه تبتسم في امتنان لتغمض عيناها للآبد.. حضنتها مارثا وانخرطت في البكاء.. وجون وسينيه يفكران..

كيف سنتصرف في هذه المشكلة؟

* * *

المعسكر السري التركي

"سيفتح عينيه".

كان هذا أول ما سمعه بغير وضوح كأن الصوت قادم من آخر الدنيا..

لا يعرف صاحب الصوت.. هو متأكد من ذلك..

فتح عينيه ببطء ليرى الضباب يلف كل شيء دون ملامح أو تحديد لأي شيء..

"فتحهم.. كريم فاء يا دكتور".

الصوت يعرفه ولكن لا يستطيع تحديد اسمه.. عملية الاسترجاع ما زالت عصية..

الصوت الذي لا يعرفه يتحدث بالعربية:

"سلامات أيها الصغير.. قلبك لا يريد أن يتوقف.. قلب جرئ".

كريم يسأل بصوت بلا صوت:

"هو إيه اللي حصل؟".

وفتح عينيه ثانية ليرى ملامح تعرفها بصعوبة:

"يهوووووتء.. أحمد.. إيه اللي حصل؟".

أحمد يرد بقدر معرفته ويشير له بكف مفرود الأصابع:

"بيئولوا إنك مت ورجعت تاني.. ئلبك وئف خمس دئايئ".

رد الآخر وهو طبيب ويعطيه إبرة في ذراعه دون أن يشعر:

"أنت محظوظ.. دكتور سابيان يجي مخصوص يشوفك".

كريم ورأسه تلف ثانية:

"سابيان.. طب هو كده يبئ دكتور واحد ولا اتنين"

ربت عليه الطبيب.. ليغمض عينيه في سرعة ويعود إلى السبات..

السبات العميق..

* * *

مقر حالئين الجديد بالمطرية

الريس ينظر للمجموعة من خمسة أفراد والواقفة أمامه..

لقد اختار ثمانمائة عنصراً من العناصر من الموالين له.. جيدة التدريب.. شجاعة.. وتحب المال وولائها له كولائها للريس..

جمع الريس الخمسة وهم قادة للمجموعة.. كل واحد قائد لثلاثين وكل ثلاثين مقسومين عشرة مجموعات كل مجموعة ثلاثة أفراد.. لتكون المجموعات كلها خمسين..

الريس يوضح لهم مرة أخيرة:

"زي ما اتفقنا.. احنا عايزنهم حيين.. كشوف العناوين حاتجلكوا كل شهر زي ما ئلنا اللي يتخطف ياخد رقم و يتعلم على اسمه بالعرض".

ونظر إلى نخلة الواقف بجواره والذي سيعد القوائم مع مجدي ليتابع :

"وحنتحاسب بالكشوف.. مفهوم".

أحد القادة يتقدم خطوة:

"مفهوم يا ريس عايد.. عايد بس السؤال.. هي الناس دي عيانة بآيه بالضبط".

نخلة يشرح الكذبة رابع مرة أو قل خامساً:

"عايد.. عايد.. عيانة بمرض خطير يا دهل وهي ماتعرفوش.. بس ما تخفوش.. المرض مش معدي.. احنا بنبعدهم عنا ئبل ما المرض يتحول لوبا ويبئى معدي".

الريس يصيح بدوره ويمثل دور المتقيين:

"يعني يا دهل.. احنا كده بنحمي نفسنا وعيالنا.. حتبئوا مثل و يتعملكوا تماثيل".

انتفخ الخمسة لأن ريسهم يقول لهم مثل هذا الكلام..

الريس يؤكد ويحذر ويعود لطبيعته :

"بس أهم حاجة..".

يقاطعه القائد دهل وقد فهم من كثرة التكرار:

"مفهوم يا ريس.. الكتمان طبعا.. اطمن لو حد نطئ من رجالتنا حانتلفوا فوري".

الريس سعيد بإنهم فهموا أخيرا:

"حاتتلفوا فوري.. ومن غير ما ترجعولي".

وولى وجه شطر المقام يميناً وعاد لدور المتقيين:

"وبيني وبينكم عم سعيد".

ارتجف الجميع لذكر صاحب المقام العالي..

الريس يلقي لهم بصرر محترمة جداً لم يتوقعوها وقال:

"يلا.. عيشوا السعادة الليلة.. ومن بكرة يبتدي الشغل".

استلم كل منهم الصرة وحيوه وانصرفوا يتقهقرون ويحيون الريس بوجوههم مقبلين غير مدبرين..

الريس بعد أن تأكد من انصرافهم يقول لنخلة:

"عملت إيه في موضوع الخواجات؟".

نخلة يرد وعينه على صرة متبقية:

"لسه يا ريس.. بنرائب الجو.. بس في حاجة؟".

الريس وقد بدأ في الهرش بخصيته ثانية:

"حاجة إيه؟".

نخلة بحيرة من الأمر فعلاً:

"اللي اسمه حوت ده طالب يئابلك ضروري".

الريس ويهرش باليد الثانية في نفس الخصية:

"وده عايز إيه.. مش أنت ثابلته وسلمك الكروت اللي ئدر يهرب بيها من المصنع ئبل ما يتحرك.. إلهي يحرئ أبوهم ولاد جرش ئوالح".

نخلة وهو مرتاب في أمره حوت:

"بيئول أن عنده معلومات عن الخواجات ومش حايئولها إلا ئدامك".

الريس وقد بدأ يتجنن ثانية في الهرش:

"وأنت شايف إيه؟... احححح".

نخلة وقد لاحظ ذلك وهو يناوله ورقة تحريات جمعها عن حوت:

"أنا رأي ما نئامنلوش.. هو كان شغال في التجميع عند الخواجات فترة وبعدين تاب واشتغل معانا من حول واحد بس.. أنا مضمنوش"

الريس بدهاء وقد فكر بشيء مبتكر وهو يأخذ الورقة:

"مش بتئول تاب؟".

نخلة يقول ما تعلمه من أمه الراقصة ويرقص يده:

"توبة الغوازي نائصها صاجات".

الريس وقد توقف عن الهرش فجأة:

"خلاص.. هاتهولي بكرة عند عم سعيد.. أنا حاعرف ئرار توبته".

ثم قفز لأعلى وصاح:

"حبيب كينونتي.. بئولك..".

نخلة وقد فهم مطلبه فقاطعه بإشارة من يده:

"من غير ما تئول يا ريس.. غاسلها".

* * *

مدينة الجمال

على حافة الجبل العال..

جون يدفع سيارة ثقيلة بكفه وكتفه..

سينيه يساعده وقد بدأت السيارة في الانحدار لأسفل..

استمرا في الدفع لمسافة قبل أن يتوقفا حتى لا ينحدرا معها هبوطاً..

على حافة الجبل العال..

أخذا يتابعاها وهي تنحدربقوة وجثث الضابط والحارسين واوبرنيه تتقافز بداخلها بقوة.. تقترب بشدة من صخرة ضعف حجمها..

تصطدم بها محدثة دوي هائل مع كتلة متوسطة من اللهب..

لقد سكبوا الكثير من الجاز الموجود بداخلها على الجثث حتى تتفحم..

سينيه وهو يلهث وهما عائدين للسيارة والأم جالسة بالخلف تراقب كتلة النار المتصاعدة:

"نتمنى أن لا يشرحوا الجثث".

جون وهو يركب في مقعد القيادة:

"سيعطلهم هذا قليلاً".

سينيه ولا يدري سبب تصميمه أن يقود هو بنفسه:

"أين سنذهب؟".

جون صامت يفكر في مكان مناسب بعيداً عن أعين وليام..

فوجئ بصوت الأم يقطع التمتمات ويقول بصوت ضعيف وهي تتذكر عنوان شيه بذاكرة

منهكة:

"لدي مكان جيد.. يصلح للاختباء.. وليام لا يعرفه"

نظر جون إلى أمه التي عادت إلى اهتزازها للأمام والخلف ثانية وهي تقبل الخاتم السمانجوني..

نظرا إلى بعضهما بتفكير ليقول سينيه له:

"اعتقد إنه يجب أن تسمع كلام أمك.. لأول مرة".

* * *

وادي جدعا

ملعب الرماية الخاص بوليام..

سهمه يصيب قرب دائرة المنتصف تماماً..

وليام ينظر عبر نظارة مقربة ثابتة بجواره إلى الهدف البعيد..

صوت أقدام قادمة من خلفه..

قال دون أن يلتفت:

"صديقي التركي.. كيف حال تحالفكم مع القاعدة؟".

أجابه أوغل وهو يسير نحوه:

"لا يوجد تحالفات إنما هي مصالح مشتركة.. مؤقتة".

أشار وليام للحرس كلهم بأن ينصرفوا..

انصاعوا دون كلام..

وليام وهو يسدد سهم ثان بالقوس العملاق:

"هل رأيت ماذا فعلت بجالئين؟".

أوغل يمط شفتيه ويقول له رأيه:

"استعراض للقوة لا مبرر له".

أطلق وليام السهم ليطيش خارج الهدف تماماً والتفت له قائلاً بغضب:

"لا مبرر له.. أهذا رأيك.. إنهم ينهبون من حصتنا وحصتكم بهذه الكروت المزيفة".

أوغل لا يريد أن يرغي ويريد أن يلخص:

"هل توصلت إلى مكان الأطهار؟".

وليام ويسدد سهم ثان وهو يتنفس بعمق:

"لهذا استدعيتك.. لننه هذا الموضوع".

ثم وضع القوس العملاق على طاولة أمامه..

أشار لأوغل بالجلوس فجلس على مقعد خشبي صغير..

قال له وهو يخرج علبة طويلة ضيقة من داخل جراب الأسهم الكبير الخاص:

"سأجري معك مقايضة".

وتابع وهو يفتح العلبة ويقلبها أمام عين أوغل المذهولة:

"مقايضة لا تقاوم".

* * *

ملجأ الشمس.. خيمة توفيق

"بئولك تشرب شاي".

هكذا سألت سلوى توفيق الشارد أمام صور كريم وحاتم الموضوعة جوار السرير..

التفت توفيق لها بوجهه وقد ظهرت له لحية سوداء كبيرة مختلطة بشيء بسيط من البياض وقال بإجابة خاطئة:

"لا متشكر.. مش عايز اكل".

جاءته لتجلس على الأرض وتحتضن قدميه وتقبل يديه قائلة:

"مش حاتئولي مالك؟".

امسك يديها وقبل كفيها من الداخل بحنان وقال:

"مش كل ساعة تسأليني السؤال ده.. مماليش".

وقفت لتقول بعصبية غلبتها:

"أنا بشوفك ئاعد بتبص للصور.. هو في إيه.. طب أنا لسه شايفاه امبارح وهو بيحطلي كارت الكهربا من شباك الخيمة وئالي حاروح ألعب مع صحابي ساعات وئالي حايرجع وإيده في إيد حاتم".

قام واحتضنها وربت عليها قائلاً:

"إن شاء الله حالائيه.. إن شاء الله".

ثم انتبهت إنها تخرف فزرفت عيناها بالدموع الحارة رغماً عنها..

ثم بعدها عن حضنه لتتلامس جبهتيهما ويقول لها بحب:

"بئولك إيه.. اعملنا شاي".

* * *

"سيف محمد الفاتح"

تعجب وليام أن أوغل عرفه من مجرد النظر فقال:

"نعم.. هو بنفسه.. الأصلي".

امسك أوغل بالمقبض بحذر خشية أن يؤذي فصوص الأحجار الكريمة المتعددة الألوان والتي تزين المقبض كله..

رفع السيف الثقيل من علبته بحذر ووضعه على حجره وهو يتحسسه بحنان.. شعر إنه يمسك بجزء من التاريخ..

تاريخ أمته..

وليام يساوم ويعرض عرضه:

"سيف محمد الفاتح.. النسخة الأصلية غير مزورة.. كانت ملكاً لمتحف اللوفر قبل أن تباع لأحد اثرياء الخليج في مزاد سري.. وبمبلغ فلكي.. وبطريقة ما انتقلت ملكيته لي".

أوغل بتشكك ويفحص نصل السيف الذي فتحت به بلاده:

"طبعاً.. طريقة السرقة".

وليام يصحح المعلومة:

"لا.. بل طريقة الرهان".

أوغل باستنكار ويهتف واضعاً السيف صندوقه بحرص كأنه رضيع:

"الرهان.. جزء غال من تاريخ امتنا ويلعب عليه هؤلاء الشذاذ قمار"

وليام عاد إلى قوسه وسهمه ليسدد وهو يقول مساوماً:

"وبهذا تستطيع تفسير اختفاء المبلغ الكبير من الخزانة لديكم.. بأنك قد دفعت الثمن لتاجر أو مهرب ليجيء لك بهذا.. الغالي".

وأطلق السهم ليطير ويدور في الهواء و يستقر في منتصف الهدف..

أوغل يفكر في أبعاد تفكير وليام ولماذا أرسل له فجأة ليساومه بهذا الشكل..

قال له وهو يتحسس نصل السيف الحامي كأنه مصنوع لتوه:

"وما مقابل هذا.. الغالي؟".

وليام أعجب بذكائه فقال وهو يجذب قوساً آخر من الجراب:

"مقابل حسن الجوار.. أن تقنع سيدك بهدنة نلتقط فيها الانفاس قبل أن نعاود القتال من جديد".

فهم أوغل الطلب فأغلق العلبة بهدوء وحملها واقترب من ظهر وليام المركز في التصويب وقال:

"موافق.. سأحاول أن اقنعه.. وأولى علاقات حسن الجوار.. أن اخبرنا بمكان الأطهار.. إذا عرفته".

وانصرف حاملاً العلبة.. ووليام يصوب..

تطير حمامة بيضاء في السماء فوق الأشجار العالية خلف الهدف..

يطلق عليها وليام السهم دون تردد..

السهم يطير ويدور ويدور في الهواء بخط مستقيم..

ليخترق صدر الحمامة تماماً..

لتسقط ميتة والسهم نافذ فيها

تسقط دون حراك..

* * *

"صاحبك ما بئاش يجي يسهر معانا ليه"

هكذا سأل عم إبراهيم محمود عن توفيق وهما يعدان الشاي في جلستهما المفضلة على النيل..

محمود متعجب من اختفاء توفيق منذ فترة:

"مش عارف أنا ئلئان عليه".

عم إبراهيم بقلق مماثل:

"من ساعة ما شفته آخر مرة وابتدى يربي ف دقن.. أنا خايف ليكون الشيخ العطار اللي شغال عنده ده لوا دماغه بأي افكار".

محمود لا يدري ماذا أصاب توفيق لكنه يتذكر شيئاً:

"هو مرة ئالي انو مستعد يعمل أي حاجة مشان يرجع ابنه".

عم إبراهيم لا يفهم ما يدور في رأس محمود:

"مش فاهم؟".

محمود لا يريد ازعاجه فيذهب به بعيداً:

"ما تشغلش بالك أنت.. حانعمل إيه في تقارير الأسبوع ده؟".

عم إبراهيم وهو يصب الشاي في الأكواب الصغيرة:

"ولا حاجة.. حانئلهم الحاصل.. الأمن مستتب".

محمود يقلد الإمام كما حكى له عم إبراهيم:

"عصفورة.. كيف يعني عصفورة؟".

لينفجرعم إبراهيم في الضحك وكذلك محمود الذي يضحك بصوت عال وهو يقلده مراراً وتكراراً

والميناء الكبير مزين بعلم المغاربة وحالئين..

ليقول محمود لعم إبراهيم وقد غلبتهما حالة هيستيرية من الضحك:

"بئولك إيه يا عم إبراهيم؟"

عم إبراهيم يرد بعينين مليئتين بالدموع وغارق في الضحك:

"إيه؟".

محمود ويمسك بطنه من الضحك ويقول له:

"ما تعمل لك أنت كمان علم وتحطه ع الميناء"

لينفجر الرجل العجوز من الضحك ومعه محمود..

محمود يكمل ويمسك بطنه من الضحك:

"واكتب عليه مينا عم هيما".

مزيد من الضحك الهيستيري بلا مبرر واضح..

ليتحول ضحكهما فجأة إلى بكاء..

بكاء حار.. مليء بالدموع..

بكاء على الحال الذي وصلت إليه البلد..

بكاء هستيري وبصوت عال..

ويمسحان دموعهما و يفكران..

أية أعلام مكتوب لها أن ترفع عليه في المستقبل..

أية أعلام؟..

* * *

مقام عم سعيد

يدفع حوت الباب الخشبي الضخم ذو الضلفتين ليدخل بهدوء..

الباب يصدر صوتاً مزعجاً للغاية.. يزعج عم سعيد نفسه..

تعجب إنه لا يوجد أي أحد.. سواء من الحراس أو الزائرين..

تمتم لنفسه وهو يدخل في القاعة الصغيرة المضاءة بلمبة نيون بيضاء:

"اكيد.. الريس جاي فمفضيين الدنيا"

نظر للمقام المتوسط القاعة والمحاط بالزجاج المضاد للرصاص والمضاء من الداخل بلون أخضر هادئ..

قال وهو يجلس على مصطبة ملونة على جانب:

"سلام عليكم يا عم سعيد".

اللمبة البيضاء أطفأت وكذلك الضوء الأخضر..

جفل حوت و أصيب بالذعر لذلك.. لتزداد الطينة بلة عندما جاءه صوت قوي من الظلام الدامس:

["*وعليكم السلام.. كيف أنت يا حوت*"].

حوت لا يصدق أن مصدر الصوت هو قلب المقام من داخل الزجاج فيرد برعب ويكاد التبول على نفسه:

"الحمد لله.. كيف أنت يا ريس".

الصوت من داخل المقام مع إضاءة لمبة حمراء أضفت جواً من الرعب في قلب حوت:

["*أنا مش الريس يا حوت*"].

حوت بذعر وقد خمن المصيبة:

"يا نملي استخبى.. آمال مين؟".

الصوت به صدى قوي واللمبة تضاء وتطفىء بتتابع:

["*مش عارف صوتي""صوتي""صوتي""صوتي""صوتي*"]

حوت هب واقفاً ويكاد البكاء ويلخبط بين الخوف والإنكار:

"عم سعيد.. طب كيف.. لا مؤاخذة يا عم سعيد.."

الصوت يزداد حدة كأنه يؤنبه واللمبة تلعب:

["*ليه كده يا حوت؟""حوت""حوت""حوت""حوت*"]

حوت برعب ويبلع ريقه وقطرات البول تكاد أن تهرب منه:

"ليه إيه يا شهيد؟.. يا نملي.. يا نملي".

الصوت بصدى ثانية كصدى الأفراح واللمبة الحمراء تثبت:

["*ليه تخون أهلك وناسك.. ليه تخون الريس وتشتغل مع الخواجات.. ادولك كام يا خواتي""يا خواتي""يا خواتي""يا خواتي""يا خواتي""يا خواتي*"].

حوت متعجب أن روح عم سعيد تشتم لكنه يرد:

"*والله يا كبير ماحصل*".

الصوت يقاطعه بألف صدى كأنه فرح شعبي:

["*كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب""كدااااب"كدااااب""كدااااب""*"].

ويتابع بصدى أقل وحوت بلغ مدى الرعب الأقصى:

["*روح باضونيوس ثالت لي على كل حاجة.. هي شافتك وانت بتتفق معاهم""معاهم""معاهم""معاهم""معاهم""معاهم""معاهم*"].

حوت يبكي وقد علم إنه كشف:

"والله يا عم سعيد هما اللي ضغطوا عليه ووعدوني بشغلانة حلوة عندهم.. وبعدين أول ما دخلوا المصنع تلفوا باضونيوس وانا استخبيت منهم".

ويبتلع ريقه ويكمل بطلب ويبكي:

"ما تئولش للريس يا عم سعيد أحسن يتلفني".

الصوت يخروش قليلاً ثم يعتدل بلا صدى:

["*حاجة واحدة بس تغفر لك اللي عملته"*].

حوت ويبكي ويبول على نفسه كالأطفال ولا يصدق أنه نجا من عذاب سعيد ويجلس على ركبه ويتوسل للمقام:

"أنا مستعد لأي حاجة يا كبير.. حاعمل أي حاجة بس ما تئلوش للريس".

واقترب من المقام زحفاً وأخذ يقبل الزجاج ويتمتم:

"يا سبتي.. استخبى.. استخبى يا نملي".

الصوت بصدى ثانية:

["*حائولك تعمل إيه.. حائولك تعمل إيه""إيه""إيه""إيه"*]

صمت لثوان ثم خروشة ثم:

["*جككووعععععاااا""عاااا""عاااا""عاااا""عاااا""عاااا""عاااا""عاااا"*]

صوت تكريعة طويلة..

طويلة جداً..

ويفكر حوت ولا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال الحائر بعد وصول رائحة بصل مميزة لأنفه:

"هو عم سعيد طافح كشري؟"

* * *

قارة الحدادين.. غرب أبو رواش

منطقة سكنية مغلقة على الكوبيين فقط. مباني من أربعة أدوار سابقة التجهيز

يسموها هم (*بلوكات النسيين*).. حراسات صينية مشددة على المداخل..

أضواء مسلطة على الأرض القريبة من المدخل بشكل متواصل.. كلاب تنبح بشكل دائم..

من بعيد تقف سيارة جون بزاوية لا يراها حراس المداخل..

جون يقول لسينيه الذي استيقظ لتوه:

"كيف سندخل؟".

الأم تهتز وتشير لهم نحو جبل العجيجة القريب وتتمتم:

"لأنه ليس شيء خفي لا يظهر ولا صار مكتوماً إلا ليعلن".

* * *

قصر النصورية

"ماذا تقول؟ متفحمة".

هكذا صرخ وليام في اللاسلكي في وجه محدثه ليستمع له وهو يخبره تفاصيل حادث سقوط السيارة

وليام يسأله بعصبية:

"وهل صورتم الجثث؟".

ثم يستمع إلى الرد ليرد بدوره:

"أرسلها فور تحميضها".

ثم أنهى الاتصال وهو يضع الهوائي الصغير بفمه ويفكر بصوت عال:

"لم يعد هناك مارثا؟.. أتمنى ذلك فعلاً".

* * *

صفط اللبن.. قرب بيت فرداني

صوان كبير جداً مضيء كالفرح مغلق على من به من جميع الجهات..

وقوات فرداني المسلح معظمها بالسلاح الأبيض تحوط المكان من كل جانب..

بالداخل.. المكان معبأ بدخان الشيش الكثيف.. صوت قرع زجاجات البيرة المحلية في كل مكان..

رجل من فرداني ممسك بزجاجة خمر محلية الصنع ويشرب منها ليتقيأ على الأرض بقوة..

رجل آخر بجانبه يتقيأ بقوة أكثر.. على ما يبدو.. خمر الحفلة مغشوشة..

بسرعة يسحبهم بعض الحرس ليعالجوهم بعيداً.. فالصحافة موجودة الليلة ولأول مرة تحضر اجتماع للجماعة في ثوبها الجديد..

"الليلة فرح.. وفرحنا كبير".

المذيع يرتدي بنطال أسود وقميص أبيض وبابيون أحمر ويحيي الحاضرين الجالسين في صفوف متراصة تملأ الصوان..

المذيع يقف أمام الحاضرين على منصة كبيرة عالية ورائها ستار ازرق معلق عليها علم ضخم..

علم فرداني الجديد.. جماعة تائبين..

قماشة برتقالية كبيرة مرسوم عليها خط متعرج غير مفهوم المعاني من أعلى لأسفل..

المذيع يعيد بحماس وقد جائته إشارة معينة فهز رأسه بالموافقة:

"الليلة فرح.. وفرحنا كبير.. عارفين ليه؟".

الجميع يرد مع إنهم يعلمون.. يردون ومعظمهم يقف:

"ليه؟".

بعض حالات القيء في الخلفية..

يرد عليهم بحماس مشيراً لآخر القاعة:

"مشان عريسنا وصاااااااال".

يظهر فرداني وسط كوكبة من حرسه وقد ارتدى بدلة بنية مخططة ببرتقالي وقميص اصفر وبابيون أحمر شبيه ببابيون المذيع تماماً..

يدخل بخيلاء وهو يشير للجميع بيده المليئة بالخواتم..

~~

بين الصفوف يميل أحد الحاضرين على الآخر ويهمس:

"هو ده فرداني؟".

يرد الآخر بهمس مماثل:

"هششش.. أيوة".

~~

الاثنان يرتديان ملابس عادية.. الأول يحمل دفتر صغير يطوى لأعلى وقلم والثاني يعلق في صدره كاميرا..

يلتقط صور لفرداني وهو يقترب من المنصة ويشير للجميع..

الصحفي يتمتم وهو يكتب بعض الملاحظات:

"أنا عارف كمال بيه ليه جايبنا هنا".

مذيع الحفل بحماس يقدم فرداني وقد خلعوا حراس فرداني عنه البابيون حتى لا يكون

هناك من هو مثله:

"جماعة التائبين.. فرداني سابقاً تقدم لكم بلا فخر.. سيدها وتاج راسها الكبير دائماً.. عظيم أبد الدهر.. لا تتولي ريس ولا زعيم.. ده فرداني هو الأصيل".

فرداني يتقدم ويمسك منه الميكرفون ويخطب في الجموع:

"منورين يا رجالة"..

ثم يكح ويبصق على الأرض ويمسح البصقة الغليظة ببطن حذائه..

هيصة وتصفيق من الجميع.. والكل يهتف باسمه..

رجل عجوز من آخر الصفوف يحيه بصوت عال بفم بلا أسنان:

"أنت اللي منورنا يا حج".

الجميع يضحك للكلمة التي لا تليق على فرداني بالمرة.. فرداني يرفع اليد المليئة بالخواتم ويقول:

"منورين الليلة كمان يا رجالة".

واحد آخر يرد التحية وقد مل من تكراره:

"عليا الطلاق بالتلاتة بحبك".

فرداني يرد عليه بضحك:

"كده طلئتها يا روح أمك"

الكل يضحك للقفشة.. ليشير لهم بالصمت التام..

مزيد من الهيصة ليتابع الكلمة التي أعدها له المعلم من طرف كمال:

"الليلة مش زي أي ليلة تانية.. ليلة فريدة.. ليلة.. كبيرة".

ثم نسي كل شيء فترجل ولكن في المضمون:

"النهاردة هديتنا للناس.. كل الناس.. مش لفرداني ورجالتو.. مش للتايبين.. هدية نساعد بيها الغلبان.. ونئربه من مراده.."

~~

رجل يجلس بجوار الرجل العجوز –أبو من غير سنان– يسأله:

"هو فرداني متغير فيه حاجة يا عم بئو؟".

عم بئو بيقين وبدون أسنان:

"بيئلوا اخد كروسات جامدة".

الرجل وتحت عينيه أسود من ضرب لزام ليل نهار يعقب بتآسف:

"ييييه.. هو مش كان بطل ضرب من زمان".

~~

فرداني يكمل خطابه ويحاول أن يغير من اسلوبه القديم:

"النهاردة يا رجالة.. يسعدني ويسعدكم اكيد..".

ثم أشار بيده من أعلى لأسفل..

الستارة الزرقاء خلفه تسقط فجأة مع صياح صائح من خلفها:

"آاي.. حاسب.. الحبل عور إيدي يا خواتي".

الناس تصيح بانبهار مما بدى لأعينهم و فرداي يصيح ليغلوش على إصابة الرجل:

"افتتاح نفئ فرداني.. ومجوز كمان".

الناس تصيح بهياج ومعظمهم لا يعرف معنى كون النفق مجوز

الصحفي وهو يكتب ملاحظاته:

"أول نفق مزدوج للتائبين.. النفق موسيقي والاضاءة خضراء"

ثم تمتم لنفسه وهو متعجب من روعة النفق:

"كيف بنوا حاجة زي كده؟ ده اروع من الأوروبي".

المصور يلتقط عدة عدة لمدخل النفق الموضوع عليها بوابة حديدية مغلقة بقفل كبير جداً بحجم الشمامة ويبدو النفق مضاء بلون اخضر هادىء وموسيقى تنبعث من داخله لتسلية الركاب..

الناس تصفق وتحي فرداني وهو يحيى الناس ويرفع يده عالياً..

وبشكل تدربوا عليه.. المذيع اقترب من فرداني وحضنه بقوة وناوله مفتاح كبير مناسب للقفل ويمسك منه الميكرفون:

"ودلوئتي.. فرداني حايفتح الئفل.. اللي عايز يدفع تسكرة ويروح الدئي يطلع الخشبة".

فرداني يأخذ منه الميكرفون ويخبرهم بالمفأجاة السعيدة:

"النهاردة لابناء الصفط. لأهل المنطئة بس مش رجالتي.. من غير تساكر.. اللي عايز يروح الدئي يطلع ع الخشبة".

العديد من الناس يتسابقون للصعود على المنصة للوقوف أمام البوابة الحديدية..

زحام وبدأ الضرب ورجال فرداني يفصلون بين البشر..

فرداني يشير للمصور الذي ينظر بدهشة لما يحصل:

"فاتح بئك ليه يا حبيبنا.. خدلنا كام كشة وحياة صوابعك".

الصحفي يخط أفكاره على الورق بخط مبعثر حتى يبيضها لاحقاً:

".. وبهذا النفق المزدوج وبالاسم الجديد ربما يكسب فرداني جولة مهمة ومباغتة في المعركة التي يتصارع فيها الجميع الآن..

بينما فرداني يفتح القفل ليتكالب الناس على الركوب المجاني يتابع الصحفي الكتابة..

"معركة كسب القلوب".

* * *

خارج مدينة الكوبيين.. منطقة صحراوية

سينيه يغلق باب السيارة ويسأل جون الذي يضع أمه على مقعدها المتحرك:

"أين.. ماذا يوجد هنا؟".

جون نظر لأمه وسألها بحنان:

"لماذا جئت بنا إلى هنا يا أمي؟".

الأم تشير له بلا كلام بأن يصعد إلى كهف عال نسبياً..

جون يسألها:

"هل تريدني أن اصعد؟".

هزت رأسها بأن نعم.. اصعد..

استل مسدسه وبدأ في الصعود.. ويشير لسينيه بالبقاء معها..

سينيه يقف بجوارها ويراقب جون الذي يصعد برشاقة عبر طريق شبه ممهد لبوابة الكهف..

جون يقف عند المدخل وينظر فلا يجد شيئاً فيلتفت ويقول لهم:

"لا يوجد شيء".

سينيه ينظر للأم التي تتمتم:

".. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب..".

سينيه فهم فأشار له وصاح بصوت عال:

"اوقد أية شعلة...أو نار".

جون سمعه فعلم إنها رسالة له من أمه..

فأشعل الولاعة التي معه وأضاء بها مدخل الكهف..

جاءه صوت رخيم من الداخل يقول باسبانية قديمة لم تعد تستعمل:

"من أنت؟ وماذا تريد؟ تكلم سريعاً وإلا..".

ثم ومن داخل الظلام الدامس سمع صوت عدة أزندة تستعد لإطلاق النار..

* * *

بعيداً.. بلدة سنديون.. محافظة القليوبية

منطقة مقفرة بلا سكان..

"على جنب هيينا يا سطى"

قيلت بلهجة فلاحي قديمة لم تعد موجودة.. توقف الحمال على الفور وثبت رجله القوية على الأرض الترابية..

نزل الراكب ووضع يده بجيبه.. والسائق يقول له بنفس اللهجة الفلاحي:

"حاتديني اللي ئلت عليه؟ هي هي".

الراكب وما زالت يده بجيبه يضحك بالطريقة الفلاحي البائدة:

"هي.. هي.. هي.. لأ.. حاديلك أكتر يا عم جلاوي".

تعجب الحمال أن الراكب يعرف اسمه مع أنه لا يعرفه ولم يره من قبل

إلتفت الراكب إلى نقطة خلف السائق الطماع المستعد لتلقي أكثر من مائة جنيه من الراكب

الكريم وقال بتعجب:

"إيه البحبح اللي جاي يجري علينا دبيه؟"

التفت الحمال ليعرف كنه البحبح فضلاً عن سبب جريه عليهم..

"هوووووب".

أظلمت الدنيا أمام الحمال ليسقط كالجوال..

تتلاشى الابتسامة الطيبة عن وجه الراكب.. ليحل محله وجه قاس لا يعرف الرحمة..

لا يعرف إلا شيء واحد.. الصيد..

صيد البشر.

اخرج ورقة من جيبه وبقلم رصاص صغير علم على اسم الحمال..

(*جلاوي السيد أبو ريحة*).

* * *

شقة الإمام بإمبابة

آخر الليل..

الإمام يطالع قصاصات الجرائد التي تتحدث عن تصعيد لجماعة فرداني سابقاً.. التائبين حالياً..

وكيف إنها أصبحت مقبولة.. وتتمتع بالشرعية

الإمام ليعلى وقد أنهى صلاته وقام وثنى الحصيرة ووضع الحجر الذي كان يسجد عليه جانباً بحرص:

"هل تصدق مثل هذا الكلام؟".

يعلى بنفي تام ويجلس بجواره ليطالع العناوين المتعددة:

"لا بالطبع...ولكني محتار.. كيف في غضون أيام يتحولوا من عصابة إلى مجموعة صالحة.. أنا لا افهم".

الإمام بغموض وهو يحلل:

"لقد فهمت بعض الخيوط.. هناك طرف له مصلحة في تصعيد فرداني بهذه الطريقة الشرعية.. وسيكسب بذلك عدة نقاط..

أولا.. سيضمن ولاءها التام له بحيث إنها مع الوقت لن تستطيع التحرك دونه وسيسير هو الحاكم الفعلي لها وليس فرداني..".

وتابع واضعاً بعض من البخور على الفحم المشتعل:

"ثانياً.. سينتهي من القلق الذي يسببه له فرداني ورجاله ويقومون بدور فعال في المجتمع مما سيعزز من مكانته بين الناس ولو بشكل خفي غير ملموس".

يعلى ينظر له بإجلال واهتمام للتفسير المنمق..

والإمام يكمل وهو يستنشق الرائحة العطرية للعود القوي:

"ثالثاً.. وهذا الأهم سيضرب فصيل آخر موجود ويتشابه مع التائبين وقد بدأ في الصعود بقوة".

يعلى يرد مباشرة:

"حالئين".

الإمام ويصب لنفسه قليلاً من الماء في كوب صغير نظيف:

"بالضبط.. وهذا بدوره سيضرب في فصيل آخر صاعد معه وهو".

يعلى يرد ثانية وقد فهم بشكل أوضح:

"المغاربة".

يعلى يرجع رأسه التي تدور للوراء وهو يفكر ثم يقول:

"يا علي.. وبذلك يقضي على تحالفنا.. كيف سنرد على هذا؟"

الإمام بهدوء بعد أن شرب ثلاثاً:

"سنرد بعملية.. بعملية مشتركة جديدة".

يعلى يسأل السؤال الأهم:

"ومن هذا الطرف الذي له مصلحة في إنهاء وجودنا".

الإمام ويعلم على صورة للسيد كمال وهو يبتسم بثقة في أحد الجرائد:

"شكوكي كلها حول شخص واحد".

يعلى ينظر وقد أخذته المفاجأة..

أخذ يقلب البخور بعود صغير ويشعل الفحم بنفخ الهواء فيه..

الإمام فرد ورقة بيضاء كبيرة تبين رسم هندسي لمساحة كبيرة من الأرض:

"المهم الآن أن نفكر في المعركة الجديدة نكسب بها أرض جديدة".

وتابع ملقياً الجريدة التي بها كمال على الأرض:

"وقلوب أكثر".

* * *

على مدخل الكهف

جون يرفع يده إلى أعلى وقال بالاسبانية:

"أريد دخول المدينة.. أنا وأمي المشلولة وصديقي".

بدأ يتبين الفوهات التي بدأت تبرز من داخل الكهف..

الصوت يسأله بعد أن اطمأن لأسبانيته:

"ولماذا لا تدخل من البوابة؟".

جون ينظر لأمه وسينيه في الأسفل وهما يترقبان ما سيحدث:

"هناك موانع.. موانع قوية".

أربعة رجال يظهرون.. يبدو عليهم القوة..

فتشه أحدهم واخرج المسدس وأشار به للظلام بالداخل حيث مصدر الصوت الذي يسأل جون بدوره:

""إلى من ستذهب بالداخل.. لاحظ أن الكذب عندنا جزاؤه للقتل؟"

جون بقلق وهو يرفع يديه في الهواء:

"أنا لا اكذب.. ذاهبون لرؤيه شيه...أمي تريد مقابلته".

الصوت ثانية:

"ولماذا تريد أمك رؤية المبجل؟".

يبدو أن شيه هو المبجل زعيم الكوبيين.. جون هازاً كتفيه ويقول:

"أمر خاص.. بينها وبينه فقط".

الصوت بعد برهة من الصمت:

"ولكن ستدفعون الأجرة وسيذهب معكم أحد رجالي.. ولو تبين عدم معرفتكم له.. سينهي حياتكم وتدفنون بالداخل".

جون يشعر بالقلق ولكنه مضطر للموافقة يضع يده في جيبه ويسأل:

"موافق.. كم أجرة الثلاثة أفراد".

أحد الرجال يصحح له ويرفع يده له بخمسة أصابع كاملة..

جون يسخط ويعترض على اصابعه:

"خمسة.. إننا ثلاثة فقط".

الرجل بطريقة تعلمها من المصريين ويعد على نفسه:

"واحد".

ثم على شوكت وسينيه والأم:

"اثنين.. ثلاثة.. اربعة".

جون غير متفهم إنه سيدفع له أجرة ثم سأل:

"ومن الخامس".

الرجل ببساطة وبالعامية ويشير إلى المقعد المتحرك:

"الكرسي نفر يا حضرت".

* * *

الوايلي.. أحد بيوت حالئين.. ليلاً

الريس يقابل حوت بهذا البيت للتمويه عليه..

كان هذا بعد إصرار من نخلة..

نخلة يقول له:

"هو جه بره.. أدخله".

الريس يستعجله وينظر حوله للمكان الذي أعد ليبدو كمقر له:

"إيه اصاري الزرع الكتيرة دي؟".

كان بالمكان اصاري زرع كثيرة ومتنوعة.. نخلة يوضح وهو ممسك بأصرية كبيرة:

"في راجل بئالو كام يوم بيستعمل النفئ بتاعنا هنا في الوايلي وبيدفع أصاري.. ئلت اجيب كام حتة".

الريس بسخرية:

"هو أنا جنايني.. اصاري إيه يا نخلة.. يلا خلينا نخلص.. دخل ابن الكوبية ده لما نشوف اجواءه إيه".

نخلة يضحك وهو ينصرف:

"هو بعد اللي عملتوا معاه يئدر يعمل حاجة.. ده صرف على روحه".

وأشار لهم بدخول حوت ليدخل وهو مغمى برباط مزدوج على عينيه..

فكوا الرباط من على عينيه.. ليدعك بها فقد غميت لمسافة كبيرة من الدويئة حتى هنا..

لحظات حتى تبين المكان ومن فيه..

انكب على يد الريس تقبيلاً:

"يا ريس أنا تعبت ئوي.. وراس عم سعيد أنا تعبت بجد"

الريس وينظر لنخلة ويغمز له:

"ماجتش ليه يا حوت أنا استنيتك كتير يومها؟".

حوت وعينه ذاهلة كالمجانين تماماً:

"يا ريس أنا جيت.. واللي حاصلي ما يتحكيش".

وتابع وينظر لنخلة ويقول له برعب:

"أنا عم سعيد طلعلي يا نخلة".

الريس ويمد يده ويأكل تفاحة حمراء من هدايا شوكت:

"جرى إيه يا حوت.. أنت دماغك شخللت ولا إيه؟".

ثم مال نحوه و سأله السؤال المهم:

"وئالك إيه عم سعيد؟".

حوت ويجول ببصره بين الريس ونخلة خوفاً أن يكون اخبرهم:

"ئالي على حاجات ومعلومات اجيبهالك يا ريس.. براس عم سعيد صدئني يا ريس.. أنا ما عملتش حاجة غلط.. والمعلومات أهه".

وتقدم منه وناوله ظرف مغلق..

الريس يفتح الظرف وينظر للأوراق والصور المطلوبة ويقول له:

"مصدئك.. مصدئك يا حوت.. كده أنت ما بتكدبش".

ثم أنهى اللقاء بشكل مفاجئ:

"تئدر تروح يا حوت وحانبئ نبعتلك".

حوت ينتظر أي مكافأة ويفرك في يده..

يستمر في الفرك لثوان حتى لاحظ الريس ذلك..

قال لنخلة وهو يشير له ناحية الاصاري:

"يا نخلة.. اصرفله اصريتين زرع".

حوت متعجب من عطية الريس ولكنه لا يستطيع التعقيب إلا بقول:

"اصريتين زرع؟".

الريس مؤكداً على نخلة وقام واقترب من حوت الذي يرتجف:

"اتوصى بيه يا نخلة خليهم اربعة.. وزودلوا الجرجير".

الريس يضرب حوت على رقبته عدة ضربات خفيفة:

"ده بئى مبروك.. وعم سعيد بيطلعلوا.. عارف لو الحاجة اللي جبتها دي طلعت مبظوطة إيه اللي حايحصلك؟".

حوت ويرتجف بشدة:

"عارف يا ريس.. عارف".

الريس يهز رأسه:

"لأ مش عارف.. عم سعيد حايطلعلك مؤكد.. بس المرة دي بئه مش حايسيبك إلا لما يحلئلك".

ارتجف حوت وهو يتخيل عم سعيد يطلع له من ظلمة المقام ممسك بمقص ليحلق له كل شيء ممكن أوغير ممكن..

حوت يرتجف ولا يرد ويحسس على رقبته.. الريس ينهره مع الدفع:

"يلا.. اخفى".

نخلة يستقبله في حضنه ويقوم بتغطية عينيه ثانية ويدفع الباب ويسلمه لأناس بالخارج ليوصوله كما جاء..

عاد إلى الريس الذي جلس وفتح الظرف ليطالع الصور بتمعن..

صور مبنى.. صور عبوات طعام معدنية.. صور آخرى..

رفع وجهه له بابتسامة وقد حصل على ما يريده:

"كده نئدر نرد على الخواجات.. واللي انخرئ يترئع".

* * *

على مسافة من بيت الريس

شوكت جالس فوق عربة بحمار سوداء مخصصة لدفن الموتى وقد ارتدى جلباب وطاقية..
ووضع على وجهه ذقناً سوداء كبيرة..

أغلق جهاز الراديو الصغير بعد أن استمع عبره بواسطة سماعة صغيرة متصلة بأذنه للحديث الذي دار بين الريس وحوت عبر أجهزة التصنت الدقيقة الموجودة في اصاري الزرع المزيفة داخل الأصاري المنتشرة بمقر الريس..

~~ ### ~~

"في راجل بئالو كام يوم بيستعمل النفق بتاعنا هنا في الوايلي وبيدفع أصاري..

قلت اجيب كام حتة".

~~ ### ~~

~~ *رجل عجوز يدفع لرجل حالئين المسئول عن النفق بأصرية زرع جميلة ويطبطب على كتفه ويضع في جيبه رشوة بسيطة ليقبل منه الأصرية عوضاً عن أجرة استعمال النفق..*

~~ *الرجل يعطي الأصرية لنخلة باحترام لكونه مقرب من الريس..*

~~ *نخلة يضع الأصرية قرب المقعد الضخم المخصص للريس ويقول لرجاله الأربعة وهم ممسكون بعدة أصاري مختلفة:*

"وزعوا البائي في الاوضة بسرعة الريس زمانه جاي مفيش وئت"

###

~~ *الرجل العجوز عبر النفق من الناحية الأخرى قرب روكسي..*

~~ *سار لمسافة ثم انعطف ليدخل منزل قديم وهو ينزع عن وجهه قناع متقن لرجل عجوز طيب ليبدو وجه آخر..*

~~ *شوكت.. شوكت بنفسه..*

~~ ### ~~

شوكت ويجذب لجام الحمار ليتحرك:

"المهم أني تأكدت من قدرتهم على كشف الجواسيس".

وتابع وهو يفكر في الهدف الذي ستستهدفه حالئين والحمار لا يريد التحرك كما يريد:

"ماذا ستفعلون أيها الجهلاء؟ ماذا ستفعلون؟.. هسسسس".

* * *

قلب مدينة الكوبيين بقارة الحدادين

سيارة مجمدات كبيرة تتوقف أمام بيت بعينه..

السيارة مكتوب عليها بالصينية والعربية **(المصرصينية للدواجن)**

الباب الخلفي للسيارة يفتح وينزل جون وسينيه يرتديان معاطف بيضاء عليها شعار الشركة..

يتعاونان ومعهما السائق – الرجل الذي كان يعد الركاب لجون – لتنزيل الأم في سرعة قبل أن يلاحظ أحد..

لكز جون سينيه لينظرا إلى أبواب البيوت الخارجية..

البيوت كلها من أربعة طوابق وقد أغلقت كل الأبواب الخارجية بباب حديدي مصمت تماماً وكل الشبابيك عليها حديد..

السائق لاحظ ذلك للأبواب فقال لهما:

"من أجل التأمين والسلامة"

أشار لهما لبيت عليه حراسة واضحة قريب في شارع جانبي وقال:

"منزل المبجل.. شيه".

العيون لاحظت وجودهم وقد علموا إنهم مهربون من الخارج بسبب وجود السائق معهم..

الخبر انتقل إلى بيت المبجل في لحظات..

القوات الصينية حاولت أن تتجسس على الكوبيين بشتى السبل لتعرف منهم الاتجاهات العامة على الرغم من كونهم حلفاء في الظاهر.. والنتيجة والمحصلة كانت دوما.. صفر.. لا توجد أخبار..

لذا اتفقت معهم على حمايتهم من الخارج.. أما الداخل فمتروك لهم يسيرونه كما يريدون..

ما أن اقتربوا من باب البيت الحديدي المصمت حتى برز رشاش من فتحة صغيرة وسألهم بأسبانية مليئة بالنكهات الكوبية الأصيلة:

"من تريدون؟".

سينيه يلاحظ أن الصوت يراهم عبر فتحتين ضيقتين للغاية بالباب في مستوى النظر..

مارثا مدت يدها بالخاتم وقالت بصوت خفيض:

"شيه".

مد إصبعان والتقط بهما الخاتم منها وقال:

"ابقوا قليلا".

ثوان من الانتظار ثم صوت خطوات سريعة..

فتح لهم الباب بعد فتح مزاليج عدة.. وبسرعة..

دخلوا ليجدوا رجلا ضخم الكرش عري الجذع يمضغ قاتلو..

فالكوبيين الموجودين في مصر تعلموا تعاطي القات من بعض اليمنيين وراحوا يزرعونه في بعض الجبال في الصعيد.. وقد ادخلوا عليه بعض التعديلات من بذور آخري لديهم..

ولا يباع للمصريين بل هو منتج خاص لهم فقط..

واسموه قاتلو..

الرجل يحضن السائق الذي أحضرهم ويبرطم معه بكلام لم يفهمه جون وهو يشير إلى مارثا التي ردت عليه بتمتمات:

"خير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر ، من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار".

الرجل يبصق القاتلو ويمسك بصليب معلق برقبته وقد عرف من هي المرأة المقعدة وارتعد وذهب للداخل ليبلغ الخبر المحتمل..

لم يفهم جون ولا سينيه شيء.. بينما السائق يسأل مارثا بذهول:

"أأنت الأم التائبة مارثا؟".

مارثا لا ترد وتواصل التمتمات مع نفسها..

وجون وسينيه ينظران لبعضهما بلا فهم..

* * *

مسرح الأوبرا المصرية

القاعة الرئيسية مكتظة عن آخرها..

معظم الحاضرين صينيين ومصريين من المقربين السيد لكمال..

وقد حضروا ليشهدوا العرض الجديد الذي سيقدمه باجا الليلة..

وقد علموا من تسريبات إنه سيتضمن رموز للأحداث التي حدثت مؤخراً..

طريقة فريدة للتعبير السياسي ولابصال الرسائل للخصوم..

العيون تتجه لمدخل القاعة.. حيث شاهدوا شخصاً يرتدي بدلة سوداء أنيقة وقد صفف شعره بعناية ويدخل في حراسة مشددة من خمسة من رجاله ليجلس في الصف الثالث..

السيد طارق يلكز سكرتيره ويقول له بصوت هامس:

"بص مين هنا.. الصف التالت".

نظر المساعد لتتسع عيناه:

"معقول.. فرداني.. مين عزمه؟".

طارق يهمس بأسرار لا أحد يعلمها.. وقد بدأ جميع الحضور بالهمس عن قدوم فرداني بشكله الأنيق:

"سمعت أن ترتيبات جرت بين السيد كمال وباجا بنفسه لحضوره والسماح لحرسه بالدخول معه".

المساعد يكرر ويفكر ويقول بالعربية الفصحى تهجماً على طريقة حديث باجا بالعربية أحياناً:

"ترتيبات.. ويا ترى علام اشتملت الترتيبات أيضاً؟".

طارق ويلمح أحد حرس فرداني يضع إصبعه بأنفه ويمسحه بظهر المقعد المقعد أمامه:

"خلينا نشوف"

وتابع بقرف:

"يئرف أصل أمك"

~

فرداني ينهر الحارس بصوت منخفض:

"يا بن الجدرية.. استعمل الكلكس ولا الكسلكس اللي بيئولوا عليه".

الحارس الضخم بعدم فهم:

"اعمل إيه.. بربوري وئع من السائعة.. التكيوفات باينها شغالة هنا"

فرداني ناظراً حوله حيث نظرات الاشمئزاز:

"يا كفتة.. ابلعها ولا اخفيها ولا أعمل إيه منظر.. فضحتنا".

الحارس يقوم بالعمل المناسب تماماً ويسمع الكلام..

مد سبابته ومسح البربور الأخضر من على ظهر الكرسي..

وبلعه..

~~

الناس الأنيقة من حولهم وهم يراقبون بخفاء يتمتمون:

"أووه" ~~ "يععععع" ~~ "ما هذا القرف"

~~

فرداني يبتسم وكأن شيئاً لم يكن ويقول له:

"مش حاجيبك تاني معايا حتة محلية.. أنت آخرك تتفسح جنب عربية كشري (*طلع الدبانة واكسب معانا*)".

~~

الأضواء أطفئت لبدء العرض..

صوت الحارس الذي لا يعرف شيئاً عن المسرح ينبعث في الظلام:

"ولعوا النور".

ثم قام بالعمل المناسب تماماً للمرة الثانية..

اخرج مسدسه وأطلق النار في الهواء..

صوت رجل أمن مصري في البلكون بالطابق الثاني فوقه يصيح بطريقة مسرحية:

"أي.. نشنت يا فالح"

ثم تبعه صوت جسم يطير في الهواء ويرتطم بالأرض في الممر بين المقاعد خلف فرداني وحارسه..

أضيئت الأنوار لينظر الحارس إلى الجثة خلفه وينظر إلى فوهة مسدسه المتصاعد منها الدخان ولا يصدق أنه المتسبب بمقتله..

أفراد أمن انشقت عنهم الأرض ويحملون الجثة بسرعة وآخرين ينظفون مكان سقوطه..

فرداني يقول لحارسه ونظرات الناس تحاصرهم:

"نشنت يا كفتة".

* * *

داخل منزل شيه

باب ضخم ذا مصراعين يفتح ليدخل سينيه وجون وهو يدفع أمه على المقعد المتحرك..

السائق منع من الدخول معهم وقد أصر أن يأخذ البركة من مارثا وسط ذهول جون وسينيه..

بالداخل يجلس شيه على مقعد ضخم فوق مصطبة عالية وحوله صالونات عديدة فارغة..

يبدو كمجلس حكم مصغر..

والمبجل شيه ملكه الغير متوج..

يهمس في أذنه الرجل الذي كان يمضغ القاتلو..

بينما يمسك شيه بالخاتم السمانجوني وقد قربه من فمه ويقبله..

ما أن رأى مارثا حتى هبط من كرسيه كأنه تعرفها أو إنها موصوفة عنده..

اقترب منها ووضع الخاتم أمام عينها وقال:

"هذا خاتم زواج عمتي اوبرنيه.. وهو خاتم مميز أين هي الآن؟".

ردت بتمتمات خفيضة وهي تبكي:

"لإنهم في القيامة لايزوجون ولا يتزوجون ،بل يكونون كملائكة الله في السماء".

شيه يعتصر عينيه بقوة مانعاً نفسه من البكاء وقال لها:

"وأنت الأم التائبة مارثا؟".

جون يرد عنها إذ انخرطت في البكاء والاهتزاز:

"نعم إنها هي".

شيه ينظر له بتمعن ويدقق في وجهه ثم يتذكر أين رآه:

"وأنت جون ابن وليام.. ما هذا أنا لا أفهم شيئا.. والأهم من قتل عمتي اوبرنيه".

مارثا تمسح دموعها ولمسة من قوة في شخصيتها تظهر في عينها وتسأله:

"وإذا علمت القاتل.. ماذا ستفعل.. هل ستنتقم؟"

شيه مخرجاً خنجراً عملاقاً:

"اقسم أني ساذبحه واسلخ جلده بهذا الخنجر"

الأم ناظرة إلى ابنها وإلى سينيه لتلقي بقنبلة في وجه شيه:

"قتلها زوجي السابق وأبو هذا اليافع وليام.. هل تعرفه؟".

* * *

دار الأوبرا

بعد ساعتين من العرض..

الناس جميعاً نست ما حدث..

باجا يتصبب عرقاً من قوة الأداء..

الجميع يصفق له على الأداء والنهاية الرائعة للعرض..

لقد أوصل فعلاً رسالة قوية من خلال العرض سواء بالغناء والأداء الصوتي القوي..

كان النص يترجم وينشر منه مقتطفات في شتى وسائل الإعلام..

كانت الكلمات على غرار.

"نحن ابقى لأننا اقوى".

"ليس بجولة يزحزح الجبل".

"دوما المحن تصنع الفوارق".

"الصغار يلعبون في خلفية المنزل بينما الكبار يبنون ويعمرون".

أما الأداء البصري فكان أكثر وضوحاً خصوصاً لمن لا يعرفون الصينية..

اسم المسرحية (أزرع السماء لا تنتهي) وهي تأليف وإخراج وتمثيل باجا..

تحكي المسرحية قصة صياد ماهر (شاين) قام بدوره باجا.. الصياد المشهور بمهارته وانه يصطاد أنواع نادرة من السمك..

ومعه في نفس المنطقة ثلاثة صيادين آخرون..

احدهما ثائر يزعم أن نهر نيلاي له بحكم تاريخي واسمه (تروك)

والآخر مرفه يصطاد مستعملاً قفاز ويبدو مائعاً ويحب النظر إلى مؤخرات الرجال وهم يرمون الشباك.. واسمه (ينجليش)..

وثالث ليس بإنسان ولكنه قرد بشعر كثيف يسير على قدمين.. ولا يأكل السمك الذي يصطاده ولكنه يقايده بالموز مع تاجر بالسوق واسمه (سلام)..

تكالب الجميع على (شاين) لإنهم حاقدين ولا يجيدون الصيد رغم أن الجميع يصطاد من

النهر الأزرق واسمه في المسرحية (نيلاي)..

يا للصدفة!!.

والرموز كثيرة ومتنوعة..

سلام يمارس حركات وطقوس مضحكة خصوصاً عندما أدى حركات أشبه بصلاة المسلمين..

وعندما سأله (شاين) وهو يلم شباكه بسمك وفير:

"ماذا تفعل يا (سلام)؟".

رد عليه القرد وهو يركع ويسجد وشبكه خالي لأنه لم يلق به في النهر:

"أتقرب لألهي أن يجعلني اصطاد موز بدلاً من السمك!!".

وهرش في مؤخرته.. واصدر اصواتاً منها مع تصاعد دخان..

وحارس فرداني يقول لسيده:

"إيه شغل العيال ده.. في حد يعمل كده؟".

ثم اصدر هو صوتاً عالياً من عنده يضاهي المؤثرات المسرحية..

لكن المشكلة التي آلمت القريبين منه.. هي الرائحة النبعثة مع الصوت..

بينما يراقب (ينجليش) (سلام) وهو منحني وفي ذهنه خيالات وأحلام..

هو لا يمانع أن يفعلها حتى ولو كان مع قرد..

يضحك الجمهور على شذوذه بينما يعلق فرداني بصوت عال:

"عليا النعمة الواد ده خواتي بجد".

وقد صنع ينجليش من الشباك ملابس مثيرة وارتداها ليداعب بها أي عابر..

بينما (ترك) يبصق على كل هذا وهو معلق في شباك صيده ولا يستطيع التخلص منها لأن

شباكه خالية من الأسماك..

وكان هذا كله مبعث ضحك لجميع الحضور..

و في مشهد أضيئت له الأضواء الحمراء للمسرح كلها..

اجتمعوا على التخلص من شاين بقطع يديه..

وبالفعل ينجحون في ذلك بعد استبسال من شاين في الدفاع عن نفسه ولكن كما قال باجا بطبقات صوت عالية مريرة:

"الرغبة في تجنب المحتوم ، أليست مضاعفة المرء آلامه".

والكلمة مشهورة لـ تشوانغ — تسو..

ثم جاء المشهد الختامي المؤثر.. مع قرع الطبول العنيف..

شاين مربوط بشباك صيده المليئة بالخيرات..

يأخذون منه السمك بشكل متوحش..

ثم يقتربون منه بسيوفهم وبضربة واحدة قطعوا له ذراعيه..

وبخدعة بصرية بدا فعلا أن يدا شاين قد وقعتا على الأرض..

حتى أن فرداني صاح:

"كدا مش جدعنة.. كلكوا عليه".

ونظر لحراسه فإذا هم جميعاً نيام..

ثم ومع تصاعد قرع الطبول..

إذ بالشمس الصناعية تشرق على شاين وهو مربوط في شباكه.. وذراعيه على الأرض.. مع هتاف من السماء:

"نبارك المبروك.. معجزتك تدوم وأعدائك ذاهبون"

بينما أعدائه يحتفلون بشرب التان على الجانب الآخر من المسرح..

تصاعد دقات الطبول السريعة..

حتى أن حراس فرداني بدئوا يفيقون

وفي خدعة مسرحية باهرة..

إذ بالذراعين يعودان إلى جسده مرة آخري..

مع أربعة اذرع أخرى أضيفت إليه كهدية من العرض السماوي..

فالسماء بعروضها تعطي أكثر من عروض التلفاز..

وأنزلت له سيوف ورمال ليكون معه ستة أسلحة فتاكة في أياديه..

والجمهور الصيني منفعل جداً ويصدق.. ويصفق ويصفر..

في ثوان كان قد تخلص من شبكة الصيد وقطعها بشكل مبالغ فيه – رغم كونها مصدر رزقه وحب السماء له – لكنها رسالة واضحة بمعنى (أنا ماليش غالي)..

وباجا يلقي عليهم بأبيات صينية تاريخية شهيرة لها معان الانتقام من الأعداء متى حانت الفرصة..

ويهجم عليهم وهم ثملون.. يتمايلون ويرقصون..

ويطيح بهم ذات اليمين وذات الشمال..

والذهول يملأ أعينهم وهم يتساقطون.. إما طعنا بالسيف أو قذفاً بالرمح

ويقف شاين أخيرا وقد تخلص من أعداءه كلهم.. والأرض مليئة بشباك الصيد المقطعة..

الشمس تشرق على وجهه فقط والدخان يملأ الخشبة ليقول كلمة خالدة لـ لي – تسو:

"ما كان أجمل مفهوم القدامى للموت:

راحة الصالحين ،

رعب الأشرار!

الموت هو اختبار الفضيلة".

ليتصاعد التصفيق الجنوني للحاضرين..

تضاء الأنوار كلها ليغرق المكان بضوء مبهر مع الصفير..

يغلق الستار ويفتح عدة مرات ليحي باجا الجمهور وقد خلع الوجه الأبيض ليبدو بوجهه وقد تصبب عرقاً بالكامل..

فرداني يصفق كما علم وهو يلكز رجاله ليصفقوا مثله..

يلمحه باجا وخبر جلوسه من الأول عنده فقال للجمهور بشكل مفاجئ:

"أشكركم جميعاً على حضوركم الكريم.. وأود أن اشكر عضو جديد انضم لمسرحنا.. ونرحب به دائماً معنا..".

ثم أشار إلى فرداني وتابع بشكل مسرحي:

"السيد فرداني زعيم التائبين".

وصفق له وحده.. ليتبعه الجميع بتصفيق مماثل..

وقف فرداني وانحنى لهم بشكل مبالغ فيه.

فهذه أول مرة يمر بها بهذا الموقف..

وتصفيق هذه البدل وفساتين السواريه تفرق عن الهيصة وأيمانات الطلاق التي يصدرها اتباعه..

وعدسات المصور تلاحقه.. وقلم الصحفي يسجل ما يرى..

وفي النهاية كتب الصحفي تعليقاً أخيرا بخط سريع:

"إذا كانت مسرحية السيد باجا كالعادة مليئة بالرسائل الموجهة.. فإن تصرفه تجاه فرداني كان أكثر قوة من أية رسالة.. مما يجعلنا نطرح سؤالاً أخيراً... إلى أي المعسكرات ستنضم تائبين؟".

وعند مراجعة المقالة من قبل جهاز الرقابة على الإعلام التابع لكمال شخصياً غير صيغة السؤال الأخير لتطبع في الجرائد:

"هل يصبح التائبين كأحد أذرعة شاين بالمسرحية.. هدية السماء للمبروكين.. أم يظلون شبيهي القرود؟".

° ° °

في منزل المبجل شيه

شيه غير عابئ بوجود جون ويقول لها:

"سأجتر عنقه".

طبعاً كان هذا (*كلام فوريجيه*).. فشيه لا ولن يستطيع الاقتراب من قصور وليام أو ضيعاته.. وأقصى أمانيه أن يجرح أي جندي أوروبي يسير منفرداً..

إلا أن جون انفعل وصاح محذراً بسبابته:

"احذر ما تقول يا هذا؟".

شيه يقف ويصيح:

"أباك جزار.. انظر ماذا فعل بزوجته التي اعطته طفله الوحيد.. أتظن إنه سيورثك الحكم.. أنت حالم.. أنت خادمه المطيع لا أكثر.. ولو اختلفت معه.. سيفعل بك".

ثم أشار إلى أمه الجالسة على المقعد:

"ما كان سيفعل بها".

يبدو أن المجتمعات المغلقة تنقل لنظرائها الأخبار بسرعة فائقة..

وأن خبر نية وليام قتل مارثا قد وصل إلى هنا سريعاً قبل وصولهم..

جون ويشيح بيده ناكراً هذه الحقيقة:

"أنت لا تعلم شيئاً.. أبي يحبني".

شيه يقترب منه ويهزه من كتفه وجون يشم رائحة قاتلو مركزة:

"أنت لا تعلم شيئاً.. أنا أعلم شيء واحد".

ثم أمسك خصلة شعر جون الصفراء وقال:

"ليس بالشعر الأصفر المصبوغ تصبح انجليزيا.. ولائك يجب أن يتغير وفق المعطيات الجديدة.. وفق تحالفات أفضل".

ثم نظر إلى عينيه مباشرة وقال:

"يجب أن تفيق".

جون يستنجد بأمه ويسألها:

"أماه.. ما هذا الكلام؟".

مارثا توقف تمتماتها وتقول له بصوت واهن:

"لقد اخبروني الحراس منذ فترة أنك وابنك ستختفيان قريباً.. فهو لا يحب أن يترك خلفه ماضي يؤلمه كل فترة.. خصوصاً إنه..".

ثم اعتصرت عيناها بقوة لتدمع رغماً عنها وتقول له الكلمة الأليمة:

"خصوصاً أن رأيه بك إنك لست برجل يعتمد عليه في أبسط الأشياء"

ذهل جون من هذا الكلام لأن وليام قالها له يوماً وهما يتشاجران..

الأم تكمل زرع السواد في قلبه:

"حتى حملك لعصيان الجولف الخاصة به كان..".

جون يكمل معها نفس الحوار الذي دار بينه وبين وليام مراراً:

".. مليء بالاخطاء".

شيه يصيح ويكمل:

"انظر ماذا فعل بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.. صارت مزبلة كل عابر.. كل من يريد الصعود يركب على كتفيها المتهدلين حتى نحتتا كدرجة سلم".

جون يفور ويصرخ ويمسك برأسه..

سينيه يمسك به ويهدئه وهو ينظر إلى الأم وشيه..

شيه يقترب منه وقد أيقن من صراخه إنه جاهز الآن يمد يده له ويقول:

"هل تعطي العهد لأخوالك بالتخلص من هذا المجنون الطاغية؟".

جون يلتفت له بوجه الأحمر ثم ينظر إلى أمه وسينيه الذين يهزون رأسهم بالإيجاب.. فكر لثوان ثم حسم أمره..

مده يده بقوة وصافحه.. وبذلك عقد تحالف جديد لم يكن يتصور حدوثه.. سيقلب موازين ويغير أوضاع..

ولكنه مرهون بشرط لا يعلم مدى إمكانية تحقيقه بعد..

شرط ليس بالهين ولا بالبسيط..

قتل وليام..

زعيم الحماية الأوروبية..

* * *

جبل الشيب.. 80 كم جنوب 6 أكتوبر

المعسكر السري التركي..

معسكر خير جند..

المعسكر في حضن جبل الشيب ومخفي تماماً عن الأنظار..

أقدام لجندي يرتدي حذاء ثقيل تعبر طرقات متعرجة..

يتوقف عند غرفة بعينها مكتوب عليها بالتركية (استراحة الأطباء)..

يطرق الباب ليدخل حيث عدة مكاتب متناثرة ولا يوجد سوى شاب واحد يطالع أحد المراجع الطبية الضخمة..

يرفع نظره للجندي ليبدو وسيماً ذو ملامح مصرية خالصة..

الجندي يحيه ويقول له بالتركية:

"القائد يريدك يا دكتور حاتم".

مد حاتم يده ووضع البريه المميز بعلامة عليها (أسد ينقض) على رأسه وقام قائلاً بتركية يجيدها كما يجيد العربية والانجليزية:

"حاضر".

* * *

فجراً.. مدينة 6 أكتوبر

مصنع المعلبات الأوروبي.. فوق السطح..

أيادي تفتح الغطاء الدائري لخزان المياه الخاص بالمصنع وتلقي بها نصف محتويات جوال ضخم من بودرة بيضاء..

مصنع المعلبات الأوروبي.. فوق السطح..

تغلق غطاء الخزان.. يفتح ثانية ليلقى قليل من البودرة ثانية مع صوت مكتوم:

"مش خسارة فيكو.. تصبحوا على جهنم".

* * *

حجرة قائد معسكر خير جند

الطبيب حاتم يحي القائد تحية عسكرية ثابتة..

القائد ذو وجه أحمر مكتظ يناوله ملف مغلق ويقول بتركية قديمة:

"ستذهب في أول مهمة خارجية لك يا دكتور حاتم مع دكتور سابيان.. حالة نادرة لتوقف القلب.. موضوع دراستك.. سليم".

بهت حاتم وفوجئ لأنه سيخرج من المعسكر اخيراً بعد أعوام من البقاء فيه..

حاتم سعيد للغاية ولكنه لا يبتسم ولا يظهر عليه أية انفعالات:

"سليم يا فندم.. تشكر آدارييم".

القائد يناوله الملف لينتبه حاتم ويأخذه منه والقائد يقول بابتسامة تشجيع:

"سأتابع تقييم دكتور سابيان فيك".

وأشار له بالانصراف..

حاتم يأخذ ملف الحالة وينصرف بعد اداء التحية العسكرية..

يخرج من غرفة القائد ويسير في الطرقة يفتح الملف ليقرأ اسم المريض

"كريم توفيق الشهابي".

أغلق الملف ووقف ليفكر للحظات.. سرح طويلاً وقد فوجئ تماماً..

الحالة المكلف بعلاجها مع دكتور سابيان أستاذ أمراض القلب التركي المشهور والموجود بالقاهرة في زيارة لشهرين فقط هي حالة..

كريم.. كريم توفيق..

أخيه الصغير..

* * *

مصنع العلبات الأوروبي

الواحدة ظهراً..

عامل ايرلاندي يقول لزميله الانجليزي وهما يغلفان كرتونة مليئة بعبوات البسلة باللحم:

"إلى أين ستذهب هذه المجموعة؟".

زميله يرد وبدأ يشعر باضطراب مفاجئ بجوفه:

"الاسكندري أأأأأأ".

وبدأ في التقيؤ بشكل مفاجئ حتى إنه اغرق الكرتونة تماماً..

أولى حالات القيء.. لاحظ مدير الوردية الفرنسي ذلك وهرع إليه..

العامل يفرغ معدته على الأرض ولا يستطيع مقاومة ذلك..

مدير الوردية يسأله:

"ماذا بك.. هل أكلت شيء خطا أأأأأأأ".

ثم انثنى على نفسه ليتقيأ هو الأخر ممسكاً بطنه..

العامل الثاني يمسك بطنه ويدفن رأسه في كرتونة فارغة:

"واعاعااااا.. تسمم جماعي".

مدير المصنع يلاحظ ذلك ويرفع لاسلكي إلى وجهه ويبلغ :

"اسعاف.. نريد اسعاف حالاً".

رد عليه مباشرة صوت بالانجليزية :

"فوراً يا سيدي.. نحن في الطريق"

* * *

سارينة الإسعاف تنطلق

بداخلها مجموعة من المسعفين الأوربيين بشعورهم الصفراء

يقول أحدهم بالعربية عبر جهاز لاسلكي آخر صغير:

"تمام يا ريس.. احنا رايحين".

~~ الريس من مقر خفي متقدم بالجيزة الجديدة:

"مش عايز غلط.. على الباب تتلوا الكلمتين اللي محفظنهلكوا"~~

~~ الشاب هو يعدل الباروكة الصفراء على رأسه :

"ما تخفش يا ريس".

مزيد من الاستغاثة من رئيس المصنع..

يرد عليه الشاب بالانجليزية التي يجيدها جيداً:

"نحن في الطريق.. نحن في الطريق".

السائق يشير للسيارة الأخرى خلفه بالتقدم..

ضربة قوية من حالئين..

استطاعت أن تخترق موجة الاتصال الأوروبية..

* * *

قصر المنصورية

"أين جون؟".

هكذا سأل وليام السائق وهو يفتح له باب السيارة..

السائق وهو منحني لأسفل:

"لا أعلم يا سيدي.. لم أره منذ يومين".

وليام لامحاً السيارة القادمة.. نظر إلى عجلاتها فعرف من الرمل الأحمرعلى الإطارات إنها قادمة من مدينة الجمال بصور الحادث..

نزل الجندي من العربة وتقدم لوليام وناوله الظرف المغلق وحياه تحية عسكرية.. يشير له وليام بالانصراف دون كلام..

ينصرف الجندي ليركب السيارة مرة آخري لتنصرف بينما يفتح وليام الظرف بسرعة وهو يركب سيارته في المقعد الخلفي وسائقه يدور ليركب في الأمام..

سيارتي الحرس تتأهبان للتحرك..

نظر ويليام إلى الصور بتمعن وهو يدقق في الجثث المحترقة.. قرب أحداها وتمثل اوبرنيه بوجهها المحترق..

صاح بانفعال وهو يكرمش الصور بيده:

"تباً.. إنها ليست هي بالتأكيد".

ثم صاح بالسائق بانفعال:

"أين جون؟".

ثم تذكر إنه قد سأل عنه منذ قليل وعاد يتذكر جدول زياراته اليوم..

يذكره السائق بخط سيره كما اعتاد كل يوم:

"إلى مصنع المعلبات.. ستشرف على افتتاح خط الإنتاج الجديد؟"

وليام المتوتر يقول له بشرود كأنه يساق:

"إلى مصنع المعلبات"

* * *

مصنع المعلبات

"افتح البوابة.. نحن الإسعاف".

هكذا صاح السائق التابع لحالئين بالانجليزية في وجه الحارس الممسك بطنه بقوة من كثرة القيء..

فتح الحارس البوابات بصعوبة لتدخل سيارة الإسعاف تتبعها السيارة الأخرى..

دخلت السيارتين واستقرتا في باحة المصنع.. بينما نزل مسعف ليقف بجوار الباب.. الحارس يسأله:

"ألن تقوم بإسعافي أنا وزميلي؟".

نظر المسعف للحارس الآخر الملقى على وجهه داخل كشك صغير وقال له بالمصرية تتنافى مع باروكته الصفراء:

"يا سلام.. ده أنت تؤمر".

وارتفع نصل سنجة حاد إلى أعلى..

* * *

عملية تحويل

يد عجوزة تغمر فرشاة صغيرة في إناء به صبغة شعر سوداء كالفحم..

جون جالس على ركبتيه وأمه تصبغ له شعر رأسه..

شعر براحة كبيرة من حركات يديها السلسة..

تمرر الفرشاة على خصلات شعره الصفراء طويلة..

اللون يتحول إلى الأسود بسرعة مذهلة..

كإنها ليست أول مرة تتعامل مع شعره..

كأنه معتاد منها على هذا الحركات منذ نعومة أظافره..

قال لها وهي تواصل عملها:

"سنرجع قريباً إليه ونقضي عليه؟".

ردت وهي سعيدة بولائه الجديد لها:

"قريباً.. عندما نرتب بعض الأمور".

التفت لها وسألها بحنان ويمرر يديه على وجهها:

"أية أمور؟".

ردت رافعة يدها عن شعره وقد اصطبغ تقريباً بالأسود:

"الأمور الجديدة.. أمور الحاكم الجديد".

* * *

مصنع العلبات

مدير المصنع يسأل المسعفين العشرين الذين انتشروا في كل أرجاء المصنع باحترافية وقد اقتربوا من الحالات المصابة:

"ألن تبدؤوا عملكم.. الحالات لدي منتشرة بين جميع العاملين؟".

رئيس المجموعة متعجب من عدم تأثر مدير المصنع ويسأله ويشير لغرفته ذات الزجاج العاكس:

"هذه هي غرفتك؟".

المدير بتعجب من الرد الغير طبيعي على سؤاله:

"نعم.. لماذا؟".

المسعف ويجذبه من يده باتجاهها ليدخلوا سوياً:

"أريدك في موضوع هام بشأن حالات التسمم المنتشرة".

المسعف يغلق عليهما الباب من الداخل بالمفتاح:

"تسمم.. ومن أين جاءت هذه الحالات؟".

المسعف ناظراً على المكتب حيث يلمح زجاجة مياه معدنية مشروب ثلثيها وقد فهم سبب عدم تأثر المدير بالسم وقال له:

"إحنا اللي سممناكوا طبعاً".

المدير يصاب بالذعر وهو يسمع اللغة العربية التي تكلم بها المسعف..

ولم يكمل.. فالنصل الحاد لم يمهله.. لقد اخترق حنجرته مباشرة..

* * *

خارج المصنع

"نقترب من المصنع ومعنا السيد وليام".

هكذا سمع المسعف التابع لحالثين القابع في الكشك الصغير النداء عبر اللاسلكي.. النداء يكرر عدة مرات..

بهت للحظة ولا يدري ماذا يفعل..

إنه يوم سعده فوليام سيآتي بنفسه إليهم.. امسك باللاسلكي وتكلم بثقة:

"علم.. نحن في الانتظار".

وكان هذا هو خطؤه الكبير..

فهناك كلمة سر لابد أن يبدأ بها الحديث مع حرس وليام خصوصاً..

ثم امسك بجهاز آخر وتحدث مع رئيس المجموعة بالداخل:

"وليام جاي هنا.. كرر.. وليام جاي".

ثم ضبط الموجة للتحدث مع الريس وأبلغه بسرعة..

~

الريس يرد مباشرة بانفعال من موقعه بالجيزة الجديدة:

"مين.. الخواتي الكبير.. يا نهار دوخة لو تلفتوا.. اوعدك برحمات عم سعيد.. سامعني.. رحمات عم سعيد يا عودر"

~

عودر ويضع شعره المستعار الأصفر على رأسه ثانية ويرتجف لذكر المفاجأة التي لا تمنح لأحد:

"سامعك يا ريس.. اطمن.. حاتلفهولك بأيدي".

وجذب زناد مدفعه الرشاش..

* * *

داخل المصنع

المسعف يخرج من حجرة المدير ويده غارقة في الدماء..

رئيس المجموعة يتكلم بصوت عال بالعربية فقد انهي المسعفون على من تبقى من حراس وعاملين.. فجرعات السم القاتلة لم تقتل من شرب قليلاً من المياه:

"يا جماعة وليام جاي لغاية عندنا يعني لازملوا حفلة استئبال".

رئيس المجموعة يشير لأثنين منهم ويلقي لهم بلاسلكي:

"ع البوابة.. بسرعة".

ثم التفت للآخرين وقال لهم بصوت عال ملقياً لهم علب المأكولات:

"جهزوا حفل الاستئبال.. مشان نمشي".

* * *

بعد دقائق

المسعفان يقتربان من الكشك الصامت تماماً..

احدهما يواصل النداء بلا جدوى..

عودر لا يرد مما زاد من قلق الاثنان..

"يا عودر.. أنت في الكشك".

يقف احدهما يمين الباب ويشهر سلاحه بينما الثاني يقف أمامه تماماً..

وعند الإشارة..

يقتحم المواجه للباب بقدمه بينما يقتحم الآخر ويشهر سلاحه في المكان

عودر جالس بسكون على الكرسي ولا يتكلم..

يقترب منه أحدهما ويكلمه:

"مالك يا عودر".

لا يرد بل ينظر له بعينه فقط..

نظرة ألم وتحذير..

~~~ ألم ~~~..

فقد اصيب في ظهره بخمس طلقات صامتة منذ قليل..

~~ وتحذير ~~..

من نقطة خلفهم عند الباب..

نظر الاثنان للخلف وقد فهما..

ولكن بعد فوات الأوان..

فحراس وليام مدربون على أعلى مستوى..

انهوا كل شيء في لحظات..

وبلا صوت..

* * *

المصنع.. بعد ساعة

"سيدي.. يمكنك الدخول لقد تم تأمين المصنع"

نظر وليام القابع داخل سيارته أمام باب المصنع الداخلي للحارس الواقف أمامه في ثقة..

هبط من السيارة وهو يمسح مدخل المصنع بعينيه..

رجاله منتشرون في كل مكان..

على الأرض وفوق الأسطح..

سأل الحارس وهو يقترب من باب المصنع الداخلي:

"هل عثرتم على المهاجمين؟".

الحارس أمامه ويراقب كل شيء:

"لا.. ولكننا نتقصى آثارهم خارج المصنع.. لقد استعملوا البوابة الخلفية للهروب بسيارتي الإسعاف".

~~

14 ..15 ..

~~

وليام وهو يفكر في كل الاحتمالات بما فيها أن يكون جون متورط:

"لا ريب إنهم اخترقوا موجة الاتصال.. لابد من تغيرها".

نظر حيث حرسه يجمعون الجثث على جانب في انتظار وصول الإسعاف الحقيقي..

الحارس يستبق سؤاله برد منه:

"لقد توفى معظمهم بالسم".

نظر وليام إلى جثة مدير المصنع وهم يخرجوها ممزقة من غرفته..

~~

4 ..5 ..

~~

أحد الحراس يصيح وقد لمح المتفجرات المخفاة بمهارة في عبوات أشبه بعبوات الطعام المحفوظة..

"اهربوا اااااا".

الحراس يحمون وليام بسرعة ويدفعوه خارج باتجاه باب المصنع..

بووووووووو مممممم مممم

انفجارات هائلة تدوي بالمكان..

تتداعى أجزاء من المصنع..

وتتوالى الانفجارات مع اقتراب سيارات الإسعاف الحقيقية من المكان

لقد ارتفع أداء حالئين بشكل كبير..

لم يكونوا ليحلموا بهذا الصيد الثمين

أبدا..

* * *

المعسكر التركي

"كيف أنت يا كريم؟".

هكذا سأل حاتم كريم بوجه صاف وهو يخلع البريه عن رأسه..

رد كريم شاعراً نحوه بألفة خفية:

"الحمد لله.. انت مش الدكتور سابيان".

جلس حاتم بجواره على السرير ومسك معصمه:

"وعرفت منين أن أنا مش الدكتور سابيان؟".

كريم برد طبيعي:

"هو أكيد تركي؟".

رد حاتم بتركية سليمة:

"وأنا بتكلم تركي كمان".

كريم بانبهار:

"أنت بتتكلم تركي؟".

حاتم وقد تأكد أن نبضه ليس على ما يرام:

"أه.. أنت مش بتتعلم تركي هنا؟".

كريم بإباء:

"آه.. بس أنا مش عايز اتعلم.. هو أنت اسمك دكتور إيه؟".

حاتم وقلبه يدق ويطلب منه فتح فمه ليرى لوزتيه المتورمتين:

"أنا اسمي الدكتور حاتم".

كريم بإلحاح:

"حاتم.. أنا كان ليه أخ اسمه حاتم.. أنت اسمك حاتم إيه؟".

حاتم ويضع الترمومتر بفمه حتى يسكت:

"وأخوك راح وين؟".

كريم ينظر له بذكاء وقد شعر حاتم أنه سيهتف بأنه اخيه المختفي..

كريم ينزع الترمومتر من فمه:

"مغلفينوا.. عندو الحمى الحمرا.."أم أمت أممك إمم بلتمم؟".

حاتم يسارع بإرجاع الترمومتر ثانية فقد شاهد الدكتور سابيان يقترب بخطواته البطيئة..

كريم يسأله ثانية بإلحاح:

"أم أمت أممك إمم بلتمم؟".

يقصد (*هو أنت اسمك ايه بالكامل؟*)

وقف حاتم وحيى الدكتور سابيان باحترام بالغ..

الدكتور سابيان يحيه وهو يقترب من كريم ويضع يده على رأسه بحنان ويقول له بعربية سليمة:

"كيف حالك يا كريم؟"

كريم مبهور ويفتح فمه:

"أنت بتعرف عربي؟".

الدكتور سابيان يبتسم ويكشف صدره ليضع السماعة عليه ويسمع ويقول بصوت خافت:

"عربي.. انجليزي.. تركي"..

ثم اصتنت باهتمام بالغ وهو ينظر لحاتم بقلق ليتابع:

"وكل الذي تريده".

ثم همس لحاتم بالتركية:

"الجلطة تتحرك.. هناك فرصة الآن لالتقاطها".

حاتم وهو يربت على شعر كريم حتى لا يتوتر وقد شعرهو بالتوتر:

"ستجرب معه الاسلوب الجديد الذي ابتكرته؟".

الدكتور يفك بنطال كريم ليخلعه ويقول بحسم:

"لا توجد فرصة آخرى".

مع اعتراض كريم ورجاء حاتم وتربيته على كتفه ليهدئ..

كريم قلق ويمسك البنطال ويسأل حاتم:

"انتوا حاتعملوا إيه؟".

حاتم يربت على يديه ويطمئنه:

"ما تخفش".

الدكتور يغمض عينيه ويركز ويحريك يده على صدر كريم بهدوء و رويدة

حركات محسوبة دقيقة بأنامل باردة خبيرة..

يتجه بالتحريك ببطء ناحية العضد الأيسر الصغير..

يستمر في التحريك حتى يصل للكتف وهو يقوم بحركات سحب سريعة على الذراع بالكامل..

يتنفس بعمق وهو يركز..

حاتم يراقبه ويربت على رأس كريم ويطمئنه:

"ما تخفش الدكتور سابيان عارف بيعمل إيه مش عايزك تتخض؟".

كريم بشجاعة:

"أنا مش خايف.. أناعايز بس اعرف هو بيعمل إيه".

حاتم يبسط الموضوع والدكتور مستمر في السحب من المرفق:

"حايسحب الوجع من جوة جسمك".

الدكتور يشير لحاتم بسرعة إعداد الحقنة الفارغة..

حاتم يخرج إبرة ويسارع بوضع السن فيها.. كريم يشهق عدة مرات ويبدأ في التشنج..

الدكتور يسحب بقوة ويعصر يده قرب المعصم ويخرج رباط مطاطي ويضعه عل المعصم ويكور قبضته ويقول:

"بوكس.. بوكس".

كريم يضم يده بقوة..

الدكتور يأمره ويضع سن الأبرة في العرق:

"اقبض بقوة.. آصلان.. آصلان".

حاتم يأمره وقد بدأ الدم الغامق المتجلط في النزول بالمحقن:

"جامد يا كريم ع الآخر.. بيئولك أسد.. عايزك أسد".

كريم يبذل مجهوداً كبيراً شاعراً باضطراب في قلبه..

وأنه روحه صافية طافية..

طافية فوق موج هادئ..

يستمر السحب ليتحول إلى كلاكيع سوداء تماماً بلون الفحم..

الموج يعلو ويثور كأن بركاناً ضرب أعماق البحر..

امتلأ المحقن عن آخره بالدماء السوداء وقد بدا الاجهاد على كريم..

شعر كأنما البحر انقلب عليه..

وكأن روحه ستغادر جسده..

اخرج الدكتور سابيان الإبرة من جسد الصغير وربت على وجنته وقال:

"ولد شجاع.. جسم نظيف".

ربت حاتم على رأس كريم التي امتلأت بالعرق الصغير وسأله:

"احسن دلوقتي".

كريم شاعراً إنه أفضل حالاً فعلاً وقال لحاتم ما يجول بخاطره:

"أه.. حاسس إني عايز ألعب كورة".

ضحك حاتم والدكتور الذي امسك يده ليقيس له النبض بينما يقول حاتم:

"خلاص أخدك في يوم ونلعب سوا كورة".

ثم ربت على كتفه وكتف حاتم وقال وهو ينصرف:

"مبروك.. سالاماتلي".

كريم يسأل حاتم بعد انصراف الدكتور:

"ما ئولتليش اسمك حاتم إيه؟".

* * *

حديقة قصر وليام بالمنصورية

اليوم التالي.. عصراً..

عدد من الحراس الانجليز واقفين بزيهم الأحمر والأسود وغطاء الرأس العالي

الجو حار.. قطرات من العرق تنساب على وجه أحد الحرس..

لا يستطيع مد يده ومسحها..

لا يعلم على وجه الدقة سبب استدعائه هو وزملائه من قصر عابدين إلى قصر وليام بالمنصورية على وجه السرعة..

فهذا لا يتم إلا في الأحداث الجسام..

والشائعات تقول أن السيد وليام معتل الصحة منذ ظهر أمس..

ولاتوجد أية تفاصيل..

* * *

داخل القصر

خطوات حذاء أنيق تسير بسرعة على السجادة الحمراء بالطابق الثاني..

يقترب من باب مغلق..

يطرقه ويسمع كلمة استئذان خافتة..

يدخل يحيى حيث رجل واقف بظهره له أمام مرآة بيضاوية كبيرة يقول له جون دون أن يلتفت ويعدل من ملابسه:

"كل شيء جاهز؟".

يحيى لامحاً أن به تغير لا يستطيع تحديده:

"نعم.. كل شيء تم تجهيزه.. الوزراء وصولوا وكذلك السيد كمال ومجموعة رجال الأعمال".

يلتفت جون بوجهه الجديد ذو الشعر الأسود ويسأله:

"ووسائل الإعلام؟"

يلاحظ يحيى ذلك ولكنه لا يعلق و يرد:

"لقد اخطرتهم بضرورة التواجد لأن خطاب هام سيلقى الآن"

جون وقد لاحظ نظرات يحيى على شعره:

"ماذا.. لقد سئمت من الصبغ المستمر".

وتابع بشكل واضح:

"أريد أن أكون على طبيعتي".

وعندما التفت بوجهه كاملاً لاحظ يحيى التغير الثاني بوجهه..

لقد دق صليب صغير على جانب وجهه الأيمن بجوار أذنه..

دق معه ناقوس الخطر في عقل يحيى..

فهذا الصليب لا يرسم إلا بواسطة الواشمون الذين يعيشون في أفقر مناطق قارة الحدادين..

ولا يفعلون ذلك إلا لفئة واحدة من الناس..

الكوبيين.. والكوبيين فقط.

* * *

في بيت الريس بالدويئة

الريس مستشيط غضباً ويصرخ وهو يقلب في محطات التلفاز:

"عتموا على الموضوع ولاد الخواتية.. يا ولاد المستخبي".

كانت الأخبار تنقل فقط وعلى مدار اليوم أن انفجاراً عرضياً حدث بمصنع المعلبات.. وأن السيد وليام سيتوجه بكلمة لاحقاً إلى الأمة..

ثم صرخ في بمبة الذي كان مع المجموعة المهاجمة:

"أنت متاكد أن المصنع اتهد على نفوخه يا ازعة"

بمبة بيقين ويقفز عالياً في الهواء:

"يا ريس مليون المية.. ده لبس الحجارة على صدره كبس"

الريس يقلب في كافة المحطات لا توجد أية إشارة إلى البيان الذي ارسلوه لهم..

نخلة ولاحظ ذلك فقال له مقترحاً:

"نطبع يا ريس كام ألف ورقة ونوزعها بسرعة".

الريس يلقي بالريموت بعيداً:

"اطبع.. اعمل أي حاجة.. ولاد المكروبة.. تروو ع الولعة".

انصرف نخلة لتنفيذ الأمر..

بمبة بفرح لأنه يحب الطباعة ويسأل الريس:

"اروح اطبع معاهم يا ريس".

الريس يزغر له بقوة..

بمبة فهم إنه بيعك.. فرفع الريموت من على الأرض ليعطيه للريس ويعظم له.. ضغطت أصابعه على زر الريموت دون وعي..

انطلق صوت مذيع انجليزي من قصر وليام ويعلن عن قرب بدء الخطاب..

نظر الريس وبمبة إلى الشاشة..

وجه المذيع منزعج مكفهر.. ينبئ بشئ ما ليس على ما يرام..

الكاميرا مسلطة على الحضور وفيهم يظهر كمال وهو يحدث جار له..

وفي صفوف خلفية يبدو فرداني وخمسة من حرسه..

ما أن رآه الريس حتى صاح:

"هو البرص معزوم كمان.. يا بلليني ما تتنفخيش".

بمبة يريد أن يصلح موقفه فيدعوا له:

"يارب ما يتنفخلك بلللين يا ريس ابدا".

الريس يتوعده ويحذره بإصبعه:

"اخفى يا بمبة دلوئتي.. اخفى"

بمبة ينصرف وذيله في أسنانه خوفاً من بطش الريس..

~~

الكاميرا تسلط على الشرفة المغلقة بالطابق الثاني..

باب الشرفة يفتح ليطل منها سينيه وقد ارتدى بدلة كاملة على الرغم من الجو الحار..

يقترب من الميكرفون ليتأكد من سلامة التوصيلات بنقرة خفيفة يتردد صداها بصفير بسيط..

ويشير للمتحدث خلفه بالتقدم ويبالغ في الانحناء..

ويختفي في الداخل بسرعة وهو منحني..

يدخل مجموعة من الحرس ليقفوا على مسافة من الميكرفون..

ثم يدخل المتحدث الرئيسي..

يتفاجئ الجميع..

إنه جون..

~~ ينظر للجمع بعيون قوية لم يعتادوها فيه ~~

~~ تململ البعض وبدأ في الهمس ~~

عن مظهره.. صبغه لشعره.. دقه لصليب الكوبيين ~~

~~ ولماذا هو الذي يتحدث أصلا ~~

~~

الريس بسخرية من مظهره:

"هي الآنسة صبغت شعرها ولا إيه.. مش ده الخواتي الصغير.. هو حايئدم الخواتي الكبير ولا إيه؟".

يرفع بمبة درجات الصوت لأقصى درجة ممكنة..

وقد بدأ الجميع يشعرون أن الأمر خطير..

* * *

في بيت الإمام

مجلس أنس وشعر..

الإمام ويعلى وآخرون جالسون على الأرض..

مجموعة من المنشدين واقفين ممسكين بالدفوف..

يشير لهم يعلى بالبدء وهو يناول الإمام تفاحة..

يبدأ شاب في في الغناء مع مجموعة من ناقري الدفوف:

♫

أنا الإمام الذي ضم المواكب

كمثل بدر بدا بين الكواكب

أرمي الكتائب بن على الكتائب

حتى أخذت بثاري

وقمت أحمي ذماري

أنا من نسل طي

السادة الكبار

دخل عليهم شاب فجأة وصاح بهم ووجه ناحية الإمام الذي توقفت اسنانه على سطح التفاحة:

"يا إمام.. جون يخطب ويبدو أن الأمر خطير".

* * *

تتابعات

جون مرتجلاً الحديث بلا ورق ويتذكر لقطات سابقة في الوقت القريب:

"في تلك الأزمنة القديمة.. حين كان السيف خادم الحق"~~~

~~~ وليام يوضع على محفة وجسده غارق في الدماء وينقل داخل سيارة إسعاف بسرعة.

"حين كان الخير مرغوباً فيه.. في حد ذاته"~~~

~~~ شيه وجون وسينيه والأم متحلقون حول مائدة صغيرة ويتلون الصلوات.. بينما يدخل شخص ما على شيه ويهمس في إذنه بخبر متسرب عن حادث إنفجار المصنع.

"حين كان الجميع يبحثون عن حقوقهم.. وليس عن شيء آخر"~~~

~~~ الأطباء يمسحون الدم عن جروح في صدر وليام الذي ترتجف عيناه بوهن.. يعلقون له
~~~

كيس دم ويوصلوه بجسمه.

"حيث كانت العدالة لا تباع ممن يدفع أكثر"~~

~~ باجا يصله الخبر وهو في مكتبه فيسارع بالاتصال بسان.

"كان الحب أثمن من الحياة.. والشرف أثمن من المال"~~

~~ شوكت يصله الخبر وهو يلعب الأسهم بمكتبه فيسارع بالاتصال بأوغل.

"كان الشرف وحده كان يكافئ المنتصر.. والوعد هو أثمن السلع.. قامت لأجله أمم.."~~

ونظر إلى الحضور لبرهة ثم أكمل:

"وبسببه انهارت حضارات"~~

ثم بدأ الكلام ببطء وتركيز:

"اليوم نجتمع لنذكر الولاء الذي يجمعنا.. وأنه أكبر من أية حقيقة آخرى موجودة.."~~

~~ جون يدخل على وليام النائم لوحده في غرفته التي تحولت كغرفة عناية مركزة.

"أكبر من حقيقة الحياة التي تحتوينا.."~~

~~ وليام يفتح عينه ليرى وليام.. يبتسم له بوهن ولا يتكلم.. جون ينظر للجروح الكثيرة بصدره وبطنه.

"أو الموت الذي يفرقنا"~~

~~ جون يربت على يده ويخرج إبرة صغيرة فارغة..

~~ يسحب بعض الهواء ببطء..

~~ يحاول وليام الوصول إلى زركبير بجانب رجله

~~ يدفع جون سن الإبرة في زراع وليام ويضخ الهواء القاتل..

~~ ابتسامة راحة الانتقام ترتسم على وجهه.

"الصلاة ذاتها تعلمنا أن نقوم بكل شيء برأفة.. نتقبل كل خبر برضا وحبور".

ثم صمت مشاهداً آثر كلامه في الحاضرين ليكمل الخطاب بأهم مقطع:

"بالأمس.. وإثر أزمة مفاجئة.. رحل عنا.. وتركنا.. القائد الكبير وليام"~~

البعض يجهش بالبكاء.. بعض الحرس وبعض المقربين..

"رحل كقائد.. ورحل كزعيم.. ورحل كأب"~~

~~ يتوتر كمال ويهمس في إذن مرافقين له

~~ بينما فرداني يعبث بالسماعة ويسأل جاره ذو شوارب ضخمة ويبدو هولندي:

"هي البتاعة دي بتشتغل كيف يا خويا.. أنا مش فاهم حاجة.. هما بيعيطوا ليه؟"

الرجل ينظر له بعين متسعة ويبرق وفرداني يعيد:

"وين هوا الراجل الكبير بتاعكوا.. بعافية ولا إيه؟".

جون يكمل الفقرة الأخيرة في خطابه القصير:

"هذا العالم هو مكان المحن.. وقد خلق الإنسان للألم.. وليس ثمة أي علاج للميلاد ولا للموت سوى بالاستفادة من الفترة الفاصلة بينهما في عمل مفيد"

"مزيد من القوى الناصرة"~~

"مزيد من التحديات الناجحة"~~

"مزيد من التحالفات المثمرة"~~

"سأكون معكم دوما ناصراً معيناً مفيداً.. ومعكم سنصل لكل الحلول المكنة.. لنسود

ونبقى.. فوق الجميع"~~

ثم قام بصلاة سريعة وتمتم وانصرف والشرفة أغلقت ~~

وجوم على وجه الجميع.. الحاضرين في المكان..

أو المشاهدين أمام التلفاز ~~

~~ باجا ينظر بوجوم ومعه سان ولا يتكلمان ~~

~~ شوكت وأوغل ولا يتكلمان ~~

~~ الإمام ويعلى ينظران لبعضهما ويشيران للجميع بالانصراف ~~

~~ الشيخ وراوي سرحا بعيدا ~~

~~ الريس وحده نطق وقال لنخلة بقوة:

"أنا عايزك تكلملي الحج مخيمر حالاً مشان أعرف أفكر زين".

نخلة بقلق مما سيفعله الريس في هذه الظروف الصعبة:

"خير يا ريس.. حنعمل حاجة تاني؟".

الريس ويفتح العلبة الخشبية الفارغة تماماً إلا من السلوفانة:

"لأ.. الأفيون خلص".

* * *

قصر المنصورية

الأم تمسك جون من كتفه وتهزه:

"كنت رائعاً".

جون يلثم يدها ويقول كالأطفال:

"حقاً.. هل كان ادائي جيداً".

ردت وهي تحسس على الصليب المرسوم على وجهه:

"نعم.. لقد تغيرت بعد أن زين الله وجهك".

وتحسست صدره:

"وقريباً سيزين قلبك بالإيمان".

رد وهو يقف أمام المرأة مختالاً بنفسه:

"المرحلة القادمة تحتاج إلى قلب قوي.. صلب.. لا يعرف الرحمة"

تمتمت له ولنفسها:

"واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ،ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير".

اقترب منها وجلس على ركبتيه..

ضمته لصدرها وراحت تهتز وتتمتم في إذنه وقد أغمض عينيه وهو يصغي بإنصات..

إنصات تام..

* * *

المفاجأة الكبرى

مكتب شوكت.. ليلاً

~~ شوكت وأوغل يطالعان القاهرة الصاخبة من مكتبهما ~~

~~ احتفالات خرج فيها المصريين في كل الشوارع ~~

~~ شعروا إنه بوفاة وليام كأن المحتل قد رحل ~~

~~ الموسيقى خرجت من كل البيوت ~~

~~ والزغاريد من كل الحناجر~~

~~ تجمع النساء في البيوت ليرقصن ويطبلن كأنه فرح ~~

~~ نزل الرجال إلى المقاهي والشوارع يتحدثون بلا خوف ~~

شوكت يحدث أوغل:

"هذا أكبر دليل على بغض الناس للحماية الأوربية".

أوغل مدلياً برأيه:

"انفعال شعوري.. وما ادراك لو أن باجا أو حتى أنت مات لن يحدث ذلك".

شوكت يزغر له ولا يرد..

من بعيد بدأت أصوات التكبير فجأة وبتزامن من أنحاء متفرقة..

نظر للساعة فإذا هي العاشرة مساء تماماً.. أوغل وينظر هو الآخر للساعة:

"إنها العاشرة.. دوما يبدأ التكبير في هذا الوقت.. ما بال هؤلاء القوم.. هل ستصبح عادة يومية؟".

شوكت يكمل ما يجول بخاطره:

"أم إنه بداية لعمل منظم؟".

أوغل ينظر له ويحاول الفهم أكثر..

الأصوات تعلو وتعلو بشكل منتظم..

الشوارع صمتت وتسمع لأصوات التكبير التي شملت كل المناطق..

تكبير جماعي منتظم..

لا مركزي.. كأنه صادر من فم رجل واحد..

بينما راح شوكت يفكر في المرحلة القادمة..

كيف سيدير العمل مع جون وهو رئيس الحماية..

بينما أوغل يفكر بتزامن:

(وليام مات ومات معه سر السيف.. سيف محمد الفاتح الاسطوري)

شوكت يقاطع تفكيره بسؤال مباغت كاللغم الأرضي:

"ما هذا السيف العجيب الذي تخبئه في بيتك؟".

بهت أوغل ولجم وشعر بالشلل يسري بدمه..

كيف يجرؤ شوكت على تفتيش بيته ومراقبته..

بهدوء أجابه دون أن يلتفت وأصوات التكبير تزداد:

"وما شأنك أنت؟".

شوكت يسدد النظر في عينيه ويسأله:

"أهو نسخة مقلدة أم قطعة أصلية؟".

أوغل بتحدي مكوراً قبضته في وجهه:

"كيف تجرؤ على مراقبتي؟".

شوكت يشوح بذراعيه ويقول بسخافة:

"أنا اراقب أي أحد".

قاطعهما اقتحام أحد الحراس المقربين إليهما الغرفة فجأة دون استئذان

شوكت يصرخ فيه وقد نوى فصله من الخدمة تماماً:

"كيف تجرؤ أيها الحمار..؟".

قاطعه الحارس وهو يفتح التلفاز سريعاً:

"هل شاهدتم آخر الأخبار؟".

انتبها له وسأله أوغل خوفاً أن يكون وليام لم يمت:

"ماذا حدث.. أمر يتعلق بالأوربيين".

الحارس ملقياً قنبلة في وجهيهما وهو يعبث بالتلفاز بعصبية:

"بل بنا نحن.. لقد أعلن مولانا السلطان إنه قادم قريباً".

وتابع وهو ينظر إليهما وفي الخلفية يظهر السلطان الشاب على الشاشة وهو يدلي ببيان:

"قادم إلى القاهرة".

* * *

(نهاية القسم الرابع)

في القسم الخامس.. منجل الله.. 

قرص الشمس ينحدر خلف الجبال القريبة مشكلاً لوحة طبيعية رائعة..

ويتمتم السلطان وشوكت بكلمات السلام:

من فوق الجبال العالية نزلنا

وعبر البحار العاتية جئنا

لنشرالقوة والايمان

بالحق وصلنا وعبرنا

سلام على ترك

أرض الأجداد

سماء الأحفاد

بها فقط

اهتدينـــا

دمعت عينا شوكت وهو يرى العلم التركي يرتفع عالياً.. بينما ابتسم السلطان الشاب في رضا..

* * *

القسم الخامس

منجل الله

قرب غروب الشمس

قرب غروب الشمس

ميناء بور قسمات.. قرب عتاقة..

العلم التركي الضخم يرفرف على صاري طويل بقوة لشدة الرياح..

الخيل تصهل بشدة وتجول.. ملت مثل ركابها من طول الانتظار..

شوكت وأوغل وعدد محدد من رجال الحماية التركية واقفين وقد ارتدوا بدل التشريفة المزينة بالنياشين التي حصلوا عليها..

المكان مزدان بالورود والأزهار بلوني العلم الأبيض والأحمر..

الشرائط الملونة البيضاء والحمراء تلف المكان بتنسيق رائع..

أوغل يقول لشوكت وقلبه يدق بشدة:

"لقد تأخر وصوله".

شوكت وينظر حوله ويهمس:

"من الممكن أن يظهر في أي لحظة".

لم يناما طيلة الليلة الماضية ولليال عدة سابقة وهما يفكران ككل المصريين والأجانب الموجودين على أرض مصرعن سبب زيارة السلطان..

وتوقيت اعلانها المفاجئ جاء بعد نهاية خطاب جون مباشرة..

أهي مصادفة أم أمر دبر له.. وماذا سيعلن السلطان الشاب من قلب القاهرة..

أم هي مجرد زيارة تأييد لشوكت..

صاح المراقب من أعلى عامود المراقبة:

"لقد وصل السلطان".

ثم وكبرتوكول متعارف عليه رفع بوقاً مخصوصاً على فمه وأطلق نفيراً طويلاً.. ارتجفت لـه القلوب وتجمدت الأوصال..

هذا كان معناه أن الخبر أكيد وأنه حصل فعلاً..

لقد وصل السلطان..

نظر أوغل وشوكت إلى سطح الماء الساكن والممتد للأفق بلا حركة أو اضطراب..

شوكت بتشكك وهو ينظر:

"أين هو؟".

ثم يوجه رأسه إلى أعلى ويسأل المراقب بصوت عال:

"أين؟".

لم يسمعه المراقب لشدة الرياح ولكنه فهم إنه يسأل عن مكان السلطان..

أشار له دون كلام جهة الشمال الشرقي للميناء..

ينظر شوكت إلى تلك الجهة التي بدأ الماء يضطرب فيها ويتحرك..

وبهدوء ودون إزعاج ظهر عامود من الحديد واضح للعيان..

الجميع ينظر له ومشدوه..

الجسم المعدني الضخم بدأ في البروز على سطح المياه فجأة.. جسم ضخم أزرق بلون المياه

لقد وصل السلطان وكعادته بطريقة غير معتادة..

لقد جاء من تركيا هذه المرة بغواصة.. فخر البحرية التركية.. على اسم أغلى إنسانة..

الغواصة (*قسمات*)

* * *

موطن الأطهار السري المسقوف

حفل تخريج الدفعة الثانية..

باجا ينظر للجمع الكبير المحتشد منهم..

يقف أعلى السيارة الصغيرة ذات الونش وقد شد الونش تماماً حتى يكون بأعلى ما يكون..

ألاف الوجوه الصلبة القاسية..

يتقدمهم سان..

جميعهم يرتدون العصابة الحمراء على رؤوسهم..

جميعهم حتى باجا وسان..

وقد ميزت الدفعة الأولى عن الثانية بأن وضعت الثانية علامتين بلون أبيض في مقدمة العصابة الحمراء على الجبهة..

بينما أفراد الدفعة الأولى كانت عصابتهم خالية من أية علامات..

والدفعتان منقسمتان في الوقوف يمين ويسار القاعة الضخمة..

ويقف سان في الأمام منتصف المسافة الفاصلة بينهما..

بدء قارعوا الطبول بأداء عملهم بحماس..

دخول لعلم أبيض كبير محمول بأيادي الأطهار..

يتحرك على أيادي الدفعة الأولى حتى عبر ليطوف بالدفعة الثانية كلها من الخلف للأمام..

كان مشدوداً كلوح يحركوه بأيديهم للأمام حتى توقف عند الصفوف الأمامية للدفعة الجديدة أمام عين باجا تماماً..

باجا ينظر لسان بخفاء الذي يصيح فيهم:

"دفعة اثنين.. استعد".

4000 قدم تركل الأرض بقوة وتصيح:

"جاهزون".

سان بحماس وصوت يتردد في المكان:

"كلمة السيد باجا".

باجا ينظر في العيون ويخطب بحماس:

"الأرانب البيضاء تحتاج لوجود أمها معها دوما لتشعر بالأمان.. فهي تطمئنهم بحليب ثدييها"..

يبتسم الجميع وقد فهموا المقاربة بين الأرانب والأتراك..

يتابع ويشوح بيديه في الهواء:

"تطمئنهم لأنهم يشعرون أن الذئب قد اقترب منهم.. وأن آجلهم قد حان ودنا.. نحن لا نحتاج لأن نتعب الإمبراطور"

سكون والجميع يصلي له في سره ويقولون بهمس:

"بركته علينا".

يتابع بعد أن صلى معهم:

"نحن لا نحتاج إلى أن نتعبه وأن يأتي من بكين إلى هنا لنستمد من وجوده المدد.. لا المدد الروحي.. ولا المدد المادي.. أتدرون لماذا؟"

وصمت ليرى كل الوجوه مشدودة مترقبة ليتابع بصراخ:

"لأننا اقوياء بانفسنا".

هاج الجميع وصرخوا بصياح قتالي:

"اقوياء.. اقوياء".

سان يهتف معهم بحماس.. تابع باجا ليحرك مشاعرهم:

"وسنرسل له عما قريب رؤوس الارانب... والقرود".

صاحوا ورفعوا أسحلتهم في الهواء ليتابع:

"أريد 385 رأس أرنب صحيحة.. مذعورة.. مفهوم".

مزيد من الصياح ليحرك يديه لهم ليزيد صياحهم.. باجا يكررعليهم طلبه الغريب:

"385 رأس تركي.. لا تزيد ولا تنقص".

سان يستحثهم لمزيد من الصياح.. مزيد من الصياح القتالي ملأ المكان..

باجا ينزل ويتجه للعلم..

يرفع خنجره الضخم وبيده القوية التي لا تعرف التردد يقطع باطن كفه

لتبدأ أولى القطرات الحمراء في الهبوط على العلم الأبيض ليكون شاهداً

على المذبحة الجديدة..

مذبحة الأطهار..

* * *

ميناء بور قسمات.. الاستقبال

الموسيقات العسكرية تعزف لحناً تركياً عسكريا مميزاً.. ♫

الإمبراطور الشاب البهي الطلعة يسير على البساط الأحمر بجوار شوكت مستعرضاً حرس الشرف من رجال البشماركة المميزين بالشورتات والطرابيش ذات الريشة..

هؤلاء لا يظهرون إلا في حضرة السلطان فقط..

يحيهم السلطان بإيماءات بسيطة وابتسامات عزبة..

يلي ذلك السيد كمال الذي يحيى الإمبراطور بحرارة ويشد على يديه..

ثم السيد خالد الذي يبالغ في الانحناء حتى قارب الركوع..

ثم قدم له هدية تذكارية سارع أحد مرافقي السلطان بأخذها منه..

ثم مجموعة منتقاة من رجال الأعمال.. كبار رجال البورصة وغيرهم..

ثم يسيران لوحدهما في مساحة خالية حتى يصلا لنهاية البساط حيث منصة صغيرة ذات أعمدة نحاسية عليها مظلة حمراء مستطيلة..

تتوقف الموسيقات العسكرية عن العزف..

يقفا تحتها ليقترب منهما قائد الحرس ويحي السلطان وشوكت بالسيف ويهتف:

"مولاي السلطان.. سلام سلاح".

ثم يستدير ويهتف للأفق:

"سلام تركي سلطاني رشيد".

تبدأ الموسيقات العسكرية العزف مع رفع العلم التركي على صارية عالية في وسط الميناء..

قرص الشمس ينحدر خلف الجبال القريبة مشكلاً لوحة طبيعية رائعة..

ويتمتم السلطان وشوكت بكلمات السلام:

من فوق الجبال العالية نزلنا

وعبر البحار العاتية جئنا

لنشرالقوة والإيمان

بالحق وصلنا وعبرنا

سلام على ترك

أرض الأجداد

سماء الأحفاد

بـها فقط

اهتدينـــا

دمعت عينا شوكت وهو يرى العلم التركي يرتفع عالياً..

بينما ابتسم السلطان الشاب في رضا..

يشير شوكت للسلطان للتوجه للسيارة القوية القريبة.. سارا على بـساط أحمـر يـصل لبـاب السيارة مباشرة..

أعدها شوكت له حيث ستذهب به ليبات في قصر الجوهرة بالقلعة بالقاهرة ليلقـي خطابـه نهار الغد أكثر المواقع حساسية والتي تثير دوماً جنون الصينيين والأوربيين..

موقع في قلب القاهرة.. من له السيطرة عليه فكأنما يمتلك القاهرة كلها..

ذلك الميدان الواسع الذي له من اسمه النصيب.. ميدان التحرير..

* * *

العاشرة مساءً.. إلا دقيقة

الشيخ ينظر لساعته في معصمه الأيمن ويقول لراوي عبر اللاسلكي:

"أبو الفضيل.. باقي دقيقة.. استعد"~~

~~ راوي يرد من نقطة بعيدة:

"جاهز للرصد والمتابعة"~~

~~ الشيخ يحدث توفيق المرابط في نقطة آخري مختلفة:

"جاهز يا أبو كريم"~~

~~ توفيق يرد وذقنه باتت طويلة تملأ وجهه:

"جاهز للرصد والمتابعة"~~

بدأ التكبير يصل مسامع الجميع..

~~ يضبط راوي جهازاً صغيراً يسترق إلى الحديث عبر اللاسلكي في الموجات المختلفة ويقول للشيخ عبر اللاسلكي:

"44\8 ،36\7، 93\4 ، 16\2"

ثم اصتنت حيث انتهت الرسائل وتابع:

"انتهى"~~

توفيق يملي الشيخ ما وصل إليه:

"19\9 ،38\7 ، 93\4 ، 37 \5"

ثم اصتنت حيث انتهت الرسائل ليتابع:

"انتهى"~~

~~ الشيخ يخلع النظارة وهو يقارن نتائج اليوم بعدة نتائج سابقة..

يقول وهو يعلم بخط على رقم محدد بالورق أمامه:

"93\4".

وتابع وهو يفكر:

"نقطة مكررة دوما ومفضلة.. ربما هي المركز".

ثم راح يفكر بعمق..

وأصوات التكبير تعلو وتعلو..

لتملأ مسامعها البيوت من حوله..

وتملأ كل مكان..

والسؤال الذي يحير باله من أسبوعين يلح على تفكيره:

"من يقف وراء هذا التكبير اليومي المنظم.. من؟".

* * *

قصر الجوهرة.. قلعة صلاح الدين الأيوبي

اليوم التالي.. صباحاً..

السلطان يضع أكليل ضخم من الزهور أمام أقدام تمثال ضخم يمثل أبوه (يكبر الأول) الموضوع في باحة القصر الخارجي..

شوكت وأوغل يقفون بخشوع مطاطيء الرأس..

رفع شوكت عينه ليشاهد التمثال الضخم المصنوع من الجرانيت والذي يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين متراً ويرى من خارج أسوار القلعة..

السلطان يغمض عينيه و يقرأ الفاتحة على روح أبيه..

أوغل يميل على شوكت بصوت هامس:

"لماذا طلب رؤيتنا معاً؟".

شوكت يهز كتفيه بلا كلام وينظر للدورق المسك به..

السلطان يشير لشوكت بيده دون كلام ودون أن يلتفت أو يفتح عينيه..

يسارع شوكت باعطاءه الدورق المصنوع من الكريستال الصافي المرصع بماس صغير مدلى مثل العناقيد وبه مزيج رقراق من ماء بئر زمزم ممزوج بماء بحر إيجة وماء نهرالنيل..

استنشق السلطان رائحة الماء بقوة ثم قام بسكبه بهدوء على أقدام التمثال كما وصاه والده بأن

يفعل عند كل زيارة للقاهرة..

اخيراً فتح عينيه بعد أن همهم لينطق بصوت قوي دون التفات:

"اصرفوا الحراس".

أشار شوكت للحراس بأن تنصرف وتتركهم دون كلام..

جلس السلطان على أقدام التمثال وقال لهما:

"اقتربا".

اقتربا منه وهم مطاطيء الرأس.. خاشعين من الذل..

متيقنين أنه قرأ في عيونهما ما فعلوه من وراء ظهره طيلة الفترة السابقة..

مسح السلطان بيده القاعدة المذهبة المنقوش عليها.. (***يكبر الأول 1996 – 2042***)..

أمعن النظر فيهما وقال فجأة لأوغل:

"كيف حال التحالف مع القاعدة يا أوغل؟".

بهت أوغل وتلعثم:

"إنها مرحلة مؤقتة فقط يا مولاي كما تعلم..".

السلطان يرد عليه ناظراً إلى شوكت:

"لقد أوضحت لي ذلك في مذكرة رفعتها إلى دون علم شوكت"

نظر شوكت لأوغل ولم يتكلم ملعباً عضلات فكه..

فنظرات السلطان له توحي بأنه (*شرابة خرج*)..

السلطان ويسدد النظر في عيني شوكت بقوة:

"وكيف حال حليفك الهمجي.. الريس.. أما زلت تذهب إليه متخفياً في صورة حفار

القبور وتتصنت باصاري الزرع؟".

بهت شوكت لهذه المعلومات الدقيقة جداً والجديدة..

هذا معناه أن السلطان يعلم عن علاقته بجون أيضاً..

السلطان يتابع ويتابع المفاجئات:

"و أموالك كثرت من توريدك البشر مع حالئين للفرنجة..".

عرق شوكت وأوغل ينظر له وقد فوجئ بهذه التحركات التي يجريها شوكت من وراء ظهره..

لم يكن يعلم بأمر تحالفه مع حالئين.. كما هو اخفى عنه زياراته إلى وليام..

السلطان يتابع بتمتمة:

"أنا لا أثق بهم.. ثمة أمر خفي يدبرونه بخطفهم لهذا العدد".

وقال لشوكت وهو يقوم:

"نصف ما تحصل عليه منهم ترسله لي شهرياً.. مفهوم".

أومأ شوكت برأسه ورد بتلعثم:

"مفهوم.. مولاي.. مفهوم".

وتابع إلقاء القنابل في وجه أوغل:

"وأنت سترسل معه السيف مع أول دفعة.. مفهوم".

أوغل يردد بلا وعي غير مصدق إنه عرف الموضوع:

"السيف؟".

السلطان يرد بابتسامة ساخرة:

"نعم.. سيف جدي.. محمد الفاتح.. صديقك أخبرني عنه".

وأومأ برأسه ناحية شوكت..

ثم انصرف بخطوات هادئة وحرسه يتبعونه..

انصرف بعد أن ترك ناراً مستعرة بين الاثنين..

وشوكت يفكر بالسؤال الملح على تفكيره ويحرق أعصابه:

"كيف تصله كل الاخبار؟ كيف؟".

* * *

منشية البكاري.. قرب كرداسة

شاب عادي جداً.. رفيع.. يرتدي جاكت واسع عليه..

يخرج من منزله حاملاً حقيبة صغيرة على ظهره..

ينفخ في يده لبرودة الطقس في هذا الصباح..

يشير لعربة يجرها حمار تمر من أمام نزله ويصيح:

"نفر واحد.. سسس".

يوقف السائق العربة بالتخبيط على ظهر الحمار بعصا غليظة..

"سسسس".

يلقي الشاب بالحقيبة على ظهر العربة ويساعده أحد الركاب..

تحرك السائق مباشرة ~~

~~ يُنزل الراكب آخر الخط (الطالبية) الموقف القديم..

زحام وبشر كثير وخلق بعدد النمل..

يعطي السائق الأجرة ويشكره..

يأخذ السائق الأجرة ومعها يأخذ..

ورقة صغيرة مطوية ~~

~~"**معاك فكة 1000 بس تكون عشرات جديدة**".

هكذا سأل عجوز ذو وجه مريح السائق وهو يناوله الورقة أم 1000 ويضم ياقة معطفه الطويل لبرودة الجو..

نظر له السائق ودون كلام فكها له وأعطاه النقود ومعها ذات الورقة الصغيرة المطوية ~~

~~ العجوز يركب مع سائق تكتك ويقول له:

"**أبو النمرس**".

يركب دون رد منه أو اتفاق مع الأجرة ~~

العجوز يسيرعلى قدميه في حواري أبوالنمرس ويضع كفيه في جيبيه

~~

من بعيد تراقبه عيون..

العيون تشير لآخرى بالاطباق عليه قبل أن يفلت

~~

في ثوان أطبقت ثلاثة جلاليب بيضاء ولحى كثيفة على الرجل العجوز

ينظر لهم بهلع ولا يتكلم لبرهة ثم ينطق:

"**أنا معملتش حاجة.. وبصلي والله.. انا مسلم زيكوا**".

أحدهم بغلظة ويدفعه لتكتك وقف أمامهم مباشرة:

"**عايزينك ساعات**".

ركب معه لينطلق.. بينما ينطلق الآخران في تكتك آخر خلفه.. يسأل الشاب الرجل العجوز الجالس بجواره:

"وين الورثة اللي معاك يا حج؟".

* * *

ميدان التحرير.. خطاب السلطان..

الميدان مغلق من حركة السير من جميع الجهات..

سرادق معدني ضخم الجوانب مفتوح السقف للسماء أقيم على كل جهات الميدان الكبير..

الدخول يقتصر على رجال الحماية التركية والجالية التركية والضيوف الذين يدخلون بتصاريح وزعت عليهم فجراً في بيوتهم.. ووزعت معها قائمة كبيرة من التحذيرات..

مئات الأعلام التركية تملأ الميدان..

على الأشجار.. فوق أسطح البيوت.. فوق مسجد عمر مكرم..

فوق فندق اسطنبول الضخم المقام مكان ما كان يعرف بمجمع التحرير

كل الداخلين إلى السرادق يوزع عليهم علم صغير..

النداء الثالث والأخير يتردد بالتركية عبرالسماعات الضخمة..

"برجاء الالتزام بالاماكن"

ثم أعيد بالعربية..

يميل السيد كمال على أذن خالد:

"هما اتاخروا ليه.. كدا ساعة زيادة"

خالد يهز كتفيه:

"أكيد اعتبارات أمنية.. فالزيارة تاريخية".

كمال يرجع رأسه للوراء حيث يشاهد فرداني ببدلته السوداء يضرب أحد رجاله على قفاه لأنه ارتكب خطأ ما..

ثم ينظر للحشود العسكرية التركية التي تأخذ جانب كبير من القاعة..

ثم فكر وهو ينظر لخشبة المسرح المرتفعة قدر متر ونصف عن الأرض و التي أعدت بحامل صغير وميكرفون وخلفها ستارة قماش حمراء مصمتة..

وعلم تركيا الضخم على جانب..

وعلى جانب آخر لوحات ضخمة جداً تمثل السلطان ووالده.. والسلطان وبنته الراحلة..

تمتم كمال لنفسه:

"من أين سيأتي؟".

فجأة صوت المذيع ينطلق بقوة:

"السلطان.. يكبر الثاني".

فجأة انشقت أرضية المسرح من المنتصف خلف الحامل ليصعد السلطان فجأة بخطوات سريعة عبر درجات صغيرة مصنوعة كسلم أسفل المنصة..

يحيى الجميع وقد ارتدى عباءة زرقاء مطرزة بالذهب

وعلى رأسه العمامة الضخمة المنفوخة ومزينه بتاجه المميز..

ينطلق الجميع في الهتاف والصياح والتلويح بالأعلام..

رجل معوق بيد واحدة يلوح باليد الأخرى..

آخر مقعد يجلس على مقعد متحرك يحيى بالعلم بحرارة بالغة وعينه تزرف..

شوكت يحيى بعلم صغير وكذلك أوغل وعدسات المصور المصاحب للسلطان تلاحقهما..

مجدي جالس ورائهما وينظر وقد ارتدى حلة أنيقة ورباط عنق أحمر..

تفتح الستارة لتبدو صورته على شاشة ضخمة ذات دقة عالية

خالد ويميل على كمال ويصفق:

"لقد احضرها معه خصيصاً"

السلطان يوجه وجهه شطر كمال ويحيه الذي يحيه بإيماءة دبلوماسية..

فرداني ويحي بالعلم الأحمر ويهرج:

"أهلي.. أهلي.. والله زمان يا ستاد"

السلطان بعد أن هدأوا أشار لهم بالجلوس..

بدأ الكلام مباشرة مرتجلاً من عقله:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.. أحيكم وأحي صبركم الذي طال.."

يقاطعه صوت من داخل الصفوف:

"أطال الله عمر السلطان".

تصفيق منظم وهتاف معتاد من الجميع:

"آمين.. آمين.. آمين"

شعر الجميع بأنهم قد انتقلوا من القاهرة إلى تركيا..

وكأن محدثهم هو أبيه السلطان (يكبر الأول)..

يكمل السلطان وهو ينظر لصفوف الضيوف:

"وأحي الضيوف على حضورهم الكريم"

ونظر نظرة خاصة لمدرج صغير من ثلاث صفوف مخصص لمعاقي الحروب فقط.. من مقطعي الأطراف والمشلولين والعميان..

جميعهم يصغون له بإنصات ويحملون الإعلام..

"وأشكر كل من حضر وساهم لنكون هنا.. هنا في قلب القاهرة.. ميدان التحرير كما يسميه المصريين".

ثم سكن برهة وتطلع للحضور كافة ليكمل:

"أو كما كان يسميه المصريين".

سكن الجميع مع كل كلماته واشرأبت الأعناق وتصاعدت الأنفس مع تصاعده التدريجي فجأة..

يكمل السلطان يقول وقد تأكد من أن الجميع يصغي جيداً:

"من اليوم.. ومن هذه اللحظة.. يتغير اسم الميدان من ميدان التحرير ليكون على اسم قائد التحرير..".

تصفيق وقد فهم الجميع..

"ميدان يكبر الأول".

~~ فجأة حدث اهتزاز عنيف اهتزت له الأرض لثانيتين ~~

~~ صوت معدني قوي لشيء يفتح ~~

~~ السلطان يشير للسماء العالية خلفه ~~

~~ تحدث المفأجاة الكبرى ~~

~~ لم يكن يعلمها أحد من الحاضرين ~~

الأرض فتحت عن فجوة دائرية ضخمة في منتصف الميدان تماماً..

وبهدوء يصعد تمثال ضخم ليكبر الأول..

ممتط صهوة جواده وظهره مفرود بقوة وبأس..

شاهراً سيفه..

بينما الجواد رافعاً يديه في الهواء..

التمثال ضخم بارتفاع خمسة طوابق ومصنوع من البرونز النحاسي وبه نسبة من الأكسيد..

الجميع يصفق بانبهار..

عدا شوكت وأوغل اللذان انكمشا في مقعديهما..

شوكت يسأله بهمس:

"أنت من اعددته سراً؟"

أوغل ويصفق حتى لا يلاحظ أحد صدمتهم الحائرة:

"كنت سأسألك نفس السؤال".

السلطان يتابع بعد أن هدأوا:

"اسم قائد التحرير أولى بمكان وفاته"

عاصفة أخرى من التصفيق الحاد وقد تذكر الجميع وفاة السلطان يكبر الأول بميدان التحرير..

السلطان يكمل وهو سعيد لأن الهدية أعجبتهم:

"هذا التمثال سيظل هنا دليل القوة والسيطرة.. أقولها للجميع.. دليل القوة والسيطرة..

وســ..".

قاطعه صوت سارينة عالية..

سارينة إنذار وتحذير..

حراسه الشخصيين يندفعون عليه ليختفي عن الانظار في لحظة..

الصياح يتعالى عبر الميكرفونات بكل مكان:

"غيمة.. غيمة.. إلى المخابئ"

الحرس يهربون كمال ورجاله سريعاً.. كذلك رجال فرداني ذابوا به في لحظات

شوكت وأوغل اخذوا يرشدون الناس على المخبأ الكبير أسفل الفندق..

صوت فتح الفجوة اتبعه هبوط التمثال الضخم تحت الأرض ثانية..

بدأ الجو يظلم فجأة على غير العادة..

شوكت وأوغل يجرون لمدخل الفندق والناس تصيح من خلفهم وأمامهم

بدأت الزخات في الهبوط مع قعقعات قوية تصدر من السماء..

الزخات تشتد مع تصايح الناس في الميدان الواسع..

يسقط رجل ممسكاً بوجهه المحترق.. لمبة عمود إنارة تفرقع..

أمتار قليلة على مدخل الفندق..

نقطة تسقط على زراع شوكت فيقبض عليه كأن عمود من النار اخترقه

آخرى تصيب أوغل في فخذه فيعتصره وهو يصرخ ويسب..

اخيرا يدخلون لبهو الفندق والحرس يقودهم للسلالم الهابطة لأسفل

يهبطون على السلالم العريضة المزدحمة بالبشر الذين يصرخون وكثير منهم مصاب بحـروق

مختلفة..

والكل يتسأل:

"أين ذهب السلطان؟".

بينما شوكت يسأل نفسه سؤال آخر يلح عليه منذ فترة:

"هل الغيمة جاءت صدفة وقت وجود السلطان؟".

* * *

مدينة الشروق

الفيلا الصغيرة التابعة للقاعدة..

راوي يدفع سطلاً ضخماً مملوءاً بسائل ما بقدمه..

العجوز الذي قبضوا عليه معلقاً بشكل مقلوب أمامه..

ينظر العجوز له بوضعه هذا فيشاهده مقولباً ومحاطاً برجال آخرون ملثمون هم المجموعة التي قبضت عليه..

يبتسم لهم ويكرر:

"لا أعلم عما تتحدث".

يفرد راوي الورقة المكتوبة برموز و أرقام لا تفهم و التي كانت معه

يقول له بتهديد نهائي وقد نفذ كل ما لديه من صبر:

"آخر مرة أسالك.. وين العنوان ده؟"

الرجل يكرر بلا ملل:

"لا أعلم عما تتحدث".

صوت أذان المغرب يأتي من بعيد..

راوي بعصبية:

"أنت بتكلمني بالفصحى ليه.. مشان دئني يعني.. ولا بتتريئ".

العجوز يبتسم ولا يرد ويغمض عيناه كأنه راحل في غيبوبة..

راوي بعصبية من ابتسامته ويربت على وجنته اليسرى:

"يكون.. براحتك".

ثم يشير لرجاله بيده بعصبية بالغة..

ينقضوا على العجوز ليمسكوا بالسلسلة الحديدية الصدئة التي تقبض على قدميه ويقوموا بتنزيلها رويدا رويدا..

تقترب رأسه من السطل ليشتم رائحة بنزين قوية..

يأخذ نفساً عميقاً بسرعة..

يدفع الرجال رأسه لتغمر داخل السطل كلياً.. ثوان من البقللة والفقاعات تملأ السطل..

أشار لهم راوي بأن يرفعوا رأسه..

يشهق الرجل بحثاً عن أي هواء ممكن.. يثني راوي جزعه ليقترب بوجهه منه ويسأله:

"وين العنوان؟".

الرجل يكرر بين اللهاث والشهيق المستمر:

"لا أعلم عما تتحدث".

راوي يمسح وجهه بيده مغتاظاً منه.. ينتصب ويشير لرجاله ويصيح:

"فكوه".

يفك الرجال الرجل ويقلبوه ليعتدل ويجروه حيث راوي واقف أمام (*أورمة*) خشبية كبيرة..

يضعوا كف الرجل عليها الذي بدا الذعر على وجهه..

قام أحدهم بفرد أصابعه الخمسة بشكل مدروس كأنهم معتادون على ذلك

راوي يقول له بالفصحى مشهراً ساطوراً ضخماً:

"سأنشط ذاكرتك".

وبمنتهى القوة هوى بالساطور على أصابعه..

العجوز يصيح عالياً بتألم..

* * *

معسكر حراس المساجد التركي

يقع في منطقة الهايكستب.. أمام مدينة العبور

15 كم شرق القاهرة.. الثانية صباحاً..

المعسكر الهادئ مخصص فقط لحراس مساجد القاهرة الأتراك..

تعمد أوغل عزلهم في معسكر خاص لكونهم من غير الملونين حيث غالبيتهم من أصول كردية..

فرأى من الأفضل فصلهم عن باقي عناصر الجيش التركي..

حتى لا تختلط الأفكار..

خاصة وأن الجنود الأتراك الآخرين كان يعتبرون حراس المساجد من المصريين بعدما رأوا من حسن معاملة المصريين لهم وعطفهم عليهم بما يستطيعوا من أنواع الطعام والشراب وشتى أنواع الإحسان..

حيث يترك الحراس بلا تعيين غذائي والطعام يكون في الوحدة العسكرية فقط..

عكس ما يفعل مع الحراس والجنود الأتراك الموجودين في أي مكان آخر..

حيث يصل تعينهم الغذائي في مكان حراستهم وبانتظام..

المعسكر مقام على مساحة كبيرة فعدد الحراس يتجاوز العشرة آلاف.. والحراسة عليه غير مشددة وتقتصر على نقاط المراقبة التوزعة على الأبراج المعدنية العالية..

وحراسة خفيفة على الأبواب..

على أطراف المعسكر خارج أسوراه وعند نقطة خالية من المراقبة..

صوت دوران معدني خفيض كأن شيئاً معدنياً يفتح بالتدوير..

يفتح بغتة جزء من الأرض الرملية ليرتفع غطاء معدني كبير بقطر مترين تقريباً..

يظهر وجه قاس لمحارب من الأطهار يرتدي عصابة بعلامتين و يبدو إنه قائد المجموعة..

ينظر لنقاط المراقبة على الأبراج البعيدة باستخدام نظارة مقربة ويتمتم لمن خلفه ليوصل الكلام لكل المهاجمين:

"استعدوا".

بهدوء قفز من الفتحة دون صوت وبرشاقة البهلوان ليستل سيفه الرفيع الحاد وقد استعد للاقتحام..

* * *

تتابعات

~~ راوي يقطع بنصر الرجل بمنتهى القوة ليطير بجوار خنصره ~~

مهاجم من الأطهار يهجم بسيف قاطع.. يقطع رأس أحد الحراس وهو نائم في سريره ~~

~~ الرجل يصرخ متألماً ولا يتكلم وهو ينظر ليده ~~

حارس آخر يستيقظ وقد شعر بحركة.. مهاجم آخر يطير رأسه بضربة واحدة ~~

~~ وسطى الرجل يطيران بجوار الخنصر والبنصر ~~

حارس يدخل دورة المياه وهو نصف نائم.. يباغت باثنين من الأطهار يطيران رأسه بضربتين ساحقتين من سيفيهما.. ضربة على يمين الرقبة وضربة على اليسار.. ليتقابل حدا السيفان في منتصف الرقبة المقطوعة ~~

~~ *الرجل ينظر لراوي ولا يتكلم مصراً على رأيه* ~~

دون أي صوت الأطهار يجمعون عشرات الرؤوس المقطوعة في أجولة.. جميعها رؤوس مذعورة أو نائمة أو ذاهلة ~~

~~ *راوي يجمع أصابع الرجل الخمسة بحد الساطور وينظر للرجل المغمض العينين* ~~

أحد رجاله يضع إصبعه على رقبته..

لا يوجد نبض..

ينظر لراوي ويهز رأسه:

"لقد فقدناه".

راوي يستشيط غضباً ويضرب الساطور ليرشق في الأورمة الخشبية الملوثة بكثير من الدماء..

لقد مات العجوز العنيد وهو يبتسم في سخرية و لم يستطع الحصول على إجابة السؤال:

"أين العنوان المكتوب في الورقة؟"~~

~~ بهدوء وكما جاء يدخل قائد المجموعة من الفتحة وهو يبتسم بتشف وقد لوث وجهه بدماء الحراس المذبوحين..

يجر خلفه جوالاً ممتلئاً بالرؤوس لتغلق الفتحة دون أي آثر لوجودها..

ليسطر الأطهار سطراً دموياً آخر في تاريخ الصراع..

الصراع الدموي..

* * *

قلب معسكر حراس المساجد

بعد ذلك بساعات.. قرب السادسة صباحاً..

الحراس كلهم مجتمعون في دائرة ضخمة ويسمعون إلى خطبة حماسية من رجل بمنتصف الدائرة

".. لقد سببت لنا قواتنا التركية كل ما نحن فيه من ذل ومهانة".

الحراس يهزون رؤوسهم ليتابع الصوت الثائر:

"لقد ذبح اخوننا وهم نيام.. ليس هذا فحسب.. ولكن بوجود السلطان على بعد أمتار من هنا.. فهل هذا مقبول؟".

يصيح الجميع بصوت هادر:

"لا".

الصوت الثائر يحمسهم:

"إذن فلنعلن التمرد حتى تحصلوا على مطالبكم.. موافقون؟".

الجميع يهتف بلا تردد:

"موافقون".

يبتسم صاحب الصوت بفم واسع.. يؤرجل شعره الأصفر.. وينظر لهم بعينه الزرقاء.. إنه هاكان..

قائد قوات القاهرة المعزول.. هاكان الداهية..

* * *

قصر الجوهرة

بعد ذلك بساعات.. قرب العاشرة صباحاً..

السلطان الشاب يسير داخل القاعة الكبرى وخلفه حراسه..

السلطان مستشيط غضباً مما بلغه من أخبار معسكر حراس المساجد ويهدر ويهتف ليتردد صدى صوته بالمكان الواسع:

"أيحدث هذا؟ وأنا بين ظهرانيكم".

يهرول شوكت وأوغل داخل القاعة قادمين من المعسكر.. يقتربان منه بخطوات سريعة..

شوكت وهو ينحني:

"مولاي.. حمداً لله على سلامتك".

السلطان يلتفت وينهر أوغل:

"أين كنت وقت المذبحة؟".

أوغل يرتجف من غضبه وقد عرف تاريخه الدموي البطاش:

"مولاي.. كنا نبحث عنك و..".

السلطان ويهز يديه ويصرخ:

"وتركت بني الأصفر يمرغون رأسي في التراب".

ويلتفت إلى شوكت ويكمل صراخه:

"أين كنتم".

يطرق الاثنان دون كلام.. بينما يكمل السلطان بقلب محروق:

"ما الأخبار الآن؟".

شوكت بارتجاف:

"الشعب يسير مظاهرات حول المساجد لأننا اصدرنا أوامر بمنع الصلاة فيها واليوم

جمعة وصلاة الظهر هامة عندهم".

السلطان ويستفسر:

"ولماذا منعت صلاة الجماعة؟".

أوغل يوضح وهو خائف:

"الحراس معتصمون بالمعسكر ولا يريدون العمل حتى.."

وينظر إلى شوكت برجاء أن يكمل ليتابع هو:

"حتى تذهب إليهم وتعلن إنهم مواطنين أتراك من الدرجة الأولى وتحسن أوضاعهم".

السلطان يتساءل:

"معتصمون.. ومن الذي شجعهم على التمرد؟".

شوكت يرد وهومغتاظ:

"قائد قوات القاهرة السابقة.. هاكان.. لقد عزلته من منصبه لتقصيره منذ فترة.. وقد علم بالحادث وتسلل إلى المعسكر خفية واقنع الحراس بالتمرد في لحظات".

السلطان يضرب كفيه ببعضهما ويهتف بدوي يملأ المكان:

"فضيحة.. لقد صار الأمر فضيحة.. بدلاً من أن ألقي خطاباً.. أهرب وتفاجئنا الغيمة.. ثم هذا الذي يحدث.. اخبرني ما أخبار التحقيقات عن الغيمة.. أهي صدفة أم عمل مقصود؟".

نظر شوكت وأوغل إلى بعضهما دون كلام.. السلطان يتابع الاسئلة المحرجة:

"إذن أين ذهبت رؤوس الحراس المقطوعة؟".

شوكت يرد لأن أوغل قد انخرس:

"ما زال البحث جارياً.. لدي فريق خاص يتابع البحث"

السلطان يبتسم بسخرية ويلتفت إلى أوغل:

"وماذا ستفعل في أمر المساجد المغلقة؟"

أوغل يتمتم بلا صوت:

"لدي خطة حراسة بديلة".

السلطان بلا فهم وبتساؤل:

"حراسة بديلة؟"

أوغل يخبره بما فكر به في الطريق من الهايكستب إلى القلعة:

"سنعتمد في حراستنا على طرف ثالث يرتاح له المصريون وأنا أضمن ولائه لنا".

قال ذلك مزدرداً لعابه خوفاً من كشف السلطان لكذبه من مسالة ضمان الولاء..

السلطان بسخرية وهو يفكر في الأطراف الموجودة على الساحة:

"ومن هذا الطرف.. الأوربيون؟".

أوغل يتمتم بصوت خفيض:

"لا يا مولاي.. القاعدة".

السلطان يهب ويهتف به بصراخ مدوي:

"ماذا؟ هل جننت؟ هؤلاء المجانين؟ تسلمهم المساجد ليلتهمونا احياء".

أوغل يقول له الصيغة المناسبة التي توصل إليها:

"سنعقد معهم اتفاقية مشروطة.. بأن المساجد ستكون حراستها وإدارتها في أيديهم وإننا سنراقب كل تحركاتهم عن كثب حتى نجد حل آخر قريب".

شوكت يرد عليه:

"ومن الذي سيضمن لنا عدم استغلالهم للفرصة؟ وما هذا الحل القريب؟"

أوغل ينظر له بتحد:

"القوات التي تعدها من زمن.. المماليك الجدد.. خير جند".

شوكت يرفع سبابته ويحذره:

"إياك وأن تفكر بهذا.. إياك.. مفهوم.. أنا وحدي أملك حق التصرف في هذه القوات.. مفهوم".

ثم تذكر إنه بحضرة السلطان فتابع:

"بعد مولاي السلطان طبعاً"..

السلطان ينظر لهما وقبل أن يرد..

قطع كلامه دخول أحد رجال شوكت المقربين فجأة مذعور ويهتف للجميع:

"كارثة.. لقد وجدنا الرؤوس".

شوكت يسأله وهو قلق:

"ماذا.. أين؟".

الرجل ويكاد يبكي خوفاً من السلطان عندما يعلم:

"في الميدان.. ميدان يكبر الأول"

بهت السلطان وجلس على المقعد ويتمتم:

"ماذا؟".

* * *

محل الشيخ

بعد ذلك بساعة..

راوي والشيخ يتحاوران..

الشيخ بتوتر:

"لقد انقطع الخيط الذي كان سيوصلنا لهؤلاء المكبرين.. لابد من حل آخر".

راوي بتوتر من الأحداث السريعة المتلاحقة:

"لابد من حل سريع للذي يحدث بالخارج الآن".

هتاف المصلين يصل لمسامعهم من مسجد الأزهر..

راوي يسأله وهو يرص البضاعة كأي تاجر يفتح المحل:

"ماذا سنفعل؟ لابد أن نتحرك".

الشيخ يرد وهو يشعل أعواد البخور:

"لقد حدث الأمر فجأة.. ولابد أن نتريث".

راوي يلتفت ويرد بحماس:

"إنها فرصتنا للاستيلاء على المساجد".

الشيخ بعمق أكثر:

"وجود السلطان يدعوني للتريث.. ربما يأمر بسحق كل شيء.. إنه مجنون كوالده.. سأقرر كل شيء قبل الليل".

راوي بقلق:

"وماذا عن صلاة الجمعة؟".

الشيخ وينظر للقادم عليهم بخطوات سريعة:

"يجوز تعطيل الجمع بنزول الخطوب"

دخل الرجل وقد عرفه الشيخ ليقول كلمة واحدة:

"أنت مطلوب للحضور"

كان هذا مخالفاً القواعد الأمنية المتفق عليها مع أوغل..

لحسن الحظ لم يكن هناك زبائن فالجميع منشغل بالمظاهرات الشيخ يتسائل:

"أين؟"

الرجل ملقياً في وجهه مفاجئة لم يكن يتخيلها:

"في حضرة مولانا السلطان.. يكبر الثاني"

الشيخ ينظر لراوي غير مصدق وينظر للرجل الذي تابع بتأكيد:

"فوراً".

* * *

تتابعات

باجا يضحك ويقرع كأس من التان مع سان ~~

~~ الناس متجمعة في الميدان ملاصقين لتمثال يكبر الأول الضخم وتنظر وتضرب كفاً بكف..

باجا يجرع الكأس على مرة واحدة لتدور رأسه ~~

~~ القوات التركية تفرق الناس بالقوة من الميدان.. لقد وصلت سيارة شوكت المصفحة..

قارعوا الطبول عرايا الجذوع يضربون عليها بقوة..

باجا يمسح بواقي المشروب القوي الذي يسبب تنميل للشفاه ويقول:

"الآن يعلم سلطانهم المجنون من هو باجا".

ويهتف للجمع المحتشد في المكان المسقوف والمنشغل بالرقص والشرب:

"ومن هم الأطهار".

الجميع يهتف له ويحييه:

"باجا.. باجا. باجا"~~~

~~~ شوكت يدقق النظر في منظر الرؤوس المرعب..

كانت متراصة على بعضها على شكل هرمي قاعدته السفلية مكونة من 10 رؤوس في كل ضلع من أضلاع الهرم الأربعة ليبدو الشكل كهرم مرعب من الرؤوس المتراصة..

شوكت يأمر الحراس الواقفين:

"لماذا لم تزيلوا هذا العبث؟".

قائدهم يرد عليه وقد شد نفسه:

"الرؤوس ملتصقة ببعضها بصمغ عربي شديد القوة".

يمد شوكت يده ويحاول إزالة أحد الرؤوس بلا فائدة.. التصقت بيداه قطع من الصمغ.. القائد يوضح له:

"سيدي.. الرؤوس ملتصقة ببعضها وملتصقة بالأرض"

شوكت ينصرف ليلحق باجتماع الشيخ صالح بالسلطان ويأمره القائد:

"جدوا طريقة لازلتها سريعاً.. سأمر بعد ساعة.. ولا أريد أن أراها.. مفهوم".

القائد يهز رأسه ولا يعرف كيف سيتصرف ولكنه يرد بآلية:

"مفهوم.. افندم.. مفهوم"

وركب سيارته سريعاً لامحاً التجمع والحشد أمام مسجد عمر مكرم والمطالب بفتح أبواب
~~~

المسجد للصلاة..

تمتم لنفسه والسيارة تنصرف:

"من أين جاءت كل هذه المصائب؟".

* * *

قصر الجوهرة

أوغل يستقبل الشيخ على باب القصر الخارجي داخل أسوار القلعة يهمس له بكلمات قليلة وهو يحييه:

"اقبل العرض كما هو".

لم يفهم الشيخ أي شيء وهو يفكر وأوغل يقوده إلى داخل القصر حيث الرواق المؤدي للبهو الرئيسي..

دخلا حيث السلطان جالس على عرشه ينظر لهما بتشكك وريبة..

تقدم منه الشيخ وقلبه يدق رغماً عنه فلم يكن يتوقع أبدا وقوفه أمامه في يوم من الأيام حياه قائلاً:

"أهلاً بك ومرحباً على أرض القاهرة"

هز السلطان رأسه له دون كلام..

ونظر إلى أوغل بمعنى ابدأ الكلام..

أوغل بدأ مباشرة دون مقدمات:

"لقد جئنا بك اليوم لنعرض عليك شيئاً محدداً ويحتاج لرأيك الآن ودون تفكير".

الشيخ يهز كتفيه ويرد:

"اسمع بودان.. ثم أرد"

أوغل يلقيها له مباشرة:

"نعرض عليك أن تتولى جماعتك شئون المساجد بالقاهرة الكبرى منذ الآن وفوراً ولمدة ثلاث سنوات كاملة".

بدا على الشيخ عدم المفاجئة فلم يهتز له رمش ولا بان عليه أي مظهر حركة..

لم يزد إلا عن قول:

"وما مقابل هذا المن المفاجئ منكم؟"

أوغل يرد وينظر للسلطان:

"المقابل أن تتعهدوا بعدم استغلال المساجد لأية أغراض دنيئة"

الشيخ ويعبث بلحيته:

"وما هي الأغراض الدنيئة لديكم؟ إطالة صلاة الفجر"

أوغل موضحاً:

"لا.. بل استغلال المسجد لعمل تحركات أخرى.. نريد منكم أن تضمنوا لنا سلامة المساجد وإقامة الشعائر بها فقط دون أن تجنح أفكاركم لأية شواطئ أخرى".

الشيخ يتساءل وينظر للسلطان:

"وماذا بعد الثلاث سنوات.. تعود إليكم؟"

أوغل يرد وعينه على الباب حيث دخل شوكت لتوه:

"نعم تعود".

الشيخ ينظر لشوكت وأوغل والسلطان الذي ينظر له ويعبث بلحيته هو الآخر..

كان يفكر بأن الصفقة رابحة بكل المقاييس..

سيسيطر على المساجد الآن وليكن ما يكون بعدها..

ثلاث سنوات كافية بقلب كل الموازين رأساً عل عقب ثلاث مرات..

قال لهم بعد فترة صمت:

"موافق".

تنفس أوغل الصعداء..

السلطان يشير لأوغل ويقول له:

"اخبره عن الشرط الآخر"

أوغل يقول للشيخ مباشرة:

"سنعلن أن ما حدث من غلق للمساجد كان خطأً إدارياً أنتم السبب فيه.. وأنكم اغلقتم المساجد بعدما علمتم إنها آلت إليكم.. وأن جانبنا معذور من أي خطأ"

فكر الشيخ لبرهة في هذا العك ثم تمتم:

"على الرغم من أن هذا الغبن.. موافق"

كان ينظر بعيداً عن هذه الأمور البسيطة.. وبدا أمامه شيء واحد فقط..

مساجد القاهرة..

السلطان يوجه كلمة وحيدة إلى الشيخ.. نظر في عينيه بقوة وقال:

"بروح قسمات.. إن خالفت الاتفاق.. تذبح".

الشيخ لا يرتعد ولكنه شعر بأن هذا الشاب مجنون كأبيه فرد عليه:

"و روح قسمات لا ترضى أن أوقع على ذلك في الاتفاق؟"

وابتسم ابتسامة هادئة..

لتنتهي المفاوضات بتسليم مساجد القاهرة إلى القاعدة في غمضة عين..

لا الأتراك كانوا يتوقعون ذلك..

ولا الشيخ صالح كان يحلم بها ولو بعد معارك طاحنة..

شوكت يراقب عينا الشيخ المتقدتين..

وبدا يشعر بأن هذا الأمر ستكون له تبعات خطيرة.. خطيرة للغاية..

* * *

قصر القبة

بعد ساعات.. قرب الليل

هب السيد كمال من مكتبه واقفاً:

"بتئول إيه.. ده تهريج"

كان الجالس أمامه هو السيد خالد وقد نقل له خبر تبعية المساجد للقاعدة

كمال يرغي ويزبد ويتحدث الفصحى التي يجيدها خالد أكثر لأصوله التركية:

"بالتأكيد هذا تهريج تحرك مفاجئ ودون أسباب.. من الممكن أن يفض السلطان اعتصام حراسه ويحل المشكلة ولكن أن يسلم القط مفتاح الكرار.. فهذا أكبر خطأ".

خالد يخبره بما سمعه من أوغل:

"من رأيهم إنهم بذلك سيريحون القاعدة.. فهذه هي أكبر أحلامها ولن تتوسع عن ذلك"

كمال يجلس و يخرج عدة تقارير:

"خطأ.. أكبر خطأ.. هؤلاء قوم لا يتوقفون إلا عندما تصبح الأرض كلها تلوك أفكارهم.. وفي هذا خطر على الجميع".

ثم وجه كلامه إلى خالد مباشرة:

"أكررها لك.. وهذا خطر على الجميع.. سيستغلون عاطفة الناس الدينية وإقبالهم على المساجد ويزرعون أفكارهم.. الصلوات العادية باتت كالجمع.. هل نص الاتفاق على مواضيع الخطب والدروس وإنها تكون مراقبة".

خالد ويتذكر بنود الاتفاق التي قرأها سريعاً:

"على حد علمي لا توجد نصوص خاصة بذلك تحديداً ولكن يوجد نص يقضي بفض الاتفاق إذا استغلت القاعدة المنابر لأغراض دنيئة".

كمال يقول له بيقين:

"الأيام ستثبت لكم صحة كلامي وعندها ستصبح حرباً نحن في غنى عنها".

خالد يقوم من مكانه ويحيه وينصرف.. وترك كمال غارقاً في أفكاره..

غارقاً حتى آذانه..

* * *

معسكر الهايكستب

قاعة الطعام الرئيسية الواسعة..

هاكان يشد من آزر الحراس:

"لن نتنازل عن طلباتنا.. لا ترضخوا لوجود السلطان بل اعلوا بطلباتكم إلى أعلى سقف ممكن"

كانت الأخبار قد جائتهم أن وفداً سيأتي يترأسه السلطان وشوكت وأوغل..

أحد الحراس يسأله بقلق:

"نخشى أن ينكل بنا ويجعلنا عبرة".

هاكان يرد بحسم:

"أنتم جنوده.. لن يقدر على ذلك ولن يستطيع"

من خلفه ثلاث حراس مشغولون بذبح كلاب مخدرة موضوعة على مائدة نظيفة بناء على أوامر هاكان..

هاكان يقول بتأكيد ويقين:

"وإذا حاول.. لدي خطة للمقاومة"

* * *

معسكر جبل الشيب

معسكر خير جند..

أوغل يقف أمام الحشد الكبير من الجنود أمامه..

كل أفراد المعسكر مجتمعون ليسمعوا البيان الهام الذي جاء به من قبل السلطان

وجوه قاسية لا تعرف الرحمة..

لم تعرف حناناً الأم..

أو عطف الأب..

لم تعرف سوى التدريبات العسكرية والعلوم التكتيكية والحروب النوعية وحرب العصابات وطرق القتال المختلفة..

حتى الحساب درس لهم بطريقة القتال..

رصاصة + رصاصة = رصاصتين..

عشرة أعداء — خمسة أعداء = خمسة أعداء..

كانوا متعطشين للقتال الحقيقي.. وفي عقلهم هدف واحد..

نصرة السلطان ورفع شأن تركيا..

بدأ الحديث على الفور:

"أن الأوان لأداء الواجب"

تصفيق حاد وصفافير من الجميع.. يكمل:

"الواجب للوطن والسلطان.. أمرنا بالتحرك باتجاه الشرق.. حيث الاضراب.. ونكون جميعاً جاهزين لأي احتمالات ممكنة"

~~

حاتم في آخر الصفوف متحمس كقرنائه وإن كان يفكر بعقله:

(هل سنقاتل زملائنا ونذبحهم؟ هل معنى ذلك إنه سيأتي يوم ويقاتلنا فيه زملاء آخرون متعطشون للقتال فحسب؟ هل القتال مطلوب للقتال أم لغرض آخر؟).

~~

كان الجميع يصيح من حوله..

كأن الخروج من المعسكر هو هدفه الأول..

وأوغل ينهي حديثه لهم وينصرف:

"التحرك بعد ساعتين"

* * *

قصر القبة

كمال يصيح بهياج وهو يتحدث في اللاسلكي:

"إيه التهريج ده؟"

ثم أنهى الاتصال..

فكر قليلاً ثم قدر ليرفع الجهاز ويتصل قناة خاصة مؤمنة مع فرداني وانطلق بطلبه على

الفور:

"اسمع بودان.. مفيش وقت.. في تحركات للأتراك ناحية التجمع الخامس ورايحة على الهايكستب.. عايز أعرف عددها وإذا كان السلطان فعلاً معاها ولا لأ.. مفهوم"

~~

فرداني يرد من الناحية الأخرى نصف نائم:

"حاشوف بعنين.. حاشوف".

ويدعك في عينه..

~~

وأنهى كمال الاتصال.. كمال الخبيث الأخبث..

فلو أرسل بعض من رجاله فربما يكتشفون أو يعلم الأتراك إنهم من طرفه وهو لا يريد ذلك..

لا يريد أن يقع في مشكلة مباشرة مع السلطان..

ولكن رجال فرداني يصعب كشفهم ولو اكتشفهم الأتراك فسيقولون إنهم تابعين لفرداني وبذلك يصبح هو بعيداً عن الصورة..

ورجال فرداني لا يعلمون إنه متحالف معه..

ابتسم بخبث ووضع الجهاز على المكتب ووضع ذقنه على المكتب.. في انتظار الأخبار..

* * *

نصف نائم

فرداني يفتح عينيه بصعوبة في وجه رجله الواقف أمامه..

لقد استدعاه فهو خير من يقوم بهذه المهمة.. أمره على الفور وهو مضجع في الفراش:

"بص يا بحلق.. حاتروح دلوئتي لوحدك.. مفهوم مش عايز معاك حد.. تتخفى في أي

مصيبة وتروح ع التجمع الخامس.. بيئولوا في تحركات للتراكوة.. تحركات كبيرة فاهم؟".

بحلق بعينه الكبيرة الواسعة كشخصيات الكارتون:

"فاهم يا ريس.. حاجبلك أرار أبوها؟".

فرداني مغمض العينين:

"روح دلوئتي وتابعني"

يختفي بحلق من أمامه..

بينما يعود فرداني لنومه في السرير ثانية ويعقب على أمر كمال له بسرعة:

"هو فاكرني السكركيرة بتاعته ولا إيه؟".

وتابع ببرطمة ليلحق بالحلم الذي أيقظه منه كمال:

"احنا وصلنا لحد انهي حتة؟"

* * *

على أطراف الهايكستب

خيرجند في أول ظهور لهم بقيادة السلطان التركي يكبر الثاني

حشد هائل من السيارات والفرسان يتقدمهم ثلاثة فرسان مقنعين..

100 سيارة ضخمة مليئة بالفرسان بالإضافة إلى 1500 من الفرسان..

كانوا يسيرون في أول مهمة لهم وهم سعداء لكون السلطان معهم..

في المقدمة الثلاثة فرسان المقنعين..

السلطان.. شوكت.. أوغل..

السلطان لشوكت بسخرية:

"أنت غاضب لتدخلي في شئون قواتك التي صنعتها في سنين"

كانت هذه هي مشاعر شوكت الحقيقية والتي بانت أثناء شجاره مع أوغل أمـام السلطان لكنه اخفى ذلك وقال:

"إنما صنعت لرضا مولاي".

أوغل سعيد بهذا الحوار الذي يذل فيه شوكت أمامه..

لقد كلفه السلطان بالذهاب لمعسكر جبل الشيب وإحضار القوات وفي هذا معنى ضمني بنقل تبعيتهم من شوكت له..

زغر لشوكت ليلاحظ إنه مستشيط غضباً..

التفت له السلطان وهو يرى أضواء المعسكر على بعد وسأله:

"أهذا هو؟".

أوغل يرد وعينه على شوكت:

"بلى يا مولاي.. بماذا تأمر؟"

السلطان يرد ونظرة جنون واضحة ترتسم على وجهه:

"سأخبرك.. سأخبرك عندما نقترب"

~

من بعيد يراقبهما بحلق وقد تخفى في صورة راعي غنم..

كان ماهراً في التقصي دون أن يكشف..

انزوى في جانب ووضع اللاسلكي على فمه بخفاء وقال:

"يا معلم فرداني.. سامعني".

صوت خشخشة فتح الاتصال وشخير المعلم وهو يحلم:

"يوووه.. هو كل شوية حاسيب الفيلن"

* * *

قصر القبة

كمال يغلق اللاسلكي بعدما علم من فرداني الأخبار..

سرح في أفكاره للحظات قبل أن يدق الباب ليدخل سكرتيره:

"السيد خالد وصل".

أشار له كمال دون كلام بالسماح له..

دخل السيد خالد بخطوات بطيئة كعادته.. كان كمال قد طلب حضوره منذ فترة بعد أن أوصى فرداني بمتابعة تحركات القوات التركية..

جلس خالد أمامه ليسأله كمال مباشرة بالفصحى التي يجيدها:

"ما داعي السلطان ليقوم باستعراض القوة في شرق القاهرة؟"

خالد ببرود أسياده:

"أظن إنها ستكون حملة تأديبية"

كمال يشير له بصور موضوعة على مكتبه تصورحادث الغيمة وإحداها التقطت عينا السلطان المذعور.. وصور الرؤوس المقطوعة بميدان التحرير والقوات التركية تزيلها بالتفجير ويرد عليه:

"حملة تأديبية.. ولا حملة استعادة الهيبة"

خالد يضع قدماً على آخري ويشعل سيجارة:

"سمها ما شئت"

كمال يحذره ويتوعد بيده ممسكاً بكريستالته بحجم كرة التنس:

"تصفية حساباتكم على أرضي أمر مرفوض.. ابلغ سلطانك بذلك".

خالد باستهزاء:

"أرضك".

واخذ يردد باستهزاء المقطع الذي كان يردده كمال في بدايات توليته حيث كان يطالب برجيل جميع القوات عن مصر من خلال قصيدة قديمة مشهورة..

"دع سمائي.."

وسحب نفس عميق من السجارة:

كمال يستشيط غضباً من أسلوبه المستفز

ويده تأمره بفتح درج المكتب

وإفراغ 16 طلقة في جسده.. يأمره:

"التدخين هنا ممنوع"..

خالد يقوم ببرود وينظر في عيني كمال:

"إذن سأشربها في الخارج"

وتابع ملقياً برماد السيجارة على السجادة الفارهة بتعمد لينصرف..

كمال يستشيط غضباً ويلقي بالكريستالة بعيداً لتتهشم في الحائط بدوي..

السكرتير يدخل ويسأله بقلق وهو ينظر لشظايا الكريستالة:

"في حاجة يا فندم"

كمال ينفر كالحصان الهائج ويقول بلهاث:

"مفيش حاجة.. مفيش حاجة"

وراح يفكر بعمق.. وفورة انتقام تغلفه..

دع سمائي .. فسمائي محرقة
دع مياهي .. فمياهي مغرقة
واحذر الأرض ..فأرضي صاعقة
هذه أرضي أنا ..
وأبي ضحى هنا ..
وأبي قال لنا ..
مزقوا اعدائنا ..
أنا شعبي وفداء وثورة ..
ودم يصنع للإنسان فجره ..
ترتوي أرضي به من كل قطرة
وستبقى مصر حرة ..
مصر حرة ..

تغلفه تماماً..

* * *

الهايكستب.. أمام معسكر الحراس

جندي يشعل آخر مشعل بطرف مشعل آخر..

يعطي التمام لقائده:

"تمت عملية الإضاءة يا فندم".

القائد يعطي التمام لأوغل..

السلطان ينظر حوله حيث الأرض مضاءة بمئات المشاعل الضخمة

السلطان واقف على الأرض وبجواره شوكت وأوغل على مسافة من الباب المغلق بإحكام..

وخلفهم القوات جاهزة على أهبة الاستعداد..

السلطان يأذن لأوغل بالحديث..

أوغل يمسك بجهاز متصل بمكبر صوتي ضخم جداً بحجم الثلاجة..

وعلى رأس الجهاز جندي يدير مانفلة باستمرار وبشكل رتيب.. أوغل يتحدث في الجهاز ليظهر صوته ضخم مخيف مهتز:

"يا هاكان.. السلطان يأمرك.. دقيقتين وإلا اقتحمنا المعسكر".

~~~

صوت هاكان القوي من وراء الباب دون مكبرات:

"نريد التفاوض مع السلطان مباشرة.. لن تفتح الباب إلا ليدخل للتفاوض"

هاكان ينظر من فتحات ضيقة عبر الباب ليرى القوات المحتشدة.. أحد قادة الحراس بجواره ويهمس له:
~~~

"نفتح لهم".

هاكان يمسك رأسه بعصبية ويضع عينيه أمام الفتحة الصغيرة ويهمس:

"انظر".

نظر القائد حيث القوات متحفزة في انتظار إشارة الاقتحام..

قال لهاكان غير مصدق:

"إنهم في وضع هجومي وسيقتحموا المعسكر".

~~

السلطان يشير لأوغل بمعنى انتهاء المهلة..

أوغل يرفع الجهاز إلى فمه.

~~

هاكان يسمع لكلام أوغل القادم مع صفير الرياح:

"لقد انتهت المدة يا هاكان.. سنقتحم المعسكر"

هاكان يشير للجنود المرابطين بسلاحه الآلي في أماكن خفية ويصفر بإشارة متفق عليها..

صفارة آخري تجيبه.. ليختفي وقائد الحرس..

* * *

خير جند.. اقتحام

~~ جنود يجرون ثلاث مدافع من نوع قديم جداً الذي استخدمته مصر في حرب أكتوبر في موجهة الباب الضخم للمعسكر ~~

~~ بإشارة من أوغل يجذب الجندي الرابط على المدفع الأول حبلاً قوياً لتنطلق الطلقة الضخمة لتهد باب المعسكر وجزء من السور ~~

~~ السلطان يبتسم في زهو وانتصار ويقضم تفاحة نضرة ~~

~~ يشير أوغل للمدفع الثاني الذي يقصف يمين الجزء المهدم من السور الحجري لتتسع الفجوة وتتكشف أجزاء من أرض المعسكر ~~

~~ المدفع الثالث يقصف يسار البوابة وجانب من السور الحجري ليهدم جزء واسع من السور لتتكشف أرض المعسكر بفتحة اتساعها 15 متراً تقريباً ~~

يكبر الجنود بهياج:

"يكبر أكبر.. يكبر أكبر".

فرحين بتحطيم البوابة وقد شهروا مدافعهم وسيوفهم.. كان هذا يفرق عن أي تدريب أو محاكاة قاموا بها من قبل..

إنهم الآن يقتلون زملائهم..

أوغل يصيح فيهم:

"خير جند.. اقتحاااام"

لتندفع السيارات الضخمة المصفحة وخلفها الفوارس ومن خلفهم الجنود الراجلون وهم مستمرون في الهتاف القوي:

"يكبر أكبر.. يكبر أكبر".

* * *

مقر حالئين بالطرية

جلسة خاصة..

بين الريس ونخلة والإمام ويعلى لبحث تطورات الموقف الراهن وكيفية الرد على تحركات الصينيين ومن ورائهم الأطهار و ما يفعله الأتراك..

الزرع اختفى تماماً بعد أن أمر الريس بوضعه عند ضريح عم سعيد..

الريس يرفع قدمه على الكرسي الضخم ويهرش بين أصابع قدمه:

"معناتوا إيه اللي بيحصل ده يا حج مخيمر؟".

الإمام وقد فهم طريقة الريس تماماً:

"معناتوا مش زين.. مش زين خالص".

الريس ويشم الرائحة العطنة لما بين أصابع قدمه ويعلى يشمئز:

"كيف يعني.. اشرحلي".

ويلتفت إلى يعلى وقد لاحظ اشمئزازه:

"لمواخذة يا أبو الهول.. أصل أنا مئرف بطبعي"

الإمام يرتاح في جلسته ويشرح له بهدوء:

"هناك تحركات خانقة على عدة محاور.. الصينيين ضربوا ف الأتراك في وجود السلطان.. والأتراك يخبطون وذاهبون إلى تصفية حسابات داخلية لمداراة الموقف وقد تركوا المساجد للقاعدة وهذا يضر بنا أيما ضرر".

نخلة يسأل بينما اختلط كل شيء قاله الإمام بعقل الريس:

"كيف يعني؟"

بينما الريس تاه لأنه لم يفهم معنى تصفية حسابات وظن أن بالأمر تجارة مشتركة بين الأتراك والصينيين..

يعلى يشرح له وللريس ويبعد انفه عن رائحة قدم الريس:

"خطتنا الرئيسية تعتمد على شقين.. جانب كسب الأرض وقد نجحنا في جزء بسيط

وهو الميناء.. وجانب كسب القلوب.. وباستحواذ القاعدة على المساجد تكون قد كسبت القلوب ولا شك.. وهي ماهرة في هذا الجانب جداً.. استغلال المستوصفات الطبية.. المدارس الملحقة بالمساجد.. الأنشطة الخيرية".

وتنفس الهواء المعبأ برائحة عطنة لا تطاق..

بينما نخلة يهز رأسه وقد فهم..

الإمام يكمل الملحوظة الأخرى ويشير لقصاصات الجرائد التي يجمعها الريس عن فرداني من أجل البصق على صورته:

"وكذلك تصعيد فرداني هدفه الضرب في جماعتك.. هذا واضح.. فهي المقابل الذي يدفع به في وجه المجتمع لتقبله".

الريس لا يفهم.. ونخلة يترجم على طريقة فؤاد المهندس:

"يعني سبكوا من حالئين وخدوا فرداني"

الريس يستشيط غضباً:

"الخواتي المركوب.. عامل فيها بني آدم.. البرص".

الإمام يشير بإصبعه ناحية الصور المبللة بالبصاق:

"البصق على صورته وتقطيعها لا يكفي.. لابد من عملية مشتركة جديدة.. نكسب بها مزيد من الأرض.. ومزيد من القلوب".

الريس يشير له:

"إيدي على.. إيدك يا حج مخيمر".

الإمام لا يفهم الكلمة ويقوم بفرد ورقة كبيرة على الأرض ويقول:

"هذا هو مخطط هندسي لمزارع الفول الصيني"

يمسك الريس يده ويسأله بغتة وقد تذكر شيئاً هاماً:

"بس ئولي الأول يا حج مخيمر".

الإمام ويعلى وكذلك نخلة ينظرون له بترقب..

الريس يسأل الإمام عن أهم شيء الآن وهو يقترب منه بوجهه:

"جبت الأفيون".

* * *

جامع الأزهر.. أعلى المئذنة الرئيسية

راوي ممسك باللاسلكي ويعطي التمام للشيخ:

"كله تمام.. كل المواقع".

صوت الشيخ يؤكد عليه من نقطة آخري لا يعلمها راوي نفسه:

"مش عايز أية اخطاء والوقت يكون متزامن.. عايزنها بداية قوية"

كان الشيخ يريد إعلان الاستحواذ على المساجد من خلال كلمة عامة يوجهها لجميع مساجد القاهرة عن طريق ربط سريع تم بين 800 مسجد في مختلف أنحاء القاهرة الكبرى.. ليلقي بالكلمة على الهواء مباشرة لتسمع في كل المساجد.. ومن مكان لا يعلمه أحد..

راوي وينظر في الساعة.. التاسعة والنصف مساءا تماماً..

قال للشيخ بصوت حاسم:

"الآن".

وضغط على زر أحمر في منتصف جهاز ضخم موضوع على سور المئذنة..

صوت الشيخ ينطلق على نحو مفاجئ في شتى أرجاء القاهرة:

"الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر ولله الحمد.. صدق وعده ونصر عبده.. وهزم الأحزاب وحده.. سبحانه"~~

محمود وعم إبراهيم يتركان العمل ويصغوا بإنصات للصوت القادم من مسجد قريب من الميناء..

كل العاملين يصغون.. حتى المغاربة الذين لا يجيدون العربية

"سبحان من وحد الأصوات.. وأعطى الصفات.. كل شيء عنده بثبات"

~~

يعلى والإمام والريس ونخلة يصغون والصوت يتردد في أنحاء المطرية..

الناس كلها فتحت الشبابيك لتصغي للصوت المتردد في كل مكان..

"الحمد لله الذي هدانا بهداه.. ووفقنا لخير العمل والوصول لمبتغاه"

~~

جون وأمه يتناولون العشاء على مائدة ضخمة بمقرهم بقصر عابدين..

جون يقف و يطلب استدعاء مترجم على وجه السرعة..

~~

الشيخ يتحمس وينطلق كالمدفع ليملئ صوته الأرجاء:

"نصر من الله وفتح مبين..

نصر من الله وفتح مبين..

نصر من الله وفتح مبين"..

وانشأ قائلاً بما جال بخاطره ليطمئن الناس ويطمئن السلطان:

"ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي

ولا اخشى من صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو أوعدته

لمخلف إبعادي ومنجز موعدي"

وأخذ يمسح عرقه المتصبب بغزارة..

* * *

معسكر حراس المساجد

جنود خير جند يتقدمون عبر البوابة والسور المحطم..

يتقدمون على شكل صف طويل يليه آخر يحميه..

لا شيء.. الهدوء يسود المكان كأن المعسكر فارغ من قاطنيه..

شوكت وأوغل يتقدمان معهم وعينهم الحذرة تجوب كل مكان..

كانت السيارات والخيالة قد سبقتهم إلى أطراف المعسكر الكبير بحثاً عن الحراس الذين اختفوا تماماً من المشهد..

فجأة يطير كيس ضخم لينفجر وسطهم..

يسارع الجميع بالهبوط بشكل مدروس على الأرض وهم يحمون وجوههم من الانفجار المحتمل..

لم يحدث شيء.. فقط مادة حمراء ذات رائحة نفاذة طازجة..

فجأة انطفأت أضواء المعسكر بالكامل ليسود الظلام..

أوغل يشتم الهواء وقد عرف إنها رائحة دم طازج فحذرهم:

"احذروا الكلاب ستهجم".

بالفعل ما أن أكمل كلامه حتى فوجئوا بجيش من الكلاب الصامتة المتوحشة تهجم عليهم من كل صوب..

مزيد من الأكياس تهبط عليهم بتتابع مدروس وفي أماكن محددة..

الكلاب تفتك بالجنود الذين يتراجعون وهم يطلقون عليها النار بعشوائية ويضربوها بالسيوف..

الكلاب معظمها بلون أسود فلا تظهر بسبب الظلام المنتشر بالمعسكر

عشرات الإصابات حدثت بالجنود..

ومات اثنين من كثرة العض..

أوغل ويأمرهم بسرعة ويضرب كلب مهاجم بالرصاص في رأسه:

"تراجعوا.. تراجعوا"

يتراجع خير جند وهم يطلقون الرصاص بعشوائية..

جندي يصاب بحالة عصبية وراح يطلق النار على من حوله فأردى ثلاثة من زملاءه..

صوب أوغل بين عينيه وأطلق النار ليسقط الجندي صريعاً

~~~

من الخارج يراقب السلطان الموقف وهو يرى الإصابات والكلاب التي تهجم على الجنود بلا هوادة وهم يتراجعون ويتمتم بغضب:

"هاكان.. ملعون في كل كتاب"

* * *

على بوابة ميناء إمبابة

محمود وعم إبراهيم خارجين بعد يوم عمل طويل..
~~~

اختتم بخطاب الشيخ صالح المفوه والذي أوضح فيه تبعية المساجد لجماعته..

محمود يراقب التواجد الكثيف للرجال المغاربة وحركة الجنود الأتراك العصبية في المكان ويقول لعم إبراهيم:

"لاحظت أن النهاردة مفيش تكبير زي كل ليلة؟"

عم إبراهيم ويناوله بعض من البسكوت:

"ما الراجل بتاع القاعدة اللي اتكلم ف المكرفونات في نفس وئتهم"

عم إبراهيم يتنهد ويفكر في كل شيء:

"البلد كلها مابئتش بلدنا.. بياكلوها حتة حتة زي البسكوت ده"

وقضم البسكوتة بيده..

محمود يتنهد مثله ويشير لتك تك عابر ليأخذهم في أي مكان بعيد ليكملا السهرة حتى الصباح:

"حنعمل إيه يا عم إبراهيم.. حانعمل إيه"؟

* * *

أمام معسكر الهايكستب

خيمة السلطان..

أوغل يتلقى علاجاً على يد حاتم لجرح أصابه من عضة كلب في ذراعه.. يتمتم وهو يتألم لوضع حاتم كحول على ذراعه:

"الكلاب.. لابد من حل".

حاتم ويعطيه حقنة أعلى كتفه بسرعة:

"لقد استعجلتم الهجوم عليهم"

أوغل يتعجب من جراءته عليه ويقول له باستهزاء:

"وكيف كان من الممكن أن نقوم بالهجوم عليهم أيها القائد؟"

يزدرد حاتم الاستهزاء ويضع المحقن القطن جانباً ويقول بهدوء:

"كان لابد من إرسال طليعة استكشافية صامتة تستكشف تحركات الخصم وتقدر قدرته الدفاعية وعليها يتم تحديد طريقة الهجوم".

من على باب الخيمة يفاجئهم صوت:

"ما اسم طبيبنا الهمام؟".

بهت حاتم للصوت والتفت فإذا هو السلطان نفسه.. رد حاتم بتلعثم:

"طبيب مقاتل.. حاتم توفيق.. مولاي السلطان".

السلطان يتفحص في وجهه ويتذكر ما لديه من معلومات:

"رفيق سابيان ومعاونه الذي يحبه ويبالغ في مدحه في تقاريره السرية".

حاتم متعجب من دقة المعلومات ويرد:

"أمر مولاي".

اقترب منه السلطان ليشم حاتم أطيب رائحة عطر شمها في حياته بخلاف النوع الموحد الذي يوزع عليهم..

صوت المعارك الضارية ونباح الكلاب يأتي من داخل المعسكر.. السلطان بذكاء عالي لاحظ تشممه للهواء:

"أأعجبك عطري الخاص؟"

حاتم يخفض عينه في الأرض خجلاً.. يضحك السلطان وينظر له ولأوغل و حاتم ويقول له:

"لو قضينا على هؤلاء الليلة.. سأعطيك زجاجتي الخاصة".

أحد القادة يدخل وينظر للسلطان وأوغل ويقول بتوتر:

"مولاي.. سيدي".

السلطان يرد عليه:

"ماذا.. هل انتهت المعركة؟"

القائد يزدرد لعابه من الخوف ويقول:

"لقد تم تطويق قواتنا بالداخل"

السلطان غير مصدق ويقول له:

"ماذا تقول؟"

القائد يكمل له المفاجئة الكبرى:

"القوات مطوقة.. والسيد شوكت محاصر"

* * *

وادي جدعا.. مقر القيادة الأوروبي

جون والقادة الأوربيين مجتمعون في لقاء خاص.. جون اخبرهم بمفاجأة غير متوقعة وغير محببة إليهم بالمرة..

مفاجأة تحالف الكوبيين معهم منذ اليوم!!..

القائد بلي كستر يعبث بشاربه الكث الأحمر ويسأل بتوتر:

"سيدي.. عفواً ولكن ما فائدة هذا التحالف؟".

وليام يزيح خصلة شعره الأسود ويرد عليه:

"فائدته إنه سيعطينا قوة في مواجهة التحالفات الموجودة على الساحة"

القائد الآخر ذو اللكنة الانجليزية يرد:

"ولكن الكوبيين منحازين للصينيين وهم ألد عدائنا.. أهذا معناه إننا سنتحالف معهم؟"

جون بتأكيد يردد:

"(لكني أقول لكم أيها السامعون: أحبوا أعدائكم ،وأحسنوا إلى مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ،وصولوا لأجل الذين يسبون إليكم) الكوبيين معزولين عنهم بكل تأكيد.. لقد أكد لي المبجل ذلك"

بلي كستر متعجب من تدينه المفاجئ:

"المبجل قائدهم.. وهل التقيت به؟".

طرق الباب ليدخل يحيى..

الجميع متعجب من وجوده بمقر القيادة المحظور على الأجانب تماماً أن يدخلوه

يقترب من جون دون أن ينظر لهم أويحيهم ويقرب فمه من أذنه ويحدثه بهمس:

ينظر جون له وقد تفاجئ مما قاله.. يعتدل ويقول لهم بابتسامة تشفي:

"يبدو أن الليلة ستكون طويلة أيها السادة.. اطول مما نتوقع".

ينظر الجميع له وليحيى الذي يبادلهم النظرات القوية المتحدية ليفاجئهم جون بمعلومات جديدة:

"شوكت محاصر في معسكر الحراس.. تكهنات بأنه قتل أو اصيب"

* * *

معسكر الحراس.. داخل قاعة صغيرة

شوكت مستلق على الأرض ينزف من جنبه بغزارة..

أحد الجنود يحاول إسعافه بينما ضابط آخر يسترق السمع خلف الباب المغلق

كمية الدماء على الأرض من الباب حتى مكان استلقاء شوكت لا تنبئ بخير..

يتلقون اتصالاً على جهاز شوكت الذي يرفعه على أذنه بيد ملوثة بالدماء

أوغل على الطرف الآخر يصيح:

"أين أنت.. هل أنت مصاب؟"

بوجهه الأصفر يرد شوكت:

"نحن محاصرون عند أقصى الطرف الغربي في مخزن صغير قرب المطبخ.. سيكتشفونا خلال دقائق.. لقد استعدوا جيداً"

وبدأت عيناه في الدوران.. الضابط التقط منه الجهاز وقال لأوغل:

"سيدي.. إنه بحالة حرجة.. حاولوا الوصول إلينا بأقصى سرعة"

من خارج الغرفة يأتي صوت هاكان الذي يمر مع بعض الحراس:

"هل فتشتم هذا المخزن.. ربما يكونوا مختبئين فيه"

الضابط يتجمد وكذلك أوغل الذي سمع بعض الكلام بصعوبة..

صوت اقتحام وتبادل إطلاق النار.. صوت ارتطام الجهاز بالأرض..

أوغل يصيح وقلبه يدق فخسارة شوكت لن تكون بسيطة بأي حال من الأحوال:

"ماذا يحدث لديكم؟ هل تسمعني.. اجب فوراً".

ولكن.. اجابه هذه المرة شيء واحد فقط..

الصمت..

الصمت التام..

* * *

خارج خيمة السلطان

السلطان ثائر ويتحرك أمام الخيمة جيئة وذهاباً وأوغل وحاتم وبعض القادة في انتظار أوامره..

يحدثهم ويحدث نفسه بهياج:

"الكلاب.. الكلاب.. هذه الكلاب".

ثم نظر لهم وقد توصل لحل جنوني:

"أتدرون ما حل هذه الكلاب؟"

نظر الجميع له غير ناطقين بأية كلمة ليتابع:

"الحل هو هذا".

ومد يده بسرعة والتقط أحد المشاعل الموضوعة على عامود لتضيء جوار الخيمة..

الجميع يتحفز ويستعد لما سيقدم عليه السلطان..

بدأ في الركض بسرعة باتجاه البوابة شاهراً سيفه وهو يصرخ بجنون كأبيه:

"هجوووووووم".

أجفل الجميع للحظة وهم يرون سلطانهم يهجم على المعسكر وحده بسيفه ومشعله..

ثم تبعه أوغل المجروح وهو يصيح:

"يكبر يكبر"

وحاتم استل مسدسه وباقي الجنود شاهرين أسلحتهم..

حتى المجروحين منهم يركضون ودمائهم تنزف..

من بعيد تراقبهم عيون ليرفع صاحبها اللاسلكي إلى فمه ويقول:

"يا معلم فرداني.. سامعني"

* * *

قصر المنصورية.. غرفة الأم مارثا

قرب الفجر وضوء الصباح يبدأ في الدخول من الشباك والهواء اللطيف يحرك الستائرالبيضاء الشفافة..

مارثا تكح بوهن واضعة يدها على فمها لتكتم الصوت قدر المستطاع بينما صوت أقدام سريعة تقترب من غرفتها..

يدخل جون مسرعاً يتبعه شيه المبجل..

مارثا واهنة واللون الأبيض يكسو وجهها كأنها كبرت ألف عام في اليومين اللذان غاب عنها.. ترفع يدها المرتعشة وتقول له:

"لماذا أتيت؟".

ثم التفتت إلى شيه:

"لماذا أخبرته؟".

مزيد من الكحة التي تنبأ بأن الوضع ليس على ما يرام تماماً..

جون يجلس على ركبه ملاصقاً لرأسها ويحسس عليها بحنان ويقول:

"الطبيب قادم حالاً".

مارثا تمسك يده بقوة لا يعلم من أين أتت بها وهي على هذه الحال وتقول:

"لا داعي.. لا داعي".

ثم تذكرت شيئاً فسألته:

"هل اخبرتهم بانضمام الكوبيين؟"

هز رأسه بإيجاب وابتسامة رضا ترتسم على وجهها ليزيد وجهها ضياءاً..

طرق الباب بلطف ليدخل الطبيب العجوز ذو عوينات دائرية وحقيبة صغيرة ويحيى جـون الذي يقوم ليفسح له مجالاً لفحصها ويقول:

"تفضل دكتور رانيل".

وضع دكتور رانيل الحقيبةِ على السرير وهو يبتسم إلى مارثا ويحيها:

"يوقظوني في هذا الصباح الباكر لأرى الجمال فيتحسن يومي".

مارثا تبتسم بوهن لمجاملته الواضحة..

بينما وضع هو السماعة على أعلى صدره واستمع وهو مغلق العينين..

فتح عينيه وابتسم لها قائلاً:

"يبدو إنك تحبين الموسيقى الحالمة.. قلبك الرقيق اخبرني".

ثم التفت إلى جون وقال له:

"سأخذ منك ضعف الأجرة لأنك اتعبتني دون طائل.. ستحتاج للراحة لا أكثر".

ثم أغلق حقيبته وانصرف..

لحق به جون خارج الغرفة والق الباب ليتبدل وجه الطبيب إلى وجه قلق للغاية ويقـول لـه بآسف:

"الحالة متآخرة.. نطلب لها الرحمة جميعاً".

جون لا يصدق وعينه تمتلئ بالدموع..

يجلس على الأرض ويمسح وجهه بكفيه..

* * *

معسكر الحراس.. قاعة الطعام الرئيسية

الحراس يضعون أسلحتهم على الأرض ويرفعون أيديهم لأعلى مستسلمين وهم مرعوبين مـن

الشخص الذي يدخل عليهم..

كلب صامت يجري عليه بسرعة من الخلف.. يده الحاملة للمشعل تدار بسرعة لتحرق الكلب الذي يعوي ويجري بعيداً..

يبتسم السلطان وهو فرح ورائحة الشعرواللحم المحترق تملأ المكان..

أوغل يسير بجواره يحميه وحاتم من الناحية الأخرى بينما الحرس السلطاني يدخل القاعة ويلمون أسلحة الحراس..

لقد أنهى السلطان التمرد بنفسه وبمبدأ قتالي مجازف..

فلن يقوم الحرس بقتله وسيخافون ويستسلمون بمجرد رؤيته بينهم..

تقدم قائدهم منه وحياه وركع على ركبتيه وقال بخفوت:

"مولاي السلطان".

أوغل سأله مباشرة:

"أين شوكت؟ وأين هاكان؟".

القائد ينظر للسلطان ويرد بخوف:

"السيد شوكت نقلناه إلى العيادة قبل أن يتهورعليه هاكان بسيفه.. أما هاكان فقد اختفى بعد أن رأى مولاي السلطان قادم بنفسه عبر البوابة".

أوغل يتمتم بغيظ:

"هرب الجبان".

ثم التفت إلى السلطان:

"آتاذن لي يا مولاي بتتبعه؟"

نظر السلطان له وقال وهو ينظر في الأفق من نافذة المطعم الواسعة:

"لن تلحق به.. سيختفي عن الانظار تماماً.. إنه ماكر كوالده"

يبدو أن السلطان يعرف تاريخ أسرة هاكان..

شغف أوغل بمعرفة هذا التاريخ..

السلطان ويشير لحاتم:

"دعنا نآخذ شوكت وننصرف".

أوغل ويشير للحراس الجالسين على الأرض بأوامر من الحرس السلطاني:

"وماذا سنفعل بهؤلاء؟".

السلطان ينظر إليهم ويصدر أمره بالغ الغرابة:

"سأخذهم جميعاً معي".

نظر الجميع إلى بعضهم غير فاهمين الوجهة التي يقصدها السلطان فتابع ونظرة غموض تبدو بعينيه:

"إلى اسطنبول"

* * *

الجامع الأزهر.. قرب الضحى

خمسة من علماء دين يرتدون ملابس الأزهر المميزة.. الملابس نظيفة كإنها لم تلبس منذ فترة.. يسيرون بخطى ثابتة ناحية المكتب الرئيسي للمسجد والخاص بشيخ الأزهر..

يقتربوا من الباب الواقف أمامه شابين ذوو لحى كبيرة وجلاليب قصيرة..

تعرف أحد العلماء احدهما فقد كن تلميذه فيما مضى منذ سنوات بعيدة.. لكنه لا يستطيع نسيانه لعناده المستمر معه..

قال له العالم الكبير في السن:

"عندنا ميعاد مع صالح يا رامز".

رامز ينظر لعالمه بتحد ويصحح له:

"اسمي أبي اليزيد والشيخ صالح سيقابلكم بعد أن يفرغ من صلاة الضحى".

ويتابع باستهزاء ناظراً لشيخه:

"يا.. عم محمد"

الشيخ محمد ينظر لتلميذه بتحد..

كان الشيخ صالح قد اتخذ من جامع الأزهر مكتباً دائماً له..

حيث أعلن عن شخصيته دون مواربة بعد أن دانت له مساجد المحروسة كما يفضل تسميتها..

انتظر العلماء لدقائق حتى أذن لهم بالدخول بعد أن فتشهم الشابين جيداً

أبي اليزيد يفتش الشيخ محمد بقوة الذي يقول له بقرف:

"كبرت يا تفة".

ثم بصق في وجهه لترتطم البصقة بعيني الشاب الذي يهم بالفتك به لتمسك يداه يد أخرى قوية وتقول بصوت حازم:

"عيب.. دول ضيوفنا مؤكد".

نظر الشاب بإجلال لصاحب اليد ولم يرد ونظر في الأرض وقال:

"الشيخ".

الشيخ صالح وقد فرغ من صلاته..

يتبعه توفيق الذي بات ملاصق له على الدوام وأصبح من المقربين..

دخل الشيخ صالح وتوفيق إلى المكتب ليشير أبو اليزيد لهم ويقول:

"اتفضلوا"

دخل العلماء الخمسة ليغلق الباب والشابين يحرسان الباب..

ويحاولان استراق السمع..

ماذا يريد علماء الأزهر المنحلة جامعتهم منذ سنوات بقرار تركي أوروبي من زعيم القاعدة؟

* * *

قصر الجوهرة.. المشفى السلطاني

كان المشفى صغير ولكنه يضم نخبة من أفضل الأطباء في كافة التخصصات..

داخل غرفة صغيرة.. شوكت مستلق في سرير أبيض وبجواره حاتم يتأكد من انتظام نبضه..

يهم بالانصراف.. طرق الباب ليدخل مجدي حاملاً باقة أنيقة جداً من الزهور الأوروبية..

باقة تليق بالمظهر الجديد الذي أصبح عليه..

كان يرتدي حلة فاخرة من الصوف الانجليزي الفاخر وحذاء ايطالي أنيق.. ويحمل في يده عصا أنيق يتكأ عليها بعرجة بسيطة من اصابته..

والأدهى إنه قام بصبغ شعره بلون أصفر ليصبح مثل شوكت وقد ارتدى نظارة سوداء معتمة..

بتركية حياه حاتم:

"هوش قولدينيز.. هل جئت لزيارته؟".

اجابه مجدي بابتسامة وهو يخلع النظارة:

"بعد إذن حضرتك".

حاتم فوجئ إنه مصري وسمح له بدخول القصر:

"حضرتك مصري؟".

مجدي ينغاظ منه وينظر في عينه مباشرة:

"وده في حاجة غلط؟".

أيقن حاتم أن هذا الشخص من المتعاونين المقربين وإلا لما سمح له بالدخول إلى هنا..

شوكت يفتح عينيه بصعوبة ويرى مجدي..

كانت هذه هي أول مرة يراه بهيئته الجديدة.. ابتسم بوهن وقال:

"حالك تبدل يا مجدي.. من يراك الآن لا يراك عندما كنت تتوسل الوظيفة".

ثم أشار لحاتم بالانصراف.. الذي انصرف وهو ينظر لمجدي نظرات استفسارية..

شوكت وهو يفكر في الآذن الذي وصل بها مجدي للقصر السلطاني ثم قال له وهو يعتدل بصعوبة:

"أنت من كان ينقل الأخبار إلى السلطان؟"

مجدي يعاونه ويضع مخدة وراء ظهره ليجلس ويرد عليه بتخابث:

"أنا؟ أية أخبار يا شوكت.. بك؟"

شوكت يحاول القيام ويتوعده:

"سأقتلك.. اقسم أني سأفعل".

مجدي يبرز شارة ذهبية مخصوصة مطبوع عليها وجه السلطان ويضعها أمام وجهه ويقول له:

"احذر يا هذا.. أنا احمل هذه الآن".

بهت شوكت ولم يصدق عيناه..

إنها شارة (*السماحية العالية*) المخصصة للمقربين من السلطان فقط..

وقلة قليل جداً من خارج تركيا وكلهم أتراك..

هذا هو أول خرق للقاعدة على حسب علمه..

الشارة التي يصرح له فيها بدخول أي مكان والسؤال عن أي شيء وفعل أي شيء..

صاحبها يكون فوق مستوى الوزراء والسفراء..

شوكت وأوغل لم يحصلا عليها إلا منذ فترة قريبة بعد موقعة الشرف (2044)..

هذا معناه أن مجدي بات من المقربين..

ولابد من إنه نقل للسلطان كل الأخبار.. زاغت عينا شوكت من المفاجأة ومن الإرهاق..

قال له وهو ينام ثانية:

"لنا حديث عندما استيقظ. لنا حديث".

وأغمض عينيه لينام بسرعة البرق..

مجدي يخرج وردة حمراء زاهية ويشمها ويقول:

"بالتأكيد".

وعينه مليئة بالغموض والتحدي.

* * *

جامع الأزهر.. مكتب الشيخ صالح

الشيخ صالح جالس على رأس مائدة طاولة بيضاوية وبجواره توفيق

العلماء الخمسة متحلقون حول المائدة.. يبدأ الشيخ محمد وهو أكبرهم واجلهم الحديث:

"احنا عايزين حقنا يرجع يا شيخ صالح".

اعتدل الشيخ صالح وخلع نظارته الرفيعة وقال له:

"حقكم؟".

الشيخ محمد يوضح له:

"أيوة حئنا اللي اخدوا مننا التراكوة والانجليز من سنين من ساعة لما لغوا الأزهر بحتت ورئة مضوا عليها".

الشيخ صالح يستفهم:

"يعني انتوا عايزين إيه بالضبط".

الشيخ محمد يوضح:

"عايزين الوسطية هي اللي تسود.. مش عايزين عنف ولا ضرب ولا قتل".

الشيخ صالح ويشير للخارج:

"طب والحرب اللي مولعة دي مين اللي يطفيها".

الشيخ محمد يشوح بيده:

"الحرب ليها ناسها.. والجامع ليه ناسه".

الشيخ صالح يستشهد بالقول المأثور:

"فرساناً بالنهار.. رهباناً بالليل".

الشيخ محمد في مزيد من التشويح:

"يووووة.. هو ده اللي وصلنا لكده".

الشيخ صالح وقد مل منه:

"وماله كده يا شيخ محمد.. احنا بنحافظ على دين ربنا في الأرض"

الشيخ محمد:

"دين ربنا محفوظ ليوم الدين.. ومش محتاج اللي بتعملوه ده".

الشيخ صالح وقد اتخذ قرار:

"يعني ده رأيكوا كلكوا؟".

الشيخ محمد يؤكد رأيه:

"أيوة.. ده رأينا كبار وصغيرين".

الشيخ صالح وينظر لهم:

"حيس كده بئه.. أنتوا كلكوا معزومين".

الشيخ محمد يستفهم:

"على إيه إن شاء الله؟".

الشيخ صالح ويشير للوحة كبيرة خلف ظهر الشيخ محمد:

"على افتتاح حديقة الأزهر بعد تجديدها.. كلكوا كبار وصغار.. عايز كل رجال الأزهر يجوا ونتنائش كلنا في طلباتكوا.. وتبئى فرصة نعلناها ئدام الناس كلها".

الشيخ محمد يستبشر بهذا الاجتماع الموسع:

"يعني زي جمعية عمومية".

الشيخ صالح ويقوم لينهي الاجتماع فجأة:

"بالضبط كده.. يلا جهزوا كل رجالتكوا ومعادنا الجمعة الجاية بعد الصلاة هناك.. اتفئنا".

يقوم الشيخ محمد ويسلم عليه:

"اتنفئنا".

وانصرفوا سريعاً دون كلام آخر..

بينما يلتفت الشيخ إلى توفيق ويسأله بقلق وغصة تعتصر قلبه:

"آمال راوي وين.. ما جاش الاجتماع ليه؟".

***

قصر القبة.. مكتب السيد كمال

كمال يطالع الصور الملونة التي تظهر خمسة جثث ممزقة شر تمزيق ونظرات رعب على أصحابها.. نظر لرجل الآمن الواقف أمامه وسأله:

"دي خامس مرة؟".

يهز الرجل رأسه ويؤكد المعلومة:

"أيوة يا فندم.. وكلها بنفس الطريقة وإن اختلفت الاماكن".

كمال يهز رأسه بمعنى إنه مش ناقص:

"مش ممكن تكون سلعوة.. أو المستخبي".

الرجل يوضح بما يوحي إنه خبير:

"السلعوة انقرضت من سنين.. والمستخبي ما يئدرش يعمل كده في الضحية.. مش دي طريئتوا".

كمال يستفهم منه لأنه بدأ يشعر بالصداع:

"وأنتوا وصلتوا لإيه؟".

الرجل وعينه على الصور:

"لسه بنشوف.. بس الموضوع اصبح ظاهرة والناس بتتكلم عنها واحنا نشرنا بينهم إنه المستخبي".

كمال يقول له وهو يفرك عينيه من الإرهاق:

"خلاص شوف وتابع وئولي التطورات أول بأول".

الرجل يسلم عليه وينصرف.. بينما يصفق كمال بيده أمام وجهه ويقول:

"هو أنا نائص".

***

منزل الشيخ صالح

قرب غروب الشمس..

المنزل قديم مكون من ثلاثة طوابق بقلب منطقة الحسين الآثرية

وقد شددت الحراسة عليه من رجال القاعدة بعد أن عرفت الشخصية التي تقطنه..

داخل المنزل الشيخ يروح جيئة وذهاباً وهو قلق على غياب ابنه..

توفيق يطمئنه وهو شاعر بالقلق مثله:

"إن شاء الله حايظهر.. تلاقي الجهاز بايظ بس ولا حاجة".

الشيخ يشير بيده وغير مطمئن:

"لا.. مش ممكن يتآخر كل ده أكيد في حاجة مش طبيعية حصلت له".

يطرق أحد الأعوان الباب ويدخل سريعاً ويقول:

"يا شيخ.. الظرف ده وصل مع عيل صغير"

الشيخ يمسك بالظرف المغلق ويسأله:

"وين هوا العيل ده؟".

الرجل بقلق:

"جري بسرعة ومائدرناش نمسكه".

الشيخ يفتح الظرف الصغير ويخرج الورقة الوحيدة ويلتهم سطورها سريعاً..

يصيح بهياج ويلقي بها بعيداً لأنها جاءت بما توقع:

"كلاب.. كلاب".

امسك توفيق بالورقة وقرآها سريعاً:

"بسم الله نبدأ..

ابنك معنا.. عقب صلاة المغرب مباشرة أعلن نقل تبعية كل المساجد لنا يصلك سالماً.. غير ذلك.. أنت مسئول عما سيحدث له".

(المكبرين)

ارتفعت دقات قلب توفيق..

* * *

هذا أقصى اختبار يمر به الشيخ في حياته وعليه أن يختار بين عزيزين

فمجموعة المكبرين قررت دخول ساحة اللعب بهذه الطريقة العنيفة..

اختفت تكبيراتها يوماً لتعلن عن هذا التواجد القوي..

خطف ابن زعيم قاعدة الإخوان ورئيس أركانه..

دموع الشيخ تنساب على وجنتيه رغماً عنه..

توفيق يسأله بصوت خافت:

"هل ستسلم لهم المساجد؟".

الشيخ يرد ويكرر والدموع تنهمر وقد اتخذ قراره:

"بل احياء عند ربهم يرزقون.. بل احياء عند ربهم يرزقون".

* * *

قصر الجوهرة.. غرفة الضيوف

حاتم ينظر حوله ليتأكد من أن أحدا لا يراه.. يخرج ورقة صغيرة وجدها في ملابس كريم والمكتوبة بخط يده.. على ضوء القمر الخافت القادم من النافذة الواسعة.. قرآها للمرة الخمسين.. أو ربما المائة والخمسين..

قرآها ويده الأخرى ممسكة بجسم كرستالي صغير..

~~ العيشة في خيمة ملجأ الشمس.. مش عيشة ~~

~~ الدوا الهندي اللي بيعالج كل حاجة.. مش دوا ~~

~~ دوا واحد لكله.. برد واسهال ومرهم حروق و لبوس بواسير ~~

~~ كريم عايز مصر جديدة ~~

~~ من غير أتراك.. صينيين.. أوربيين.. حالئين.. فرداني ~~

~~ من غير شوكت.. باجا.. وليام.. الريس.. فرداني ~~

~~ 2050.. مصر نظيفة ~~

~~ النظافة من الإيمان ~~

طواها وأخفاها وراح يفكر ورائحة العطر السلطاني تملأ انفه.. وضع على انفه الجسم الكرستالي الصغير.. زجاجة عطر السلطان..

قلبها ليقرأ الكتابة المذهبة الأنيقة على قاعدتها:

"صنعت خصيصاً لمولاي السلطان يكبر الثاني"

وراح يقرأ الكارت الصغير الأنيق الذي أرفقه السلطان مع الزجاجة كلمة واحدة مكتوبة بخط بالغ الروعة والجمال وبخيوط من ذهب..

~~ وأوفوا بالعهود ~~

***

منزل الشيخ صالح

آذان العشاء يدوي في سماء القاهرة..

من كل المساجد وفي وقت متزامن وبأصوات مؤذني القاعدة..

الشيخ في منزله جالس صامت أمام النافذة وبجواره توفيق لا يتكلم..

كان الجميع في انتظار ما سيحدث.. ما الذي سيقدم عليه المكبرين..

من بعيد رأى الشيخ فرس راوي البيضاء قادمة من ناحية مسجد الحسين

قام وفتح النافذة على الفور وقال للحراس وهو يشير:

"راوي جه.. الحصان بتاعه هناك".

قام توفيق ونظر للفرس.. لتتسع عيناه برعب غير مصدق..

أسرع الحراس حيث أشار واحضروا الفرس الخالية..

بينما جلس الشيخ على المقعد وقلبه يدق بعنف مما لاحظ على جانب الفرس.. صوت خطوات صاعدة السلم بسرعة.. أسرع توفيق للباب وقابل القادم على الباب قبل أن يدخل..

حارس يحمل في يده كيس كبير من القماش ويلهث ويبكي غير مصدق

فتح توفيق جراب لتتسع عيناه في رعب وذهول..

كانت رأس راوي المقطوعة بداخل وملوثة بدماء طازجة..

يبدو إنها لم تقطع إلا من دقائق معدودة..

بيد مرتجفة تقدم بها ناحية الشيخ وهو يبكي:

"البقاء لله.. البقاء لله".

الشيخ واضع يديه على وجهه ويدعو وقد شعر بذلك منذ أن رأى الجراب المعلق على جانب الفرس..

مد يده المرتعشة واخرج رأس راوي وقبله بين عينيه المغمضتين وهو يبكي بحرقة لتغرق يديه وثوبه الأبيض باللون الأحمر القاني..

وتنتشر في المكان سريعاً رائحة الذبح الطازج..

شعر توفيق بغصة وقد تذكر حاتم وكريم وألم الفراق يعتصر قلبه..

أصوات التكبير تعلو وتزداد من بعيد..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

كتكبيرات فرح مثل تكبيرات العيد.. أو تكبيرات المنتصر في الحرب..

وجد الشيخ ورقة صغيرة داخل الكيس أخرجها وقرآها بصوت باك:

"أمهلناك وأنذرناك.. لنا الحكم وإلينا المصير"

(المكبرين)

~ منجل الله ~

الشيخ ويعتصر الورقة الملوثة بدماء ابنه وقد عرف اسم عدوه الأكبر:

"حتدفع التمن غالي يا منجل الله.. غالي ئوي"

~~ ((بينما أصوات التكبير تتعالى وتتصاعد حولهم)) ~~

~~ ((وتملأ كل مكان)) ~~

بيد مرتجفة تقدم بها ناحية الشيخ وهو يبكي:

"البقاء لله.. البقاء لله".

الشيخ واضع يديه على وجهه ويدعو وقد شعر بذلك منذ أن رأى الجراب المعلق على جانب الفرس..

مد يده المرتعشة واخرج رأس راوي وقبله بين عينيه المغمضتين وهو يبكي بحرقة لتغرق يديه وثوبه الأبيض باللون الأحمر القاني..

وتنتشر في المكان سريعاً رائحة الذبح الطازج..

شعر توفيق بغصة وقد تذكر حاتم وكريم وألم الفراق يعتصر قلبه..

أصوات التكبير تعلو وتزداد من بعيد..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

كتكبيرات فرح مثل تكبيرات العيد.. أو تكبيرات المنتصر في الحرب..

وجد الشيخ ورقة صغيرة داخل الكيس أخرجها وقرآها بصوت باك:

"أمهلناك وأنذرناك.. لنا الحكم وإلينا المصير"

(المكبرين)

~ منجل الله ~

الشيخ ويعتصر الورقة الملوثة بدماء ابنه وقد عرف اسم عدوه الأكبر:

"حتدفع التمن غالي يا منجل الله.. غالي ئوي"

~~ ((بينما أصوات التكبير تتعالى وتتصاعد حولهم)) ~~

~~ ((وتملأ كل مكان)) ~~







القاهرة 2050

الباشا الجديد

السلطان يشير لشوكت بيده دون أن يلتفت أو يفتح عينيه ..

يسارع شوكت باعطاءه الدورق المصنوع من الكريستال الصافي المرصع بماس صغير مدلى مثل العناقيد وبه مزيج رقراق من ماء بئر زمزم وماء بحر إيجة وماء نهر النيل ..

استنشق السلطان رائحة الماء بقوة ثم قام بسكبه بهدوء على اقدام التمثال كما وصاه والده بأن يفعل عند كل زيارة للقاهرة ..

اخيرا فتح عينيه بعدأن همهم لينطق بصوت قوي دون التفات،

" اصرفوا الحراس "

أشار شوكت للحراس بأن تنصرف وتتركهم ..

جلس السلطان على اقدام التمثال وقال لهما ،

" اقتربا " .

اقتربا منه وهم مطاطيء الرأس .. خاشعين من الذل ..

متيقنين أنه قرأ في عيونهما ما فعلوه من وراء ظهره طيلة الفترة السابقة .

مسح السلطان بيده القاعدة المذهبة المنقوش عليها ..

يكبر الأول ١٩٩٦ - ٢٠٤٣

يمعن النظر فيهما وقال فجأة لاوغل ،

" كيف حال التحالف مع القاعدة يا أوغل ؟ "

